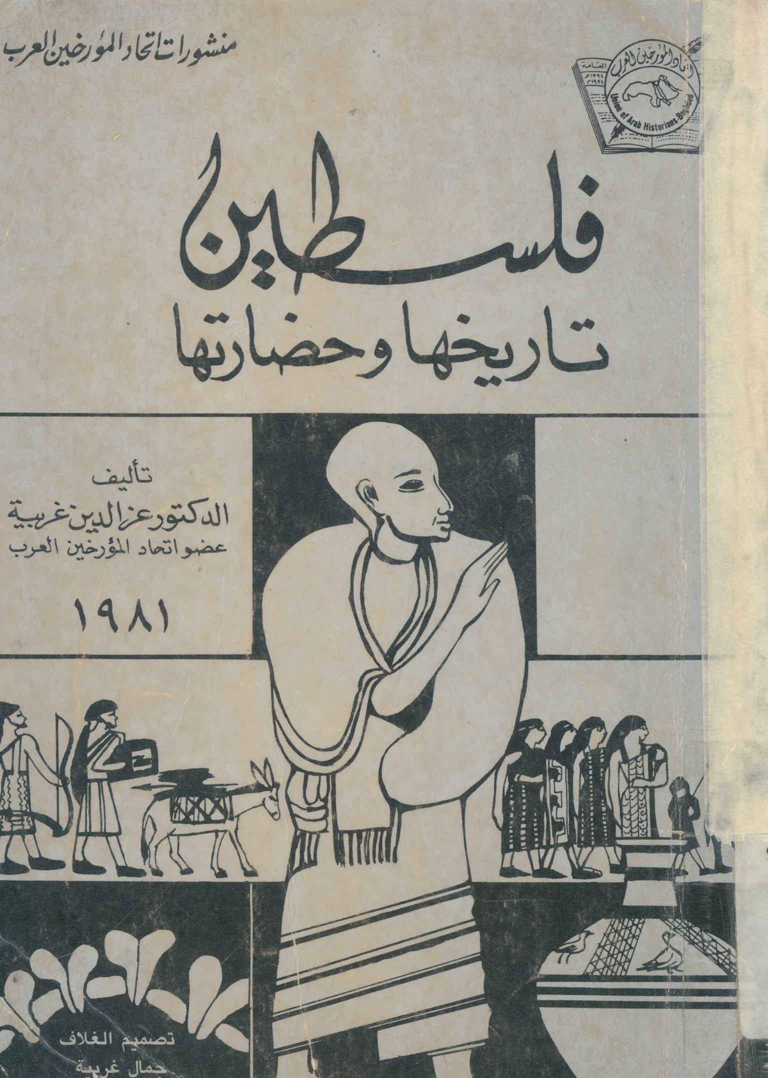

منشورات اتحاد المؤرخين العرب
Union of Arab Historians-Baghdad
فلسطين
تاريخها وحضارتها
تأليف
الدكتور عز الدين غربية
عضو اتحاد المؤرخين العرب
١٩٨١
تصميم الغلاف
جمال غربية



فلسطين

تاريخها وحضارتها

تأليف

الدكتور عز الدين غربية

عضو اتحاد المؤرخين العرب

١٩٨١

منشورات اتحاد المؤرخين العرب

المقدمة

تاريخ فلسطين من أحب المواضيع إلى نفس كل عربي مخلص فهو تاريخ الأصالة العربية وإدراك العمق الحضاري لهذا الجزء الغالي من الوطن العربي، وهو أيضاً إجلاء الحقيقة الناصعة لتاريخ هذا الموضع المهم من تاريخنا القومي.

والأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب إذ تقوم بنشر هذا السفر من تاريخ فلسطين إنما تؤكد على أهمية هذا الموضوع الحيوي الذي يعتبر عنوان الأصالة ورمز الكفاح ومثل الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبراز الوجه المشرق للنضال العربي في معركته الحضارية مع الصهيونية العنصرية.

إن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب تقدم هذا الكتاب انطلاقاً من مبادئها في نشر المواضيع التاريخية ذات الطابع الأكاديمي في صفتها الموضوعية وسمتها العلمية، وإننا نعتقد أن هذا الكتاب سيكون له الأثر الكبير في إعطاء الحقائق التاريخية عن فلسطين وعلاقاتها مع أجزاء الوطن العربي في الأزمنة العربية القديمة، كما سيضيف الكتاب معلومات قيمة إلى المكتبة العربية ويساهم في خلق جو علمي يحقق الموضوعية في كتابة تاريخ الأمة العربية.

إن الأمانة العامة للاتحاد تتقدم بالشكر وبالغ الثناء إلى الأستاذ الدكتور عز الدين غربية على جهوده العظيمة في ملاحقة المصادر وصياغة النصوص وتحليلها وإبراز هذا الموضوع بهذه العلمية العالية، وفقه الله إلى ما فيه خير العلم وإجلاء الحقيقة.

والله ولي التوفيق

الدكتور حسين أمين

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

التقـــديم

تحتل قضية فلسطين في عالمنا الحاضر مكانة هامة بين القضايا العالمية المعاصرة لما تواجهه هذه القضية من تحديات متعددة تستهدف كيان الشعب الفلسطيني بخاصـة والعربي بعـامة. فقـد ثارت حـول القضية الفلسـطينية ادعاءات وافتراضات واجتهادات تنافي الواقع الموضوعي والأصول التاريخية لهذه القضية.

فعلى الرغم من كثرة الدراسات والأبحاث التي تناولت تاريخ فلسطين إلا أن غالبيتها العظمى قد جانبته الموضوعيـة والأمانـة التاريخيـة، وخضع لأغـراض سياسيـة أو دينيـة رسمت مسبقـاً في أذهـان بعض المستشـرقـين الصهيونيين، ونشرت بشكل واسع في العالم الغربي حتى أصبحت في غياب الدراسات العربية وكأنها حقيقة مسلم بها.

ويلاحظ الباحث في تاريخ فلسطين أنه إلى جانب التشويه والتزويـر الذي لحق بهذا التاريخ كله، اقتصرت أكثر الدراسات التاريخية التي تناولته على المرحلة الحديثة. أما المراحل التي تستوعب العصور الاسلامية والعصور القـديمة لهـذا التـاريـخ، فلم تحظ إلا بشيء قليـل من جهـود البـاحثـين واهتماماتهم. أضف إلى ذلك أن هذه الدراسات نفسها قد أغفلت - عن قصد أو غير قصد - الكثير من الحقائق التاريخية الهامة التي تكشف جوانب خطيرة من تاريخ فلسطين، كما أنها أساءت في الوقت نفسه، تحليل بعض الحقائق، وتفسير بعضها الآخر، ولا سيما تلك الحقائق التاريخية المغرقة في القدم.

هذا كله أدى إلى غموض بعض الجوانب الهامة في التاريخ الفلسطيني،

وأدى إلى شيء آخر مهم، وهو طمس الجذور العربية الأصيلة لتاريخ فلسطين، الأمر الذي يبقي هذه الحقبة الهامة في زوايا النسيان.

ومن هنا، كان الواقع التاريخي بحاجة ماسة إلى دراسة هادفة، تبحث عن الحقيقة لتبرزها، انسجاماً مع أسلوب البحث العلمي الذي يفرض الأمانة والدقة، ويقتضي التمحيص والتحليل لتحقيق الغايات العلمية السامية.

وانطلاقاً من هذا المفهوم فان دراسة موضوعية علمية لتاريخ فلسطين بجميع مراحله معتمدة على المصادر الأصلية من وثائق ومخلفات تدرس وتفحص وتحلل وتفسر في ضوء المصادر المعاصرة للأقطار العربية المجاورة، وفي ظل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في تلك العصور، أصبحت ذات أهمية خاصة لتلقي أضواء كاشفة على الحقائق التاريخية لهذا القطر العربي الفلسطيني، وتوضح العديد من جوانبه التي أُهملت أو أُلقيت عليها الأغطية فترة طويلة من الزمن.

ولعل هذه الدراسة في تاريخ فلسطين القديم «منذ أقدم العصور» إلى «عصر الحديد» حوالي ١٢٠٠ق.م، تسهم في كشف النقاب عن بعض الحقائق الأصيلة وصلتها العضوية المتينة بالأقطار العربية المجاورة، وذلك إيماناً بأن الميدان الثقافي هو الأساس القوي الثابت للوحدة العربية الشاملة.

وتتضمن هذه الدراسة فصولاً سبعة:

يتناول **الفصل الأول** منها التعريف بأهم المصادر التي أُسندت إليها الدراسة، سواء تلك التي عثر عليها في أرض فلسطين أو في الأقطار الأخرى المجاورة ذات الصلة المباشرة أو الغير مُباشرة بتاريخ فلسطين، وبخاصة التي أسهمت في الكشف عن بعض الجوانب الحضارية للقطر الفلسطيني وعلاقاته بالأقطار العربية المجاورة.

ويتضمن **الفصل الثاني** مقدمة تتناول أبرز المعالم الرئيسية لتاريخ فلسطين القديم لكشف النقاب عن مكانتها التاريخية والحضارية بين الحضارات الرئيسية المجاورة في بلاد الشام والعراق القديم ومصر ويعرف بسكانها وأصولهم وأهم

منجزاتهم الحضارية من خلال موقع فلسطين المميز في منطقة الشرق الأدنى القديم.

ويضطلع **الفصل الثالث** بدراسة المظاهر الرئيسية لتاريخ فلسطين وحضارتها قبل العصر التاريخي دراسة موجزة تتناول هذه المظاهر منذ أقدم العصور الحجرية - وبخاصة في العصر الحجري الحديث الذي أقام الفلسطينيون فيه بمنجزات حضارية هامة في منطقة الشرق الأدنى القديم، لينتهي إلى تتبع هذه المظاهر في عصر الحجر والنحاس حتى العصر التاريخي.

ويختص **الفصل الرابع** بتناول تاريخ وحضارة فلسطين في مرحلة العصر التاريخي حوالي الألف الثالث ق.م «عصر البرونز المبكر» في فلسطين تقريباً، تبين أهم معالم تاريخ وحضارة فلسطين في هذه المرحلة الهامة من تاريخ وحضارة الانسان حيث شهدت هذه المرحلة جذور وأسس تطور الحضارة الانسانية في منطقة الشرق الأدنى القديم، كما يبحث في تاريخ وحضارة الكنعانيين باعتبارهم أول شعب معروف استقر في أرض فلسطين، وأقام بها حضارة تميزت شخصيتها ومقوماتها المستقلة رغم تعرضها للتأثيرات الحضارية المجاورة.

ويعرض **الفصل الخامس** الثقافة الكنعانية من آداب وديانات وفكر كنعاني مبيناً أهم مظاهر الثقافة الكنعانية.

أما **الفصل السادس** فيتناول تاريخ وحضارة فلسطين في مرحلة الألف الثاني ق.م. والتي تشمل عصر البرونز المتوسط والأخير وعصر الحديد تقريباً، ويبرز التتابع الحضاري والثقافي الكنعاني من خلال الأدلة الأثرية المختلفة في هذه العصور.

أما **الفصل السابع** فيختتم هذه الدراسة بتقويم مقارن لشخصية ومكانة فلسطين الحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديم باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي، ويقوم بابراز أهم معالم العلاقات الحضارية التي كانت قائمة بينها وبين الأقطار العربية الأخرى التي كانت تجاورها.

ولما كان التاريخ القديم بصورة عامة يتصف بالموضوعية والتخصص

العميق، ويعتمد على المصادر الأثرية واللغات القديمة، فقد بذلت كل جهدي لتبسيط المادة العلمية وعرضها بحيث يكون هذا الكتاب في متناول الباحث والقارىء على حد سواء، والله ولي التوفيق.

المؤلف

الفصل الأول
بعض المصادر الهامة التي اعتمدت في الدراسة

قبل دراسة تاريخ كنعان القديم، يرى الباحث أنه من المفيد استعراض بعض المصادر الهامة من وثائق أصلية ومخلفات أثرية مما اعتمد عليه في استخلاص الحقائق التاريخية، وفي إبراز الجوانب الحضارية المختلفة لهذا القطر الذي يحتل مكانة حضارية هامة في منطقة الشرق الأدنى القديم، وذلك في محاولة لتحقيق دراسة متكاملة قدر الامكان.

يواجه الباحث في مصادر تاريخ فلسطين القديم حقائق هامة تتعلق بكيفية الحصول عليها والدراسات الخاصة بها والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المؤثرة فيها. ولكن في نفس الوقت لا بد من الاشارة إلى أن المصادر المتوفرة والمتمثلة في المخلفات الأثرية والنصوص قليلة ولا تكفي لتغطية تاريخ فلسطين القديم، وذلك لأن أرض فلسطين كانت موطن صراع شبه دائم بين القوى الداخلية وميداناً للتنافس بين القوى الرئيسية والمحيطة على مر العصور، مما جعل فرص بقاء أي مخلفات هامة على هيئة نصوص أو قطع فنية أو مبان أو غيرها من المخلفات الأثرية ضئيلة نسبياً، إذ ربما لم ينج موقع في فلسطين من الدمار أو التخريب نتيجة استمرار الصراع في طول البلاد وعرضها.

وعلى الرغم من أن عمليات الكشف الأثري في فلسطين قد بدأت في أعقاب الحروب الصليبية في المنطقة العربية، فان ما بذل من جهود في مجال عمليات البحث والكشف الأثري يفتقر إلى الامكانات المناسبة والجهود المخلصة، بالاضافة إلى أن عمليات التنقيب الأثرية قد تأثرت بعوامل متعددة منها الظروف السياسية التي سادت فلسطين في تلك المراحل الزمنية.

وقد توجه إلى فلسطين العديد من الأشخاص والهيئات والمنظمات

الدولية الأجنبية للعمل في حقل الآثار الفلسطينية، وكان معظمهم يعمل بمنطلق سياسي أو عسكري أو ديني مما أفقدهم العلمية والموضوعية في وقت كانت فيه الجهود العربية في هذا المجال ضئيلة، ولا يرقى معظمها إلى مستوى المسؤولية العلمية أو القومية.

كما تميزت المرحلة السابقة لخضوع فلسطين للاحتلال البريطاني بنشاط ملحوظ في مجال البحث والتنقيب في أرض فلسطين، وبخاصة بعد تأسيس «صندوق استكشاف فلسطين» (PALASTINE EXPLORATION FUND) عام ١٨٦٥، حيث توجه إلى فلسطين مجموعات من رجال السياسة والعسكريين الأجانب للعمل في مجال الآثار منهم: الكولونيل «تشارلز وورن» (Charles Warren) «وس. ر. كودر» (C.R.Coder)، «وكتشنر» (Kitchener) الذين ساهموا بعمليات مسح أثرية وطبوغرافية شملت المدن والقرى والمواقع الأثرية، ونشروا معلومات وخرائط تفصيلية عن أرض فلسطين يمكن أن تخدم مصالح الأثريين والعسكريين في آن واحد. وقد استمر هذا الاتجاه لعشرات السنين مدعمًا بالروح الاستعمارية الغربية والنفوذ الصهيوني، وقد وصل ذروته بخضوع فلسطين للانتداب البريطاني في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وبخاصة بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ الذي يقضي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وفي عام ١٩٢٠، وفي ظل الاحتلال البريطاني تأسست دائرة الآثار الفلسطينية برئاسة «جون جارستانج» (John Garstang) البريطاني من جامعة ليفربول، وعضوية «جوزف كلاوزر» (Joseph Klauser). وقد مهدت هذه الدائرة السبيل أمام العديد من اليهود ودعاة الصهيونية للعمل في حقل الآثار الفلسطينية، ومنهم: «العيزر بن يهوذا» (Elizer Ben Yehuda)، «والعيزر ليباسونيك» (Elizer Lipu Sukenek)، ومن ثم «إبنه بيفائيل» الذي أصبح فيما بعد أول رئيس لهيأة أركان حرب الجيش الاسرائيلي، وكذلك «بيامين مازار»، و«نيلسون غلوك» (Nelson Alueek) و«مورد خاي نركيس» (Merde ala Marhiss)، و«ليون ماير» (Leon Meyer) وغيرهم. وقد أدى كل ذلك إلى إتاحة الفرصة لتأسيس عدة مؤسسات يهودية للعمل هذا المجال أهمها: «معهد

الدراسات اليهودية» الذي أسس عام ١٩٢٥ والمتفرع عن الجامعة العبرية في القدس، ومتحف الآثار اليهودية الذي أسس عام ١٩٤١، ثم جمعية أبحاث فلسطين اليهودية. وقد اتبعت هذه المؤسسات جميعاً أسلوباً واحداً أو متشابهاً في العمل يتلخص في ايجاد المبررات الأثرية التي يمكن أن تدعم الزعم الذي ينادي بالحق التاريخي المزعوم وأصول اليهود البعيدة في فلسطين، ثم العمل على طمس الثقافة العربية الوطنية والتراث المرتبط بهذه الثقافة بفلسطين تمشياً مع النفوذ الصهيوني في كسب الرأي العام العالمي وأيديولوجيته التي تهدف إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

وقد أصبح أسلوب عمل تلك المؤسسات اتجاهاً مقبولاً في العالم الغربي لفترة طويلة، في وقت لم تحظ أسس الحضارة العربية في فلسطين ولا التراث الحضاري العريق الذي شهدته المنطقة باهتمام يذكر أمام نشاط المنظمات الصهيونية، بل كثيراً ما أخفيت أو أهملت المصادر الخاصة بها، وقد ساعدهم على ذلك عدم وجود مؤسسة عربية ترعى شئون الآثار العربية في فلسطين.

ومن ناحية أخرى فقد استغل العديد من الباحثين والمكتشفين الأجانب بعض المخلفات الأثرية في تفسير القصص والأحداث التي وردت في العهد القديم في محاولة لإيجاد البراهين العاطفية التي تدلل على صحة ما ورد في التوراة من أحداث مما أدى إلى ابتعادهم عن العملية والموضوعية.

لقد اعتبر أولئك الباحثون أن التوراة هي المصدر التاريخي الوحيد المكتوب للمنطقة، فاعتمدوا عليها اعتماداً كلياً في تفسير وتقويم ما يتم اكتشافه في المواقع الأثرية التي كانوا يعتقدون أنها مطابقة لأسماء المواقع التي ورد ذكرها في التوراة على اعتبار أنها كتاب مقدس بعيد عن التحليل التاريخي العلمي، على الرغم من أن التوراة كتبت أثناء السبى البابلي لليهود، أي ما يقرب من ثمنمائة عام بعد عهد النبي موسى وبلغة مشتقة من الأرامية.

وقد تزعم العديد من الباحثين الأجانب الاتجاه الديني في تفسير ما جاء في التوراة[١] ومنهم «فيلكس شمت» (Felix Schmidt) السويسري

(١) معاوية إبراهيم تقرير مقدم إلى مؤتمر الآثار السادس في مراكش ١٩٧٧.

(١٤٨٠ - ١٤٨٣)، و«ليونهارد رواخ» (Leonhard Rauchwolf)، وفولفا الألماني١٥٧٥، والهولنديان «يوحنا زولارت» (John Zuallart)، و«يوحنا فان كوتفيك» (Johan Van Koot Wyek). وكانت أعمالهم حتى نهاية القرن السادس عشر.م تتلخص في تقارير تصف المعالم والمواقع الدينية بأسلوب يغلب عليه التعصب الديني.

وقد استمر دارسو اللاهوت في الفترات التالية على النهج نفسه، فكتبوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. العديد من التقارير الموجودة الآن. ورغم تعرضهم لانتقاد «أدريان الهولندي» (Adrian Reland) في مؤلفه «فلسطين مصورة من خلال معالمها القديمة (Palastine ex. Monuments Veterbus) عام ١٧٠٩.م، إلا أنهم واصلوا نهجهم في الفترات التالية (النصف الأول من القرن التاسع عشر)، وهي فترة تميزت بزيادة الاهتمام البريطاني، المتمثل في شخص «أربي» و«جيمسمنجليز» (James Mangles) (١٨١٧ - ١٨١٨.م) والاهتمام الأمريكي من خلال عمليّات التبشير اللاهوتي، ومنهم ادوارد ربنسون (Edward Robinson) و«آلي سميث» (Eli smith)، «وف. دوساولس» الذين حاولوا تثبيت وتسجيل المواقع التوراتية.

ومع اتساع الاهتمام الغربي بأرض فلسطين في القرن التاسع عشر الميلادي ازداد نشاطهم في تأسيس عدد من الجمعيات والمراكز الانجليزية والأميركية والالمانية والفرنسية وقد كان الهدف المعلن لهذه المؤسسات استكشاف المواقع الأثرية في فلسطين. أما أهدافها الحقيقة، كما اتضحت من نتائج الدراسة، فقد كانت دينية لاهوتية تسعى لتأكيد ما ورد في التوراة والدفاع عنها. ومن تلك الأمثلة ما جاء في النشرة التي أذاعت نبأ إنشاء الصندوق البريطاني لاستكشاف فلسطين التي تضمنت ما يلي:

«... يجب أن لا تحظى أي بلد باهتمامنا مثل تلك التي كتبت فيها وثائق إيماننا والحوادث التي تصفها...» وقد بدا هذا الاتجاه جلياً في أول أعداد المجلة التي أصدرتها هذه الجمعية والتي كانت تعرف بـ (Quaterly Statment) عام ١٨٦٩ حيث جاء فيها ما يلي:

«. . . جمعية الأعمال والاستقصاء المنظمة والدقيقة المتعلقة بآثار وطوبوغرافية وجيولوجية والتاريخ الطبيعي، وعادات وتقاليد الأرض المقدسة من أجل توضيح التوراة. . .».

وقد سار على النهج نفسه الجمعيات البريطانية الأخرى التي أسست بعد ذلك ومنها: «جمعية الآثار التوراتية» (Socity Biblical Archaeology) عام ١٨٧٠م، والتي أعلنت بكل وضوح أنها تسعى إلى تحقيق غايات اللاهوت عن طريق الآثار.

أما الجمعيات والمؤسسات الأمريكية فقد سارت في الاتجاه البريطاني نفسه بل وإلى أبعد منه. فقد جاء في الكلمة التي وجهها مؤسس «جمعية استكشاف فلسطين» (Palastine Exploration Society) في نيويورك ١٨٧٠م. ما يلي:

«. . . إن العمل المنوط بجمعية الأبحاث الفلسطينية ينادي الوجدان الديني سواء كان مسيحياً أم يهودياً. . .، وأهمية هذه الأبحاث توضيح الكتاب المقدس والدفاع عنه بعد أن ظهر مؤخراً التشكيك الذي يهاجم الكتاب المقدس، لذا فإن كل ما يجري للدفاع عن تاريخ الكتاب المقدس، من حيث الحقيقة والزمان والمكان والظروف، هو رفض لعدم الايمان. . .، ويشعر المشرفون على الجمعية أن في الثقة والايمان خدمة جليلة للعلم والدين. . .».

وقد اتبعت الجمعية الالمانية الشرقية[1] (Deutsche Orient Gesellschaft) التي تأسست عام ١٨٩٨ تحت رعاية القيصر الالماني «جيرل شفت»، اتبعت الأسلوب السابق نفسه وبخاصة أن روادها المشهورين: «أرنست سيلين» (Ernst Sellin)، و«فاتسنجر» (Watcinger)، كانا من المهتمين بالتوراة، فاتفقت بذلك مع أهداف الجمعيات البريطانية والأميركية والمدرسة الفرنسية (Ecole Biblique) في القدس، التي مدت بدورها اهتمامها إلى مصر والعراق بالاضافة إلى فلسطين. وقد استمرت هذه المدارس في اتباع واعتماد الأسلوب التوراتي

(١) المرجع السابق.

في أبحاثها الأثرية على الرغم من أن المكتشفات الأثرية اللاحقة قد أشارت إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع وجد له مثيل أو ما يشابهه في المدونات القديمة: من كنعانية ومصرية وسومرية وأكدية وبابلية وأشورية مما يدل على أن كهنتهم قد اقتبسوها من تلك المدونات.

وقد ترتب على التعصب الديني لدى معظم الباحثين والكتاب بأن ركزوا أبحاثهم في تاريخ اليهود وكتبهم فأخرجوا الآلاف من هذه الكتب وأصبحوا دعاة للصهيونية وليسوا رواد علم وحقائق.

وقد ساند التعصب الديني الغايات السياسية في تقويم الأثار الفلسطينية فاستخدم معظم الباحثين التوراتيين اصطلاحات وتقسيمات لحلقة التسلسل التاريخي الفلسطيني بحيث تتفق مع المعطيات التوراتية، وليس من خلال الاستجواب الحقيقي للموقع وطبيعة مكتشفاته وتصنيفها وتأريخها. فقد نسبوا جميع مكتشفات الألفين الثاني والأول ق.م إلى التوارة، واعتمدوا مصطلحات إسرائيلية تقسم تاريخ فلسطين إلى ما يسمى بإسرائيلي ١، وإسرائيلي ٢، وإسرائيلي ٣، كأساس لحلقة التسلسل التاريخي لفلسطين، وأهملوا تماماً المراحل الحضارية السابقة لما أسموه بالاسرائيلي.

وقد صنف «بليس»(Bliss)، و «مكالستر» (R.A.S. Macalister) مكتشفاتها في مواقع جنوب فلسطين (١٨٩٨-١٩٠٠م) طبقاً للعصور التوراتية التقليدية[1] التي كانت متبعة حتى سنة ١٩٠٢ على النحو التالي:

- مرحلة عصر ما قبل الاسرائيليين المبكر حتى ١٥٠٠ ق.م.
- مرحلة عصر ما قبل الاسرائيليين المتأخر (١٥٠٠-٨٠٠ ق.م).
- مرحلة العصر اليهودي (٨٠٠-٣٠٠ق.م).
- العصر السلوقي (إعتباراً من ٣٠٠ق.م).

ولما اختلط هذا الأمر على الباحثين، وعلى ماكلستر نفسه، فقد اتبع في

---

(١) المرجع السابق.

تصنيف مكتشفاته في موقع «تل الجزر» التي تعود لفترة سابقة لما أسموه بالعصور التوراتية على النحو التالي:

سامي أول - سامي ثان - سامي ثالث - سامي رابع.

ورغم ذلك فقد ظل هذا التصنيف مليئاً بالمغالطات، وخالياً من الدقة في تاريخ المكتشفات، بالاضافة إلى عدم موضوعيته في تسميات العصور من خلال تسلسلها التاريخي..

وفي أوائل القرن العشرين الميلادي ظهر إتجاه معتدل يتجه نحو الموضوعية في هذا المجال حين حاول كل من «سيلين وفاتسنجر» الألمانيان توخى الدقة في توثيق المكتشفات التي خرجا بها من أعمالهما التنقيبية أريحا ومجدة، إلاَّ أنهما إتبعا التقسيمات السابقة نفسها عدا إضافة اسم كنعاني لأقدم المكتشفات.

وقد سار في هذا الاتجاه المعتدل فيما بعد «معهد الدراسات الشرقية «التابع لجامعة شيكاغو الاميركية ونادى بالموضوعية والعلمية في دراسة وتقويم الابحاث الأثرية الفلسطينية، وذلك أثناء عمل بعض المختصين في هذا المعهد بموقع تل المتسلم الفلسطيني (١٩٢٥- ١٩١٩)، إلاَّ أن هذا العمل قد قوبل بمعارضة شديدة من وليم أولبريت» (W. Albright) الذي كان يرأس «المدرسة الاميركية للأبحاث الشرقية في القدس» حينذاك، وذلك لتبيان المنطلقات والأهداف. لقد حاول الباحثون في معهد الدراسات الشرقية التنقيب بأسلوب أكثر جدية، وتفسير ما يكشف عنه من خلال الموقع بطريقة أكثر موضوعية في توثيق المكتشفات ومعالجة جميع المراحل الزمنية التي نشرت عن الموقع حسبما أخرجتها الحفريات سواء بسواء، إلاَّ أن هذه الطريقة الاميركية قد اقتصرت على جامعة شيكاغو ولم تتعداها إلى البعثات الامريكية الأخرى، وقد استجاب لهذا الاتجاه من الجانب البريطاني «جوردن تشايلد» (Gordon Childe)، رئيس معهد الآثار التابع لجامعة لندن آنذاك ونادى بإتباع الأسلوب العلمي، ورفض الأسلوب التقليدي في البحث، كما أكد على أهمية البحث عن الآثار على أساس المادية التاريخية كمنطلق للتطور الحضاري وضرورة تكريس جميع

الوسائل العلمية للكشف عن الآثار ومعالجتها من خلال وظيفتها وإطارها العام المرتبط بطبيعة المجتمع الذي وجدت فيه. وقد ساير هذا المنهج فيما بعد «كاثلين كينيون» (K. Kenyon) التي أبعدت من فلسطين المحتلة من أجل ذلك.

أما الدراسات العربية في تاريخ فلسطين وحقل الآثار الفلسطينية على ندرتها فلم يكن معظمها على مستوى المسؤولية العلمية أو القومية. فقد ارتكز القسم الأكبر من الباحثين على الترجمة والدراسات الأجنبية دون تحقيق علمي دقيق. ومن تناول منهم الحضارة العربية لم يتطرق إلى التراث العربي الفلسطيني في بحوثه إلاّ عرضاً، وربما كان سبب ذلك اصطباغ مصادره بالصبغة التخصصية المرتبطة بالبحوث الأثرية. لذلك انحصرت بحوثهم في عصور الجاهلية على الأكثر، تاركين بذلك فراغاً في مراحل طويلة من التاريخ العربي وبخاصة الفترات السابقة لعهد النبي موسى عليه السلام، وهي الفترة التي اعتبرها اليهود بداية تاريخهم. وقد جاراهم في ذلك العديد من الكتاب العرب معتمدين على الكتابات الصهيونية والأجنبية التي قبلوها على علاتها دون تدقيق علمي.

النهضة العلمية والتكنولوجية الحديثة
وما قدمته من منجزات في مجال المصادر:

إن من أهم منجزات النهضة العلمية الحديثة ما قدمته المكتشفات الأثرية الحديثة من مصادر، سواء منها الآثار أو النصوص التي تناولت تسجيل الأحداث التاريخية في منطقة الشرق الأدنى القديم، وبخاصة ما عثر عليه من وثائق مصرية أو عراقية. ثم ما وجد في كنعان وفينيقيا وفي أرض الحثيين، مما أدى إلى كشف وتفسير العديد من الأحداث التاريخية التي عاصرتها على أساس علمي وموضوعي.

لقد ساعدت هذه المنجزات على تحديد العديد من مواقع المدن والأماكن وأزمانها التي ورد ذكرها في المدونات القديمة وفي التوراة، ومن ثم تتبع وتحديد

الأحداث التاريخية المختلفة حسب تسلسلها مع توضيح طبيعة العلاقات بين المجتمعات المختلفة في أماكنها وأزمنتها الحقيقية بالقياس مع الأحداث المعاصرة لها.

ولتحقيق دراسة متكاملة قدر الامكان، ينبغي تناول هذه المصادر بالعرض والتحليل مع الأخذ بعين الاعتبار أن فلسطين في عصورها التاريخية القديمة، وبحكم موقعها الجغرافي تأثرت بالظروف الحضارية والسياسية والثقافية التي سادت الأقاليم المجاورة، ممايؤكّد أهمية إجراء نوع من التقويم المقارن بين هذه المصادر للتوصل إلى الحقيقة التاريخية وما نتج عنها من علاقات حضارية مختلفة. ومما هو جدير بالذكر أن هذه المصادر قد شملت المجالات المختلفة بين فلسطين والأقطار المجاورة، فتناول بعضها المجالات الاقتصادية، وسجل بعضها الآخر المجالات السياسية السلمية والحربية. وفي حين دون بعضها العلاقات البشرية حفل بعضها بالعلاقات الحضارية. وجميعها تلقى ضوءاً على موضوع البحث، وهو تاريخ فلسطين القديم.

وقد قام بعض مشاهير المؤرخين والعلماء أمثال: «بريستد» (James) و «بتري» (Petrie)، و «ولسون» (John Wilson)، و «كينيون» (K. Kenyon)، و «رو» (A. Rowe)، و«جارستانج» (J. Gurstang)، و «ماكلستر» (Macalister)، و «أولبريت» (W. Albright)، و «كانتور» (Kantor)، وغيرهم ، بالاضافة إلى بعض الجامعات المهتمة بتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته مثل: «جامعة كمبردج» (Cambridge University)، وجامعة بنسلفانيا» (University Pennsylvania) و «جامعة شيكاغو» (University of chicago)، وغيرهم، قاموا بدراسة جوانب متعددة من تلك المصادر التي عثر عليها في أرض كنعان، وفي الأقطار العربية المجاورة: وادي النيل، ووادي الرافدين، وسوريا ولبنان والأردن.

المصادر التي عثر عليها في أرض كنعان:

عثر في أرض كنعان على أعداد لا بأس بها من الآثار والنصوص، ورغم أن ترجمتها وتفسيرها قد خضع لدوافع سياسية ودينية معينة في معظم

الأحيان، إلاّ أنه يمكن للباحث المدقق أن يخرج منها بالعديد من الأدلة والشواهد التاريخية التي تساعد في هذه الدراسة التي تتناول تاريخ فلسطين القديم وعلاقاتها مع الأقطار العربية المجاورة.

ويمكن للباحث أن يتناول المصادر التي عثرت عليها المدارس الأثرية المختلفة في أرض فلسطين في عهد الانتداب البريطاني تحت إشراف إدارة الآثار الفلسطينية بتحفظ وبمزيد من التدقيق العلمي، حيث أمكن العثور على العديد من المصادر التي تعود لفترات مختلفة من تاريخ فلسطين في مواقع ومدن متعددة من أرض فلسطين ونشرت في أعداد «مجلة الآثار الفلسطينية».

The Quarterly Of The Department Of Antiquities, Department Of Antiquities In Palestine, Volumes: I-XX, Jerusalem, Published For The Government Of Palestine, By Humphrey Milford, Oxford University Press, London, E.C.4, 1932-1942.

وقد نشر همفري ميلفورد (Humphrey Milford) نتائج هذه الحفريات في عشرين مجلداً، وتناول تلك المصادر بالعرض والترجمة والتعليق أحياناً. وتضم هذه المصادر المخلفات الأثرية من بقايا معمارية ومسلات وتماثيل وقبور وأوان فخارية وأختام وتمائم وبعض المصنوعات الحجرية والمعدنية من نحاس وحديد. كما عثر على بعض المخطوطات الكنعانية والفينقية والمصرية. وقد تميزت بعض الصناعات بالطابع المحلى والصناعات المقلدة، وكان بعضها الآخر يجمع أنماطاً حضارية مختلفة يمكن للباحث أن يستخلص منها العديد من الحقائق التاريخية وجوانب العلاقات المختلفة بين فلسطين والأقطار المجاورة.

ومن المصادر التي تلقى أضواء على تاريخ كنعان وعلى علاقاتها مع مصر الدراسة التي قام بها (A. Rowe) ونشرت في كتاب:

A Catalogue Of Egyptian Scarabs, Scarboids, Seals and Amulets In The Palestine Archaeological Museum, Cairo, 1936, Government Of Palestine, Department of Antiquities.

ومن المصادر الحديثة مجموعة من الأواني الفخارية وبعض الأواني

والأدوات الأخرى المقلدة في فلسطين والأقطار المجاورة، وخير مثال على ذلك ما نشرته (Kantor) في كتابها:

Chronologies In Old World Archaeology, The Chronological Frame Work In Egypt.

وما نشرته من رسومات وصور لتلك الموجودات في الشكل رقم (٣) صفحة ٢٧.

ثم جاء في كتاب: Archaeology In The Holy Land, 1970, Third Edition, by K. Kenyon.

وبخاصة الموضوعات التالية: عصر البرونز الأوسط والهكسوس من صفحة ١٦٢- صفحة ١٩٥، ثم عصر البرونز الأخير ومجيء الاسرائيليين من صفحة ١٩٥ إلى صفحة ٢٢١.

كما يمكن الاستفادة من الدراسة التي قام بها جاردنر في كتابه:

Ancient Egyptian Onomastica, Volume I and II, Oxford University Press, 1947.

لا سيما المجلدان الأول والثاني، اللذان تناولا أسماء العديد من المواقع والمدن الكنعانية التي وردت في النصوص المصرية القديمة.

مصادر عثر عليها في سوريا ولبنان ذات صلة بتاريخ كنعان:

تشكل كنعان من بلاد الشام (سوريا الكبرى)، وقد ارتبط تاريخها ارتباطاً وثيقاً على مر العصور بتاريخ سوريا الكبرى «سوريا - لبنان - الأردن - فلسطين، وقد مرت هذه الأقاليم بظروف تاريخية وحضارية تكاد واحدة، وإن دراسة تاريخ وحضارة أي إقليم من هذه الأقاليم يلقي أضواء متكاملة على تاريخ الأقليم الآخر. ومن المصادر الهامة التي عثر عليها في هذه الأقاليم، وتلقي أضواء على تاريخ كنعان والعلاقات بينها في الفترة الزمنية موضوع الدراسة ما يلي:

التقارير التي نشرها (Braidwood, R. J.) عام ١٩٤٠ حول نتائج الحفريات التي جرت في الساحل السوري جنوب طرطوس. ومنها تقرير نشر

في شيكاغو حول نتائج الاستكشافات التي تم العثور عليها في سهل (Anthioch) وتقرير آخر حول نتائج الحفريات التي اجريت بمنطقة العمق.

ثم التقارير التي نشرها (.Garstany, J) (١٩٣٧-١٩٣٨) حول نتائج الحفريات التي جرت في (Cilicia).

وكذلك التقارير التي نشرها (.Goldman, H) في مجلة الأثار الاميركية (.A.J.A) حول نتائج الحفريات الأولية في Cilicia) عام ١٩٣٤، وفي Tarsus, Gozlukule) عام ١٩٣٥، وما نشره (.Hogarth, D.G) عام ١٩١٤، الجزء الأول لندن عن نتائج الحفريات التي جرت في قرقميش (Carchemich) ثم ما نشره (.Lawrence T.E. etal) حول نتائج الحفريات التي جرت في قرقميش، لندن، ١٩٤١-١٩٥٢.

مصادر عثر عليها خارج أرض كنعان وتلقي أضواء على تاريخ كنعان:

(أ) مصادر عثر عليها في مصر:

إن ما عثر عليه من مصادر في أرض مصر، وذات علاقة بتاريخ كنعان موضوع الدراسة، كان أكثر المصادر عطاء، وبخاصة ما وجد في شبه جزيرة سيناء، وفي منف، وأبيدوس وطيبه، والكرنك. وقد قام بعض مشاهير المؤرخين والعلماء المتخصصين ومنهم بريستد (J.H. Breasted)، وولسون (.J Wilson)، وسيث (K. Sethe) بترجمة ودراسة العديد منها. وإن دراسة هذه المصادر يمكن أن تلقي العديد من الأضواء على جوانب تاريخ كنعان في تلك الفترة، كما يمكن للباحث أن يتبين من دراستها جانباً كبيراً من العلاقات المصرية بكنعان.

إن ما يعود من هذه المصادر إلى مرحلة عصر البرونز المبكر (.E.B) في فلسطين حوالي الألف الثالث قبل الميلاد يعتبر قليلاً نسبياً، إذ أن مصر لم تشهد في عصر الدولة القديمة العديد من الاتصالات الخارجية مع المناطق الأسيوية أما المصادر التي تعود إلى مرحلة عصر البرونز المتوسط في فلسطين (.M.B) حوالي الألف الثاني قبل الميلاد الذي يعاصر نصفه الأول عهد الدولة

الوسطى، فهي متعددة وتشير إلى نشاط واسع بين الجانبين، ويزداد هـذا النشاط، وتتسع العلاقات بين الجانبين الكنعاني والمصري في نصفه الثاني في عصر الامبراطورية حيث أصبحت كنعان جزءاً من مصر وعلى إتصال وثيق بها. وتتضمن هذه المصادر التي عثر عليها في أرض مصر: أدوات كنعانية أو أسيوية بصورة عامة، أو رسوم لأفراد أو جماعات أسيوية أو كنعانية حضرت لمصر بقصد التجارة أو كأسرى حروب، أو تسجيل لمعارك حربية قام بها ملوك وقادة مصر ضد كنعان والمناطق الأسيوية المجاورة. وتعتبر النصوص والتسجيلات وبخاصة حوليات الملوك وكبار المسؤولين المصريين الخاصة بغزواتهم ونشاطاتهم في كنعان والمناطق الأسيوية المجاورة من أهم المصادر التي تم العثور عليها حتى الآن في مصر.

ولعل ما قام به «ولسون» من إعادة ترجمة وتعليق وإضافة ونشر تحت عنوان (Egyptian Historical Texts) في كتاب:

Ancient Near Eastern Texts. Relating To The Old Testament. Third Edition. With Supplement., Edited by James B. Pritchard. 1969.

من أفضل ما نشر حول هذه المصادر التي يمكن أن تفيد الباحث في هذا المجال ومنها:

- مصادر تعود إلى مرحلة عصر البرونز المبكر في فلسطين (حوالي الألف الثالث ق.م).

إن المصادر التي تعود إلى هذه المرحلة والتي تتناول بعض جوانب تاريخ كنعان والعلاقات بينها وبين مصر تعتبر ضئيلة نسبياً، وهي عبارة عن بعض المخطوطات والأختام التي تشير إلى نشاط حربي لبعض ملوك الدولة المصرية القديمة، كما تكشف عن إهتمامهم بالمناطق الأسيوية، وقد عثر على جانب منها في سيناء، كما عثر على جانب آخر في أبيدوس، ومنها حوليات الملك سنفرو من الأسرة الرابعة، وحجر باليرمو (Palermo). وقد نشرها ولسون تحت عنوان:

Brief Texts Of The Old Kingdom Asiatic Campaigns Under Pepi I.

مصادر تعود إلى مرحلة الألف الثاني قبل الميلاد (.M.B) في فلسطين:

(أ) النصف الأول من الألف الثاني ويشمل عصر الدولة المصرية الوسطى تقريباً، شهدت كنعان العديد من الاتصالات مع مصر في عصر الدولة المصرية الوسطى، فقد تميزت هذه المرحلة بنشاط كبير بين كنعان ومصر، فقد عثر على نصوص وتسجيلات على مسلة في أبيدوس موجودة الآن في متحف مانشستر برقم ٣٣٠٦ وقد نقش عليها تسجيل يشير إلى حملة للملك سنوسرت الثالث (١٨٨٠-١٨٤٠ق.م) في «رتنو»، واحتلال مدينة «ششن» الكنعانية، وهي غالباً مدينة «نابلس».

ومنها: تسجيلات وصور وجدت في مقبر أحد نبلاء الدولة الوسطى تصف وصول أحد أفراد الأمراء الأسيويين (الكنعانيين) لتجارة الكحل وأدوات التزجيج لتزجيج العيون، ويتضمن المنظر سبعة وثلاثين «آسيوياً» من «شوت».

ومنها أيضا نصوص تتعلق بحكم الهكسوس لمصر (١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق.م) وهي من النصوص النادرة التي عثر عليها، لأن المصريين تعمدوا تدمير جميع آثار الهكسوس بعد طردهم من مصر، وان ما وجد منها قد سجل في الفترات اللاحقة لطردهم من مصر.

(ب) مرحلة النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد: وتشمل معظم عصر الامبراطورية المصرية، عثر على معظم مصادر هذه المرحلة في مقابر طيبة، ومن حوليات الكرنك، ولوحة آرمانت (Armant) في معبد آرمانت، ومسلة باركال. وغالبيتها يسجل وقائع حروب تحتمس الثالث ضد كنعان والمناطق المجاورة. وتعتبر معركة «مجدو» عام ١٤٦٨ ق.م بنسبة الى مدينة مجدو الكنعانية التي تزعمت الدويلات الكنعانية والسورية ضد تحتمس الثالث أشهر هذه المعارك.

ويستطيع الباحث أن يتعرف من خلال حوليات «تحتمس الثالث» على العديد من المدن الفسطينية التي كانت موجودة في تلك الفترة، ولحسن الحظ لا يزال العديد منها موجوداً بنفس الأسماء حتى الآن، وان كان من الصعب

التعرف على أسماء وأماكن بعضها الآخر. ومن الأسماء المعروفة الآن: يافا، اللد، المجدل، جيزر، بيسان، مجدو وغيرها.

ومنها نصوص وجدت على لوحة ممفيس، والكرنك، والفنيتن (Fanten)، ولوحة الأمادا، تتعلق بالعلاقات السياسية الحربية التي تهدف الى تثبيت السلطان المصري في فلسطين وجنوب غربي آسيا في عهد امنحتب الثاني، وهي تلقي أضواء على الأحوال العامة في كنعان في هذه الفترة وعلى العلاقات بين الجانبين الكنعاني والمصري.

ومن هذه المصادر أيضا مناظر ونصوص من مقابر طيبة تبين العلاقات الاقتصادية بين مصر والأقطار المجاورة، وقد وجدت في مقبرة رقم (١٠٠) ل «رحم مي رع» وزير تحتمس الثالث، ومقبرة رقم (٨٦) لكبير كهنة آمون في عهد تحتمس الثالث والمقبرة رقم (٧٤) ل «زانيني» الموظف في الجيش المصري.

كما وجدت نصوص على الجدار الشمالي لبهو الأعمدة الأكبر في الكرنك تشير الى النشاط الحربي للملك «سيتي الأول» في جنوب وشمال فلسطين، وذلك بهدف تهدئة الأحوال المضطربة ضد الحكم المصري بعد العصر المعروف بعصر العمارنة المليء بالاضطرابات ضد مصر سواء في كنعان أو الأقطار الأسيوية المجاورة. ويصور أحد المناظر تحركات الملك بجيشه على الطريق الحربي عبر سيناء على طول الشاطىء بين الحدود المصرية وكنعان، كما تبين مناظر أخرى مهاجمة جيش «سيتي» لقصر كنعاني محصن واحتلاله. وتلقي هذه النصوص أضواء على الوضع السياسي لفلسطين في هذه المرحلة وعلاقاتها مع مصر كما تبين لأول مرة بواسطة الخرائط وسائل الاتصال بين مصر وكنعان.

وقد عثر في معبد «رمسيس الثالث» بمدينة «حابو» في طيبة على نصوص ورسومات تبين كفاح الملك المصري «رمسيس الثالث» ضد تحركات شعوب البحر، البرية والبحرية ومنهم (الفلسطينيون) نحو الأراضي الفلسطينية والمصرية.

مصادر عثر عليها في وادي الرافدين:

يرتبط تاريخ وحضارة وادي الرافدين ارتباطا كاملا بتاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم، كما يرتبط بعلاقات هامة بتاريخ وحضارة «كنعان»، وتبدو هذه العلاقة واضحة من خلال النشاط السياسي والاقتصادي والبشري للحضارة «الميزوبوتامية» في المنطقة، وبخاصة خلال النشاط الأشوري والكلداني في القضاء على مملكتي «اسرائيل» و«يهوذا».

وإن ما عثر عليه من مصادر في «أرض الرافدين» ويشير الى العلاقات بينها وبين كنعان، في المرحلة الزمنية موضوع الدراسة، فهو قليل العدد نسبيا حتى الآن، وقد تركز معظمها على العلاقات السياسية والثقافية بين الجانبين في فترات مختلفة.

ويمكن للباحث الاستعانة بالدراسة التي قام بها (Oppenheim, A. Leo) التي تناولت جانبا من هذه المصادر، وذلك باستخلاص المجالات المختلفة التي تناولتها العلاقات بين الجانبين. وقد نشرت تلك الدراسة تحت عنوان: (Babylonian and Assyrian Historical Texts.) في كتاب: (Ancient Near Eastern Texts, 1969.) ثم ما نشره (Braidwood, R.J.) عن نتائج الحفريات التي جرت في سهل أنطاقية (Anthioch) عام ١٩٦٠.

وكذلك ما نشره بالصور عن القرى الزراعية الأولى في عام ١٩٥٦. ومن هذه المصادر ما نشره (Hogarth, D.G.) عن نتائج حفريات «قرقميش» تحت عنوان: (Carchemich, Part I, London, 1914) ثم ما نشره (Lawrence, T.E.) عن نتائج الحفريات التي جرت في قرقميش في المراحل التالية تحت عنوان:

Carchemich Excavations, vol.I, 1914 (Vol.II, the town defences, 1921, vol.III, the Excavation in the Inner town carchemich).

ومنها أيضا التقرير الذي نشره (Woolly, C., leonard) عن نتائج الحفريات التي أجريت في قرقميش عام ١٩٣٤ تحت عنوان:

The prehistoric Pottery of carchemich (Iraqi), 1934, XVIII-XXI.

وما نشره أيضا عن نتائج الحفريات التي أجريت في «الالاخ» في المراحل التالية تحت عنوان:

Alalakh: An Account of the Excavations At Tell Atchana, 1937-1949 1955.

ثم ما نشره (Nelson, H.H.,) عن نتائج حفريات بيبلوس، تحت عنوان:

Fragments of Egyptian old Kingdom, stone Vessels From Byblos, Berytus, I,1934, pp.19-22.

أما المصادر الأخرى الهامة بين الجانبين وبخاصة في مرحلة الألف الأول قبل الميلاد فهي أكثر عددا وسيرد عرضها ومناقشتها فيما بعد وفي مرحلتها الزمنية المناسبة.

مصادر عثر عليها في أرض الحثيين:

إن ما عثر عليه في «أرض الحثيين» من مصادر، وذات صلة بتاريخ «فلسطين» يعتبر قليلا نسبيا، وقد نشر (Albrecht Goetze) جانباً منه تحت عنوان: «النصوص التاريخية الحثِّية» وذلك في كتاب: (A.N.E.T.,1969) ومنها ما جاء تحت عنوان:

- Hattusilis on Muwatallis.
- War Against Egypt.
- Suppilu Liumas and the Egyptian Queen.

وهي موضوعات ذات علاقة في المرحلة الزمنية التي تتناولها الدراسة.

إن معظم المصادر الهامة التي أشرنا اليها سواء عثر عليها في أرض فلسطين أو في الأقطار المجاورة ذات العلاقة بتاريخ فلسطين القديم، قد خضعت لأبحاث ودراسات وتقارير من خلال فلسفة معينة أو أهداف خاصة لتغطية بعض الجوانب التاريخية لفلسطين خلال فترات زمنية محددة وفيما يتعلق منها مباشرة بتاريخ فلسطين القديم فقد كان أبرزها الدراسات والأبحاث التي قام بها دعاة الصهيونية في ظل الاحتلال البريطاني لفلسطين فخضعت لتحقيق أهداف معينة تتعلق بتحقيق ما جاء في التوراة ولخدمة أهداف سياسية

وعسكرية في معظم الأحيان فجاءت هذه الدراسات مبتورة وغير مترابطة لابتعادها عن الموضوعية والحقائق العلمية المتكاملة وبخاصة لخضوعها لتفسيرات وغايات وضعت مسبقا.

أما ما يتعلق بالأقطار المجاورة وعثر عليها في أرض فلسطين فقد تطرقت لجوانب أو مجالات محددة أو فرعية تدخل ضمن اطار العلاقات مع تلك الأقطار.

وقد حاولت في هذه الدراسة الجمع بين هذه المصادر في مراحلها المختلفة ودراستها بصورة مترابطة متكاملة من جميع جوانبها في محاولة لوضع تاريخ واضح لتحديد المعالم الرئيسية لتاريخ فلسطين القديم منذ أقدم العصور حتى عصر الحديد في ظل الاطار التاريخي والحضاري للأقطار العربية المجاورة.

وفي ضوء ذلك تم جمع وتصنيف وتحليل هذه المصادر المختلفة المباشر منها وغيرالمباشر سواء التي عثر عليها في فلسطين أو خارجها ضمن اطار تاريخي محدد يتناول تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى «عصر الحديد» حوالي ١٢٠٠ق.م بحيث تتناول هذه الدراسة أهم معالم تاريخ وحضارة فلسطين في العصور الحجرية القديمة ومرحلة العصر الحجري الحديث وعصر الحجر والنحاس والعصر التاريخي، واستقرار الكنعانيين في أرض فلسطين وما يعرف بعصر البرونز المبكر والوسيط والأخير حتى الفترة التي تميزت بتعرض فلسطين للغزوات الخارجية والتحركات البشرية ومنها احتلال العناصر الهندوأوروبية المعروفة بالفلسطينيين والعناصر الاسرائيلية مع نهاية الألف الثاني ومطلع الألف الأول ق.م. لأجزاء من أرض فلسطين.

الفصل الثاني
أبرز معالم تاريخ فلسطين القديم

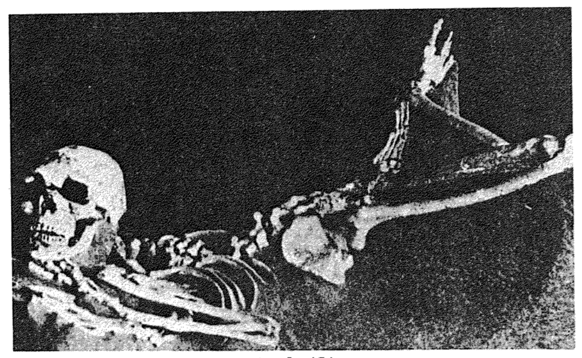


فلسطين من أقدم مواطن الانسان حضارة:

تدل الأثريات التي خلفتها حضارة الشرق الأدنى القديم على أن فلسطين تحتل مكانة هامة بين بلدانه الكبرى، فقد وجد فيها «إنسان فلسطين» أو»«إنسان الكرمل» الذي عثر على هياكله العظمية في مغارة السخول بجبل الكرمل بشمال فلسطين، والتي تتراوح بين الهياكل العظمية لرجل «النبندرثال» والهياكل العظمية «للانسان العاقل».

ويعتبره العلماء وكبار الباحثين الامتداد المتواصل لتطور الجنس البشري، وحلقة اتصال بين «الانسان البدائي» و«الانسان العاقل»، فهو متوسط القامة لكنه غير منتصب تماماً وممتلىء الجسم وضخم الرأس، تنحدر جمجمته نحو الأمام، وكان يسكن الكهوف والمغاور، ويقتات بما يجمعه من نبات أو حيوان. أما أدواته فكانت عبارة عن فؤوس يدوية أو أدوات مصنوعة من الحجر، ويحتمل أنه عرف النار، وعلى الرغم من أنه يشبه الانسان العاقل إلا أنه كان مخلوقاً لم تبرز فيه صفات الانسانية تماماً. ويقدر وجود هذا الانسان على الأرض بحوالي ١٠٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد الأمر الذي يعطي الدليل على أن فلسطين العريقة من أقدم مواطن الانسان.

وتشير النتائج التي توصلت إليها الكشوف الأثرية في فلسطين إلى وجود قرى ومدن من أقدم ما عثر عليه في منطقة الشرق الأدنى القديم. وتعتبر



شكل رقم (١)

إنسان الكرمل أو إنسان فلسطين وجد في مغارة السخول بجبل الكرمل بشمال فلسطين، وهو من أقدم الهياكل البشرية التي وجدت حتى الآن إذ يجمع بين خصائص إنسان نياندرثال والانسان العاقل ويعاصر زمنياً إنسان الجليل.

مدينة أريحا[١] وهي أقدم مدن فلسطين التي تم الكشف عنها حتى اليوم خير مثال لحضارة العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم فآثارها تدل على وجود حياة منتظمة تتمثل في بيوت من الحجارة، وشوارع منظمة، وأسوار، وأبراج وسور حجري ما زالت آثاره باقية على ارتفاع ١٢قدماً. وأقيمت في المدينة قلعة ومجموعة من خزانات المياه[١] وقنوات مائية تستخدم في الزراعة حيث عثر على بقايا من حبوب ومناجل تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد[٢].

---

(١) ج. هاوكسوولي، أضواء على العصر الحجري الحديث ترجمة يسرى الجوهري، بيروت ١٩٦٧، ص١٠.

(٢) Kenyon, K. The Beginning of settlech life, in, Archaedogy in the holyland, third edition, London, 1969, p.43.

كانت أريحا القديمة تقوم على الموقع الذي يعرف اليوم «بتل السلطان» أو«بعين السلطان»، وهو على بعد ٢كلم للشمال من مدينة أريحا الحالية. وقد شهد هذا الموقع العديد من أعمال الحفر والاستكشاف الأثري وحدد المؤرخون تاريخه بالعصر الحجري حوالي الألف السادس ق.م. ويرى العابدي[١] أن أول نواة حكومة نشأت في هذه المدينة. كما يرى جارستنج[٢] (J. Garstang) أن صناعة الخزف قد قامت في هذه المدينة.

ويتبين مما عثر عليه من مخلفات المدينة ومما نشره المختصون عنها ومنهم كينيون (K. Kenyon) عام ١٩٦٢ عن نتائج الحفريات التي جرت في أريحا جريكو (Jericho) ١٩٥٢ - ١٩٦٠ إلى أن المدينة تحتل مكانة حضارية هامة في منطقة الشرق الأدنى القديم. وفي العهد الكنعاني أصبحت من المدن الكنعانية الهامة، وكانت على صلات حضارية بالأقطار المجاورة أما مدينة أريحا اليوم وتنطق «ريحة» فهي تسمية كنعانية الأصل من يريحو (يرح)، والأريح وتقع جنوبي المدينة القديمة بنحو ٢كلم وعلى بعد نحو ٣٧كلم من مدينة القدس، وقد قامت المدينة الحالية بعد تدمير المدينة القديمة. وذلك مما يدعم الرأي القائل بأن مدينة أريحا من أقدم مدن العالم وجوداً إن لم تكن أقدمها.

السمية بكنعان

عرفت «فلسطين» قديماً باسم كنعان أو «أرض كنعان» وقد تعددت الآراء في هذه التسمية فمن الناحية اللغوية يرى بعض المؤرخين أن إسم «كنعان» (Kanan) سامي مشتق من فعل «كنع»[٣] (Kena) ويعني باللغة الفينيقية «منخفض» أو«انخفض»[٤] وان «الكنعانيين» تعني سكان المنخفض، وربما جاءت هذه التسمية للتمييز جغرافياً بين الساحل الكنعاني والفينيقي المنخفض بالنسبة للمرتفعات المجاورة وبخاصة في لبنان.

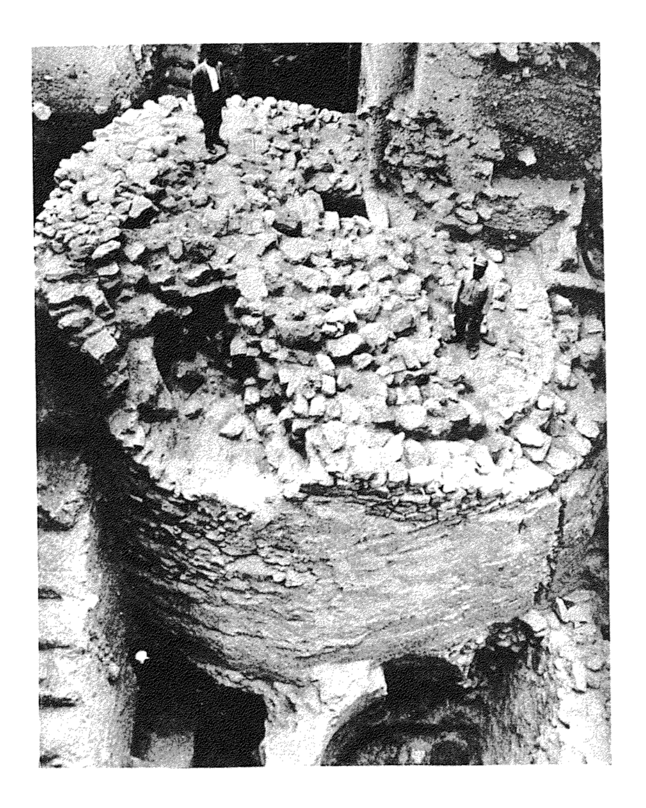
---

(١) الحفريات الأثرية في الأردن وفلسطين، عمان ١٩٦٢، ص٤.

(٢) الحفريات الأثرية بفلسطين ١٩٣١ - ١٩٣٦، مجلة الآثار الفلسطينية (Q.D.A.P.)

(٣) (Smith, Historical Geography, pp. 4—5.

(٤) محمود عبد القادر، الساميون في العصور القديمة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٨، ص١٩١. (Barton. Semitic and hamitic, p.80).



شكل رقم (٢)

برج دائري من الحجر وبداخله درج يصل إلى القاعدة، يعود تاريخه إلى العصر الحجري الحديث المبكر حوالي ٨٠٠٠ق.م، وكان يستخدم للدفاع عن مدينة أريحا. ويعتبر إحدى العمائر الأولى التي بناها الانسان الفلسطيني على أسس هندسية متطورة.

كما وردت هذه التسمية في اللغة «الحورية كناجي»[١] (Knaggi) وفي اللغة «الأكادية» «كناخي»[٢] (Kinakhni) وكلاهما يعني الصبغة القرمزية الحمراء.

وقد شاعت تسمية «كنعان» في الألف الأول ق.م. ببلاد الأرجوان، كما أطلق اليونانيون عليها إسم فينكس[٣] (Phoenix) وتعني اللون الأحمر كما عرفت بالعبرية «كنعان» أي بلاد الأرجوان[٤].

وإن ارتباط هذه التسمية بصناعة الأصباغ التي اشتهرت بها بعض المدن الساحلية الكنعانية والفينيقية تلك الأصباغ الأرجوانية التي كانت تستخرج من حيوانات بحرية قرب شواطئها لا يحول دون ترجيح آراء الآخرين ومنهم الدباغ[٥] بأن هذه التسمية «كنعان» سامية عربية نسبة إلى جد الكنعانيين الأول «كنعان» وذلك على عادة العرب في تسمية قبائلهم «بني مخزوم»، بني تميم أو«بني كنعان» ويتفق المؤرخون عامة وبخاصة المهتمون بتاريخ وحضارة المنطقة، ومنهم كينيون[٦] (K.Kenyon) وأولبريت[٧] (W.F. Albright) وديفو[٨]

---

(١) نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف القاهرة، ك٣، ١٩٦٤، ص٤٧. (Astor, M.C. Journal of near Estern studies, vol. XXV, 1965, p.346).

(٢) Mercer, S. The tell El Amarna tablets, turunto, 1959, volI, p.25.

(٣) يرى ملر (W.M. Muller) أن الاغريق أطلقوا هذه التسمية على التجار والبحارة الكنعانيين على أساس أن وجوههم كانت بلون النحاس من تأثير الشمس. ثم أطلق الاسم بعد ذلك على لون الصبغة الأرجوانية التي كان يستخدمها الفينيقيون من بعض قواقع البحر.

(٤) Albright, W.F. Studies in the history of culture, menasha, 1942, p.25.

(٥) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، منشورات دار الطليعة، بيروت ١٩٦٤، ص٣٧٨، مطران الدبس، المجلد الأول، بيروت، ١٨٨٣، ص٢٥٥، نقلاً عن المؤرخ الروماني «بليني».

(٦) Kenyon, K. OP. Cit., p.202.

(٧) Albright, W.F. Archaeology in palestine, 1963, p.109.

(٨) Vaux, R. De, outline of history, cambridge ancient history, 1966, p.27.

(Vaux De) وبريستد[1] (Breasted) على أن الكنعانيين ساميون وأنهم من الجزيرة العربية وأنهم الشعب السامي الذي ساد فلسطين منذ بداية عصر البرونز المبكر ويمثل استيطانهم أثرياً بالمرحلة الأولى أ،ب من عصر البرونز المبكر (Early Bronze, I.A.B.) ما بين (٣٢٠٠ - ٢٩٠٠ قبل الميلاد)[2] رغم أن هذا الاسم «كنعان» لم يظهر إلى حيز الوجود إلا في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد - وربما هذا ما دعا بعض المؤرخين إلى اعتبار أن «كنعان» اصطلاحاً ثقافياً، وعندما برزت الحضارة الكنعانية في عصر البرونز المتوسط حوالي الألف الثاني قبل الميلاد.

وانتشرت شواهدها من شمال فلسطين إلى جنوبها اعتبرها المؤرخون حينذاك أنها «اصطلاحاً» سلالياً.

ولا يتفق المؤرخون في تحديد المنطقة التي نزح منها الكنعانيون، يرى أنيس فريحة[3] أنهم قدموا من شمال الجزيرة العربية دون أن يعين مكاناً محدداً، أما جرير الطبري فقد ذكر أن الكنعانيين من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة[4]، وقد أخذ عنه ابن خلدون[5] وغيره من

---

(١) بريستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، القاهرة، سنة ١٩٢٩.

(٢) Vaux, op. Cit., p.28.

(٣) أنيس فريحة، «المقدمة التاريخية»، أسماء المدن والقرى اللبنانية.

(٤) العمالقة: إحدى القبائل الكنعانية، وكانوا يقيمون في جنوب فلسطين (ابن خلدون)، تاريخ ابن خلدون، مصر ١٩٣٦، ١/٤٤،٢/٧٠. ويرى الطبري وابن خلدون أنهم كانوا يقيمون في المنطقة الكائنة إلى الغرب والشمال الغربي من البتراء، وفي سيناء، أما مدنهم الرئيسية وأن كانت غير معروفة فيرجع أنها كانت في منطقة بئر السبع مجاورين للمؤابين والمدنيين. وقد ورد ذكرهم في التوراة في صموئيل الأول: الاصحاح ١٥: ١-٤، حيث يقول: «... وقال صموئيل لشاول... اضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تقف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً وغنماً وجملاً وحماراً.» والمعروف أن العماليق وقفوا في وجه النبي موسى وقومه عندما نزحوا من مصر وحاولوا دخول فلسطين من جنوبها. ويذكر (قاموس الكتاب المقدس: ٢/١١٣) أنه يوجد جبل اسمه جبل العمالقة قرب نابلس وكانت تقع عليه مدينة «فرعتون» المعروفة باسم «فرعتا» على بعد ١٠كلم غربي نابلس.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصر ١٩٣٦، ١/٩، ١/١٠.

المؤرخين، بينما حدد آخرون موطنهم الأصلي بمنطقة الخليج العربي[1] أما بليني، فيرى أنهم نزحوا من أرضهم الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي شرق الجزيرة العربية، ومن ثم حملوا إسمهم إلى وطنهم الجديد. ونظراً لوجود أماكن في شرق الجزيرة العربية تحمل أسماء المدن نفسها التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الفينيقي الكنعاني مثل «صور» على ساحل عمان «وجبيل» على ساحل الاحساء وجزيرة «أرواد» (Aradus) في البحرين، فالأرجح أنهم قدموا من شرق الجزيرة العربية ثم اتجهوا إلى ما سمي بالهلال الخصيب ثم شرقاً إلى ساحل البحر المتوسط (السوري الفلسطيني)، حيث استقروا هناك وعرفوا بالكنعانيين، كما يحتمل أنهم جاءوا إلى فلسطين من الجنوب عن طريق «النقب»[2]، ومن الشرق عن طريق شرق الأردن، ويدل على ذلك أسماء المدن القديمة في فلسطين سواء أنشأوها أم أقاموا بها مثل «أريحا»، «وبيت شان» (بيسان) ومجد وعكا وصيدا، [3] ثم انتقلت إحدى قبائلهم إلى الشاطىء مكونة امتداداً كنعانياً عند الساحل، وهناك عرفت بالفينيقية، حيث أسسوا سلسلة من المدن الساحلية مثل «صور» «وصيدا» و«أرواد». ويرى «ريمان» (Reman) أن هذين الاسمين فينيقياً و«الفينيقيين» جاءوا من التراث الاغريقي، وأن الفينيقيين كانوا يعرفون أنفسهم «بالكنعانيين» وكانت بلادهم تعرف باسم «كنعان»، ويحددهم علماء اللغات المحدثون بالكنعانيين الشماليين ولغتهم بالكنعانية القديمة[4]. والواقع أن اللغة

---

(١) تقرير لجنة المتحف البريطاني سنة ١٨٨٩.

(Herodotus, the histories, penguin books, london, reprinted, 1974, p.7, 84, 167, 274.

(٢) النقب: أو«النجب» ويعرف بقضاء بئر السبع، وهو القسم الجنوبي من فلسطين، ويشمل منطقة الصحراء الفلسطينية الواقعة في جنوبه، وهو مثلث الشكل، ومساحته نحو ١٢٫٥٧٧كلم٢ أي ما يقرب من مساحة نصف فلسطين، وأكثر من ٧٩٪ من مساحة الصحراء الفلسطينية جميعها، ويحتل النقب مكاناً هاماً بالنسبة لفلسطين، وقد ورد ذكره في عهد الملك تحتمس الثالث وامنحتب الثاني.

(٣) Gardiner, A.H. Ancient Egyption onomastica, V.I. 1947, p.136.

فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، بيروت ١٩٥٨، ص٨٨.

(٤) Reman, Mission on phenicie. PP. 278—888.

العبرية كلتاهما اشتقت من اللغة الكنعانية الأصلية(١)، وقد جمع الأصل الواحد والحضارة الواحدة بين الكنعانيين والفينيقيين، كما أنهما لعبا دوراً هاماً في تاريخ المنطقة.

ويتضح مما سبق من آراء أن الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد وهم ساميون من الجزيرة العربية سواء أكان مصدر التسمية نطاق أقامتهم المنخفض بالنسبة لجبال لبنان المرتفعة أو لشهرتهم بصناعة الأصبغة الحمراء، كما يبقى للرأي القائل بنسبهم إلى جدهم الأول كنعان الوجاهة والترجيح.

تسمية أرض كنعان بفلسطين

أطلق المؤرخ اليوناني هيرودتس(٢) (Herodotus) إسم «فلسطين» على «أرض كنعان» وقد جاءت هذه التسمية نسبة إلى إحدى القبائل الايجية الهند - أوروبية المعروفة باسم «بيليستي» (Pelesti) أو«بالستو» (Assyr.: Palastu) أو«برست»(٣) (Prest) التي غزت كنعان حوالي ١٣٠٠ق.م(٤) واستطاعت الاستقرار فيها فترة من الزمن وقد انتشر هذا الاسم «فلسطين» في العالم الغربي على يد الرومان بعد أن أطلقه المؤرخ اليوناني هيرودوت على الجزء الجنوبي الغربي من سورية، ومن ثم أصبح علمًا على أرض كنعان.

الإطار الجغرافي لتاريخ فلسطين:

إن الباحث في تاريخ أرض كنعان يتبين له أن موقعها الجغرافي وتضاريسها الطبيعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخها الحضاري. فموقع كنعان المميز في غرب قارة آسيا وفي جنوب غرب سوريا أكسبها مميزات حضارية

---

(١) محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، بيروت ١٩٦٩، ص٢١٢.

(٢) Herodotus, op.Cit., p.7, 84, 167, 274.

(٣) Rowe, A., A Catalogue of egyptian scarabs in palestine, Archaeologyical Museum, cairo, 1936, p.36.

...راق للمؤلف سنة ١٩٧٢.

هامة، فهي تحتل أجزاء هامة من المعبر السوري - الذي كان يعتبر طريقاً تجارياً رئيسياً إذ كان همزة الوصل بين الشرق والغرب وجسراً للوصل بين مصر وشمال أفريقيا من ناحية وبين دول آسيا من ناحية أخرى مما أتاح لها الفرصة أن تتأثر بالحضارات المجاورة وأن تؤثر فيها، وأن تكون في النهاية ذات طابع حضاري مميز.

ومن ناحية أخرى فإن امتداد طرق التجارة والمواصلات القديمة عبر أراضي كنعان منذ أقدم العصور جعلها جسراً تعبره جيوش العالم القديم: الجيوش المصرية والحِثية والأشورية والبابلية والفارسية وغيرها، سواء التي كانت تريد توسيع رقعة امبراطوريتها لتضم إليها أجزاء من الأقطار المجاورة، أو التي تريد بسط نفوذها على طرق التجارة الدولية.

وليس مصادفة أبداً - لكل هذا - أن تشهد هذه البقعة من الأرض قيام الديانة الموسوية والمسيحية وانتشار المقدسات الاسلامية.

إن موقع كنعان المتوسط بين الدول والامبراطوريات الكبرى القديمة وبخاصة مصر والعراق، بالاضافة إلى تضاريسها الطبيعية: من سهول ساحلية وجبال مرتفعة تشرف على سهول وأغوار، أو جبال مرتفعة تأخذ في الانحدار تدريجياً حتى تنتهي بالصحراء، جعل من الصعب أن تقوم في أرض كنعان دولة موحدة قوية ذات استقلال سياسي مستقر لفترة طويلة، إلا أن الباحث يرى أن المدن الكنعانية والفينيقية كان لها شخصيتها وكيانها، وأن الحضارة الكنعانية لها طابعها المميز في المنطقة.

لقد ساهم موقع كنعان المتوسط بين الحضارات الرئيسية في المنطقة، ومرور طرق التجارة الهامة فيها، مساهمة فعالة في تشكيل تاريخها الحضاري. فقد أتاح هذا الموقع الفرصة أمام الكنعانيين للمساهمة في النشاط التجاري الخارجي المار بأراضيها وما تبع ذلك من ازدهار المحطات والمدن التجارية الكنعانية التي تقع على طرق التجارة العالمية وبالتالي ازدهار التجارة المحلية

وما ترتب على ذلك كله من احتكاك حضاري بين الكنعانيين والشعوب المجاورة، مما يقتضي أهمية التعرف على أهم ملامح تضاريس كنعان وطرق التجارة التي كانت تمر بها.

طرق التجارة القديمة التي كانت تمر بكنعان:

لقد كانت تمر بأرض كنعان معظم الطرق التجارية الهامة في الشرق الأدنى القديم تربط الشرق بالغرب، والتي كانت تسلك المسارات التالية:

١ - الطريق الشمالي الذي يربط الشرق بالغرب بين المحيط الهندي وبحر العرب عبر الخليج العربي وامتداده البري إلى ساحل البحر المتوسط، والذي كان يعرف بالمعبر السوري، حيث كانت تجمع التجارة المنقولة بحراً من المحيط الهندي وبحر العرب إلى ساحل الخليج العربي، ومن ثم تنقل براً إما عن طريق شرقي نهر دجلة بحذاء مرتفعات فارس عبر الطريق المعروف بطريق السفوح الذي يسير من شمال آشور أو نينوى (الموصل الحالية) ثم يتجه غرباً في أرض الجزيرة إلى ثنية نهر الفرات ثم إلى حلب فممر أمانوس إلى الساحل الفينيقي على البحر المتوسط، أو تنقل هذه التجارة من الخليج العربي عبر البادية إلى تدمر ثم دمشق ومنها إلى الأراضي الكنعانية عبر المنطقة المعروفة «بجسر بنات يعقوب» مخترقة نهر الاردن إلى سهل مرج بنى عامر (أزدر اليون) بما يعرف بفتحة اليرموك أو الباب الشمالي الشرقي، ومنه إلى مدينة مجدو وجازر ثم عاقر ومنها إلى الساحل الكنعاني في مدينة يافا أو غزة.

ومما تجدر الاشارة إليه أن هذا الباب الشمالي الشرقي سلكته عناصر سامية وغير سامية منذ أقدم العصور، حيث تركت آثارها الثقافية في المنطقة، وقد عرّف علماء السلالات البشرية هذه العناصر باسم الشعوب الأرمنية.

٢ - الطريق الجنوبي: من المحيط الهندي إلى موانئ بحر العرب على

الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية حيث تقوم بوديمون «عدن»، «وقنا» ومنها يتجه الطريق براً ماراً بمدينة مأرب على السفوح الشرقية لهضبة اليمن ثم الطريق بمحاذاة ساحل البحر الأحمر إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط. عبر أراضي كنعان، التي كانت تتجمع فيها التجارة القادمة من المحيط الهندي.

ولتفصيل هذا الطريق بعد مدينة مأرب نجده يتجه شمالاً إلى مكة، ثم المدينة ثم تيماء ثم البتراء، ومن البتراء يتفرع إلى طريقين: الطريق الأول يتجه إلى الساحل الكنعاني عبر ممرات طبيعية منها طريق يتجه إلى مدينة بئر السبع وغزة، والطريق الثاني يتجه ألى صور وصيدا على الساحل الفينيقي، أو تنقل التجارة من عدن بحراً إلى البحر الأحمر ثم العقبة، ومن العقبة أما أن يتجه رأساً إلى البتراء أو يتجه شمالاً إلى عين غضان في وادي العربة ثم إلى مدينة غزة مباشرة أو إلى غزة عن طريق مدينة بئر السبع.

ويتبين للباحث أن كلا الطريقين اللذين يمران بالجزيرة وينتهيان بساحل البحر المتوسط يعتبران طريقين طبيعين للقوافل، ومن الراجح أن التحركات البشرية التي اتجهت إلى أرض كنعان في عصورها المختلفة وبخاصة الموجات السامية منها قد سلكت هذه الطريق إلى جانب الطرق الأخرى التي سلكتها، وذلك لصلاحيتها ووجود موارد الماء والمحطات الحضارية فيها.

٣ - الطريق الذي يصل مصر وشمال افريقيا بغرب آسيا عبر الأراضي الكنعانية، وقد كان لهذا الطريق أهمية كبيرة في تاريخ الشرق الأدنى القديم وبخاصة في علاقات مصر الأسيوية، فقد سلكته القوافل التجارية المصرية والكنعانية منذ عهود الدول القديمة كما اخترقته الجحافل المصرية والأسيوية (من مصريين وحثيين وآشوريين وبابليين وفرس وغيرهم، في عهد الامبراطورية المصرية والعهود التالية.

ويتخذ هذا الطريق مسارين رئيسين:

المسار الأول وهو ساحلي ويبدأ في دلتا النيل ويسير بمحاذاة الساحل إلى

قرب مدينة القنطرة الحالية، ومنها يستمر بمحاذاة ساحل سيناء إلى العريش ثم إلى مدينة رفح في الأراضي الكنعانية، ومن ثم إلى مدينة تل العجول قرب مدينة غزة الحالية ثم ثم إلى غزة، ومن ثم إلى مدينة أسدود، ومن مدينة أسدود يتفرع إلى فرعين: فرع يستمر بمحاذاة الساحل إلى مدينة يافا مخترقاً السهل الساحلي الفلسطيني إلى مدينة الطنطورا فساحل الكرمل منه لى مدينة عكا ثم صور وصيدا على الساحل الفينيقي ومنها شمالاً إلى آسيا الصغرى.

أما الفرع الآخر فيتجه من مدينة أسدود إلى داخل الأراضي الكنعانية إلى مدينة عاقر، ثم مدينة جازر فرأس العين، ثم مجدو، ومنها إلى سهل مرج بني عامر، ثم يجتاز نهر الاردن عند جسر بنات يعقوب إلى دمشق ومنها إلى شمال سوريا وآسيا الصغرى.

أما المسار الثاني ويصل مصر وشمال أفريقيا بسوريا وآسيا عبر الأراضي الكنعانية، فيبدأ من بحيرة التمساح ماراً بشمال سيناء ثم يتجه إلى داخل أرض كنعان إلى مدينة بئر السبع ثم مدينة الخليل فمدينة القدس ومدينة نابلس ثم سهل مرج بني عامر ومنها يعبر نهر الاردن ويلتقي بالفرع الثاني من الطريق الأول.

وتشير الأدلة الأثرية المختلفة التي تم الكشف عنها في مواقع المدن والمحطات التجارية التي كانت تمر بها الطرق التجارية إلى ازدهار هذه المدن كما أن طابعها الحضاري مزيج من الحضارة المحلية والحضارات المجاورة.

ومن ناحية أخرى فإن موقعها الجغرافي المميز بين الدول الكبرى المجاورة وكونها معبراً لطرق التجارة والمواصلات جعلها مطمعاً للدول التي تطمح في السيطرة على طرق التجارة والمواصلات أو التي تريد أن تزيد من رقعة امبراطوريتها في مواجهة الدول الأخرى.

تضاريس كنعان:

إن الباحث في تاريخ كنعان يتبين له أن مساهمة تضاريسها في تشكيل كيانها السياسي بخاصة وتاريخها الحضاري بعامة لا يقل أثراً عن اسهام موقعها الجغرافي، فتضاريس كنعان تعتبر مزيجاً من المرتفعات الشاهقة والسهول المنخفضة والأودية الأكثر انخفاضاً. هذه التضاريس بالاضافة إلى موقعها الجغرافي بين الدول الكبرى الذي سبقت الاشارة إليه جعل من الصعب قيام دولة واحدة مستقلة في أرض كنعان، وإنما ساعد هذا كله على قيام نظام المدينة الدول (City States) أو الدويلات المستقلة في الأرض الكنعانية. كما كان للتضاريس والمناخ أثر هام في توزيع السكان، فقد سكن السهل الساحلي العدد الأكبر منهم، بينما سكن بعضهم في وادي الاردن، واستقرت البقية الباقية في المناطق الجبلية.

١ - السهل الساحلي لكنعان:

يلي الساحل الكنعاني الذي يمتد على البحر المتوسط من رأس الناقورة إلى رفح، وهو باستثناء خليج - عكا يكاد يكون مستقيماً ويخلو تقريباً من الموانئ الطبيعية، والسهل الساحلي عبارة عن شريط رملي منبسط لا يكاد يتعرج في أي جزء من أجزائه فيما عدا نتوءاً صغيراً عند يافا وغزة، ويستدل من الأدلة التاريخية المختلفة أن طبيعة هذا الساحل حالت في معظم الأحيان

دون اقتحام الغزاة له فقد لجأ المصريون والفلسطينيون واليونان والرومان والصليبيون والعثمانيون ونابليون وابراهيم باشا والبريطانيون إلى دخوله إما من الجنوب أو من الشمال. وقد كان لمصر مصالح دائمة في هذا الساحل منذ عهد الدول المصرية القديمة وعلاقتها التجارية مع بيبلوس على الساحل الفينيقي.

وقد استمرت هذه العلاقة في عهد الامبراطورية المصرية والعهود

التالية. ولما انكمشت الامبراطورية المصرية في آسيا ظلت محافظة على ثغور أمامية على حدود كنعان الجنوبية وذلك محافظة على مصالحها الاقتصادية والأمنية. وكانت مدينة غزة في رأي حكام مصر تشكل خط الدفاع الأول عن الامبراطورية المصرية. كما امتاز الساحل الكنعاني بدور الوساطة، فقد كان وسيطاً في نقل التجارة من اقليم إلى آخر وبين مصر وآسيا، ووسيطاً في نقل الثقافات والحضارات بين الشرق والغرب من مركز حضاري إلى آخر، وقد ترتب على هذا الدور التفاعل الحضاري الكنعاني مع الأقطار المجاورة في ضوء العوامل الجغرافية والتاريخية والمؤثرات المحلية لكنعان.

ومن ناحية اخرى فقد اعتمد الكنعانيون على الموارد الزراعية في هذا السهل الساحلي، ويعرف قسمه بين حيفا ويافا باسم «صارون» وهي تسمية كنعانية بمعنى «سهل» و«مرج»، وقد شهد الجزء الجنوبي لهذا السهل الاستقرار المبكر للعناصر الفلسطينية القادمة من بحر ايجه. وبالاضافة إلى خصوبة هذا السهل فقد كان يشغل جزءاً هاماً من الطريق الرئيسي الذي يصل بين مصر وشمال أفريقية بغرب آسيا.

٢ - **النطاق الجبلي:**

ويمتد في وسط الأراضي الكنعانية مؤلفاً عمودها الفقري ويشغل نحو ثلثي أرض كنعان، وهو امتداد طبيعي لجبال لبنان باتجاه الجنوب ويتخلله أودية عريضة غير عميقة، وهو بجملته عبارة عن هضبة كبيرة تنتهي جنوباً في شمال منطقة بئر السبع ويعرف القسم الشمالي منها بجبال الجليل وهي أكثر ارتفاعاً من القسم الآخر، ويفصلها عن القسم الجنوبي «مرج بني عامر» الذي يعتبر المنفذ الطبيعي لطرق القوافل القادمة من الشرق والمتجهة إلى ساحل البحر المتوسط، وتشتهر منطقة الجليل بأنها مكان دعوة المسيح وبها أكثر تلاميذه، أما القسم الجنوبي فهو عبارة عن نجد متوسط الارتفاع يمتد إلى جنوبي كنعان ويشمل جبال نابلس ويبلغ أعلى قممها نحو ٩٤٠ متراً، وجبال

القدس ويبلغ أعلى ارتفاع لها نحو ١٠٦ متراً، وتكون هذه المرتفعات وحدة طبيعية تنحدر سفوحها الغربية بشكل تدريجي، أما سفوحها الشرقية فتنحدر بشدة وبخاصة نحو البحر الميت، وقد كانت الاحراج تغطي هذه الجبال في الزمن القديم.

٣ - إقليم الغور:

ويلي المنطقة الجبلية شرقاً منطقة «الغور» وهي المنطقة الشرقية لكنعان وتمتد من شمال كنعان إلى جنوبها ويخترقها نهر الأردن مع بحيراته، ويعتبر الجيولوجيون منطقة الغور قسماً من الأخدود الأفريقي العظيم (The Great Rift Valley) الذي يبدأ من جبال طوروس في الشمال ويستمر جنوباً ماراً بسوريا وبالبحر الميت ووادي عربة إلى خليج العقبة، وينتهي ببحيرة تنجانيقا بأواسط أفريقيا، ويرجع الجيولوجيون هذا الانخفاض إلى حركة شديدة في قشرة الأرض إلى انخفاض هذا الجزء في أرض كنعان مئات الأمتار تحت سطح البحر.

وعبر منطقة الغور والحدود الشرقية لكنعان وفدت الهجرات السامية المتتالية من الجزيرة العربية، وكان أعظمها الهجرة الأموية والكنعانية حوالي الألف الثالث ق.م، حيث استقر الكنعانيون في المنطقة التي عرفت بإسمهم وأقاموا فيها حضارة راقية، بينما إتجه فريق منهم نحو الساحل واستطاع أن يقيم حضارة مماثلة هي الحضارة الفينيقية المعروفة. وفي مناطق الغور الشرقية طاف النبي موسى عليه السلام وقومه بعد فشلهم في دخول كنعان من الجنوب، طافوا بالممالك السامية الصغيرة الممتدة في منطقة الغور وسط عداء شديد من الأدوميين والمؤابيين والعمونيين. وبعد وفاة موسى عليه السلام استطاع يوشع الخدعة أن يدخل منطقة الغور عبر نهر الأردن إلى مدينة أريحا، وبعد أن دمرّ اليهود مدينة أريحا أخذوا في التقدم داخل الأراضي الكنعانية في فترة من فترات الضعف التي عاشتها كنعان والتي تميزت بصراع داخلي وخارجي ضد

الغزو القادم من الغرب منّ شعوب البحر المعروفة بالفلسطين، ثم صراع خارجي بين الدول الكبرى حول مناطق النفوذ.

ويعرف ما استطال من منطقة الغور إلى خليج العقبة بوادي العربة، وهي منطقة صحراوية وغير صالحة للزراعة بصورة عامة، وطوله نحو ١٧٩ كم ويتراوح عرضه ما بين ٤-١٤ ميلاً تحيط به الأراضي المرتفعة من الشرق والغرب، إذ يتراوح ارتفاعها ما بين ١٥٠٠-١٨٠٠ قدم، وتشير المخلفات الأثرية ومنها مصفاة كبيرة بجوار العقبة إلى وجود معدني الحديد والنحاس في وادي العربة، وقد استغله الكنعانيون والمصريون والنبي سليمان والـرومان الأنباط. كما يتيمز القسم الجنوبي لوادي عربة بأنه ممر للطرق التجارية القديمة التي تصل بحر العرب وجنوب الجزيرة من ناحية بغزة أو بيان على الساحل الكنعاني، أو تصلها من ناحية أخرى بسوريا شمالاً، ولأهمية هذا الطريق فإن سكك الحديد التي تربط سوريا والأردن بالجزيرة العربية تسير في شرقه.

وفي وادي عربة وقع أول صدام بين الروم والعرب المسلمين، حيث انتصر بن أبي سفيان أحد قادة فتح الشام على الروم حوالي ٦٣٤.م في موقعة «عين القمر» من وادي عربة على الأرجح. وتقوم مدينة العقبة في منطقة التقاء وادي عربة بخليج العقبة على البحر الأحمر وقد عرفت قديماً بإسم «أيله» كمدينة أدومية، كما استخدمها النبي سليمان كميناء لنقل البضائع، وفي عهد الأنباط أصبحت ميناءً هاماً لنقل البضائع إلى البتراء.

٤ - إقليم بئر السبع:

ويتخذ القسم الجنوبي من فلسطين شكل مثلث يقع رأسه على خليج العقبة ويشمل ضلعاه جميع الأراضي الواقعة بين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوب فلسطين ويعرف بمنطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية وتبلغ مساحته حوالي نصف مساحة فلسطين، ويتألف من مجموعة سلاسل من التلال الوعرة ممتدة شرقاً وغرباً وتتوسطها سهول كثيرة الحصباء ويشغل القسم الجبلي نحو ٨٠٪ من الصحراء. وتعتبر مدينة بئر السبع المدينة الرئيسة في هذه المنطقة، وهي مدينة قديمة بشرّ بها ابراهيم بالاسلام، وفيها ولد إسماعيل جد

العرب العدنانيين، وعرفت في العهد الإسلامي ببلدة عمرو بن العاص فاتح فلسطين.

ويتبين للباحث أنه على الرغم من أن فترة استقلال كنعان عن نفوذ الدول الكبرى المجاورة كانت قصيرة، إلا أن المدن الكنعانية والفينيقية كانت لها شخصيتها، وكيانها في التاريخ، فقد لعبت هذه المدن دور الوسيط والمزج الحضاري بين العالم السامي من ناحية وبين العالم الإيجي من ناحية أخرى ثم بين الحضارات الكبرى في وادي الرافدين، ووادي النيل وبين المؤثرات الحضارية الآتية من آسيا الصغرى وحضاراتها المختلفة.

التحديد الجغرافي لأرض كنعان:

لم تمدنا الأدلة التاريخية بتحديد واضح «لأرض كنعان» فقد اعتبرها فريق من المؤرخين: السواحل السورية بعامة[١]: «الساحل السوري، الساحل اللبناني، الساحل الفلسطيني إلى حدود مصر» بينما اعتبرها فريق آخر «المنطقة السورية الفلسطينية وسكانها[٢] ويرى فريق ثالث أنها تضم «البلاد الداخلية لسورية وكل فينيقية» وفلسطين[٣] أما موسكاتي» (Moscati) فيرى أن لفظي «كنعان» و«الكنعانيين» كانا يعنيان قبل كل شيء «فينيقية»، و«الفينيقيين»، وأنهما لم يستعملا إلا في نهاية الألف الثاني ق.م للدلالة على مدلولين أوسع نطاقاً: أحدهما جغرافي، وثانيهما عرقي، وإن تلك التسمية أخذت ذلك التحديد بعد مجيء القبائل الآرامية[٤].

ومن هذا المفهوم اتجه بعض المؤرخين إلى إطلاق اسم الكنعانيين على سكان فلسطين وجيرانهم الساميين عدا الآراميين، قبل الغزو الفلسطيني والإسرائيلي لأرض كنعان في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، بينما يرى

---

(١) مراسلات تل العمارنة.

(٢) Kenyon, K.. Amorites And Canaanites, London, 1936, P. 7.

(٣) لم يرد في التوراة تحديد واضح لأرض كنعان. انظر: سفر التكوين ١٠، ١٩، يشوع ١١: ٣ سفر العدد ١٣: ٢٩ الاصحاح الأول من سفر القضاة.

(٤) موسكاتي الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٦٧، ص١١٤-١١٥.

فريق آخر أن يقصر هذه التسمية على العناصر السامية في سوريا ولبنان وفلسطين بخاصة أثناء الألف الثاني ق.م[1]، أي خلال المرحلة المسماه حضارياً بعصر البرونز الأوسط. أما «ديفو»[2](Devaux)فقد حددها بجزء من فينيقية ورقعة صغيرة من فلسطين. ويرى الاصحاح الأول من سفرة القضاة أنها تعني سكان الجبال والسهول، ومنطقة بئر السبع «النجب» أو «النقب». وقد ظل إسما «كنعان» و«أرض كنعان» يطلقان على ساحل فلسطين وسوريا حتى بعد الغزو الفلسطيني واليهودي لأجزاء من أرض كنعان.

ورغم عدم توافر التحديد الواضح لأرض كنعان في المصادر المختلفة، فالغالب أنها كانت تشمل فلسطين الحالية، وأجزاء من لبنان، ومن سورية، ومعظم شرقي الأردن.

وفي العصر الروماني كانت فلسطين تضم مناطق تقع إلى الجنوب أو الشمال من فلسطين الحالية، بالإضافة إلى شرقي الأردن، ويتبين من التقسيم الإداري لسوريا القديمة (بلاد الشام) حوالي ٤٠٠م، أن فلسطين كانت تضم المقاطعات التالية[3]:

١ - مقاطعة «فلسطين الأولى» (Palaestina Prima) وتضم مدينة نابلس، القدس، الخليل والسهل الساحلي حتى رفح، وعاصمتها قيسارية.

٢ - مقاطعة فلسطين الثانية (Palaestina Secunda) وتضم الجليل، أم قيس، قلعة الحصن، طبرية، وعاصمتها بيسان.

٣ - مقاطعة فلسطين الثالثة (Palaestina Tiertia) وتضم بلاد الأنباط، منطقة بئر السبع، وعاصمتها البتراء.

---

(١) الناضوري، التطور التاريخي للفكر الديني، دار الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٩، ص١٣١.

(٢) Vaux, R. de, op. cit., p. 27-28.

(٣) Rowe, A, C.E.S., op. cit., p.38. AVI. M.Y., Map of Roman palestine. In, Q.D.A., In palestine. vol. 4, 1935, p. 143.

٤ - مقاطعة فينيقية الأولى (Phoenica Prima) وتضم: حيفا، وعكا، صيدا، صور، بيروت، طرابلس أو أرواد، وعاصمتها صور.

أما الحدود السياسية لفلسطين الحالية فتمتد بين خطى عرض: ¼ ½، ¼ ½ شمالاً وبين خطي طول ½ ¼، ¼ ½ شرقاً، وقد رسمت هذه الحدود السياسية بعد أن جزئت بلاد الشام «سوريا القديمة» بعد الحرب العالمية الأولى إلى فلسطين وسورية ولبنان والأردن، فتعينت حدودها الشمالية مع لبنان وسورية على امتداد ١٤٩ كم بموجب الاتفاق الفرنسي البريطاني في ١٩٢٠/١٢/٢٣.

أما الحدود الشرقية مع الأردن والتي تمتد نحو ٣٦٠ كم فقد حددها المندوب السامي البريطاني لفلسطين وشرقي الأردن في ١٩٢٢/٩/١.

والحدود الجنوبية مع مصر والتي تمتد نحو ٢٤٠ كم، حددت بموجب الاتفاقية المعقودة في ١٩٥٦/١٠/١. بين خديوية مصر والحكومة العثمانية.

ان هذه الحدود التي نتجت عن تقسيم بلاد الشام إلى وحدات سياسية لا تعني في الواقع شيئاً من الناحية الإنسانية التاريخية أو الجغرافية، فبلاد الشام لا تزال كلا مرتبطاً ألفت بينها وحدة الأصل المشترك من «أموريين وكنعانيين وفينيقيين وآراميين» وغيرهم من الدويلات السورية، كما تعززت بوحدة اللغة والدين فيما بعد بحيث أصبحت تشكل مع أجزاء الوطن العربي الأخرى أعضاء في جسم واحد ظل أهله يعيشون متآخين على مر العصور.

هذه الأرض، بموقعها المتميز وبتضاريسها المتباينة، والتي تحمل اسم «كنعان» أو اسم «فلسطين» كانت تحتل في حين من الدهر مكانة حضارية هامة في منطقة الشرق الأدنى القديم.

وعلى هذه الأرض عاش وتفاعل الانسان السامي الكنعاني العربي مع مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، فتفاعل مع البيئة، وأثر فيها تأثيراً واضحاً، فترك بصماته الجلية التي تمثلت بالآثار والكتابات وغيرها من مخلفات الانسان.

وفي أرض فلسطين هذه التقت عدة اتجاهات ثقافية وفدت إليها من الأقطار المجاورة: كمصر، وبابل، وأشور، وحاتي، وامم أخرى غيرها،


فلسطين
سورية
الأردن
السعودية
مصر
صور
الناقورة
القنيطرة
صفد
عكا
خليج عكا
حيفا
الجليل
طبريا
الناصرة
عتليت
الطنطورة
قيسارية
درعا
بصرى الشام
اربد
المفرق
عجلون
جرش
نابلس
قلقيلية
يافا
السلط
اللد
رام الله
الرملة
اريحا
عمان
القدس
المجدل
بيت لحم
مادبا
الخليل
غزة
خان يونس
رفح
بئر السبع
الكرك
وادي غزة
العوجا
الطفيلة
النقب
وادي العربة
بترا
رأس النقب
خليج العقبة

فامتزجت مع ثقافتها المحلية، التي أخذت من كل ثقافة وافدة ما يتناسب مع مكوناتها وطبيعتها وميـولها ووجهـات نظرهـا، فكان هـذا اللون الحضاري الكنعاني الذي عرفه العالم القديم، والذي بقيت آثاره ماثلة أمامنا في الوقت الحاضر.

وتضامنت الظروف السياسية المجاورة، والعوامل الجغرافيـة الداخليـة لدولة كنعان مع موقعها الممتاز في شكل وحدتها السياسية بحيث أصبح من الصعب عليها أن تتطور سياسياً في دولة واحدة، وفي أي حجم كان، فبرزت الدول الصغيرة المستقلة في جميع أنحاء «كنعان» وبخاصة في المناطق الخصبة، وفي أطراف التلال على طرق المواصلات التجارية، في «مجدو»، و«بيسان»، و«نـابلس»، و«جيـزر»، و«القـدس»، و«الخليـل»، وأريحـا»، «وعسقـلان»، و«الطنطورة» وغيرها.

وبنص التاريخ على أن أرض فلسطين قد تعرضت لكثير من الأحداث، ولعديد من المؤثرات السياسية والثقافية والأطماع الدولية على مر العصور، ومع هذا كله، فقد بقيت الأرض المقدسة التي شهدت قيام الديانتين الموسوية والمسيحية، كما شهدت قيام دولة الاسلام وانتشارها فيها بعد وإلى وقتنا هذا.

وستبقى فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير الذي تربطه وحدة الأصل والتاريخ، واللغة، والدين، والمصير، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

الفصل الثالث
فلسطين قبل العصر التاريخي

تعتبر فلسطين إحدى المراكز الحضارية الهامة في منطقة الشرق الأدنى القديم وتدل المخلفات الأثرية المختلفة التي عثر عليها في فلسطين والتي تعود الى عصور ما قبل التاريخ أن فلسطين من أقدم مواطن الانسان، وان الانسان الذي عاش على أرض فلسطين قد تدرج في سلم الحضارة في نفس المستوى الذي تدرج به زملاؤه في المناطق الحضارية الرئيسية في المنطقة. فقد عرف الفلسطيني الزراعة والرعي والاستقرار في القرى والمدن، كما عرف صناعة العديد من الأواني الضرورية اللازمة له من أوان فخارية وأسلحة وأدوات تستخدم في الزراعة والصناعة وفي الحياة اليومية. واستطاع هذا الانسان أن ينظم أمور حياته، فعرف التنظيم الاجتماعي القائم على السلطة المحلية والتعاون، كما استطاع أن يسهم في دفع عجلة التطور خطوات الى الأمام.

ويعتبر تاريخ فلسطين القديم مميزا في تاريخ سورية «بلاد الشام» التي احتلت بدورها مكانة هامة مرموقة في تاريخ وحضارات منطقة الشرق الأدنى القديم. لقد شهدت بلاد الشام «فلسطين - سورية - الأردن - لبنان» أحداثا تاريخية وثقافية غاية في الأهمية. وكان موقعها المتوسط، الذي تمثل فلسطين القلب منه بمثابة حلقة اتصال بين المراكز الحضارية الرئيسية في المنطقة، وبخاصة وادي الرافدين، ووادي النيل، ومن الأناضول، وجزر قبرص، وكريت، وشبه جزيرة البليونيز، حيث تشير الأدلة الأثرية المختلفة الى اتصال أجزاء هذه المنطقة ببعضها اتصالا كبيرا شمل علاقاتها الاقتصادية والحضارية والسياسية في غالبية عصورها المتعاقبة، مما أدى الى نوع من الامتزاج الحضاري في نتاج منطقة الشرق الأدنى القديم.

ويتبين للباحث في تاريخ منطقة «فلسطين - الأردن - سوريا - لبنان»

أن التطور الحضاري في هذه المنطقة اتخذ طابعا مختلفا عما كان عليه في وادي النيل أو في وادي الرافدين. ذلك أن الحضارة المصرية حضارة نيلية محلية، لعبت الظروف الجغرافية الطبيعية دورا هاما في تطورها، فاصطبغت بالصبغة المحلية رغم تأثرها بغيرها. وكان الأمر مشابها لذلك في الحضارة الميزوبوتاسية التي قامت بين أحضان دجلة والفرات. فكلتا الحضارتين محلية متطورة رغم تأثرهما ببعضهما.

أما الطابع الحضاري لبلاد الشام وبخاصة فلسطين فانه يختلف عما هو عليه في «وادي الرافدين».

فالموقع الجغرافي المتوسط لهذه البلاد، واتصالها المباشر بجيرانها في الشرق والجنوب، حتم عليها أن تعطي وأن تأخذ، وأن تقوم بدور الوسيط في نقل التأثيرات الحضارية، مما أعطى حضارتها طابعا مميزا، وإن ظل يعتمد في الأصل على المقومات المحلية. وقد ساعد على ذلك طبيعتها وتضاريسها وخلوها من مجارٍ مائية رئيسية، مما أكسبها مظهراً يختلف عن مظاهر جاراتها على مر العصور. وقد أهلها ذلك بالاشتراك مع جاراتها في وادي النيل ووادي الرافدين للقيام بدور هام في دفع عجلة التطور الحضاري الى الأمام.

ومن تتبع الواقع الحضاري لفلسطين خلال عصور ما قبل التاريخ من خلال تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، يمكن الأخذ بالتقسيم التالي:

- «فلسطين في العصر الحجري القديم.»
- فلسطين في العصر الحجري المتوسط».
- فلسطين في العصر الحجري الحديث».
- فلسطين في مرحلة الألف الخامس ق.م».
- فلسطين في مرحلة عصر الحجر والنحاس».
- (Chalcolithic period).

فلسطين في العصر الحجري القديم:

يدل «إنسان الكرمل» أو «إنسان فلسطين» الذي عثر على مخلفاته في

جبل الكرمل بشمال فلسطين، على أنه حلقة هامة من حلقات تطور الانسان البدائي، إذ يرى الباحثون أن الهياكل البشرية التي عثر عليها في كهوف «أم قطفة» و«الطابوق»، و«السخول» في شمال فلسطين، وكهف «جبل القفزة» في جنوب غربي الناصرة، وكهف «الزطية» في شمال غربي «طبرية - والتي تعود إلى «العصر الحجري القديم» - أنها تتراوح بين النوع «النياندرثالي» وأنواع أخرى أرقى من الانسان حتى تصل الى أشكال تكاد تكون من النوع البشري الحديث. وأنه من الممكن مقارنة هذا الانسان من الناحية التشريحية بما نسمية «الانسان العاقل» (Homo-Sapiens)[١]، مما يؤكد أن فلسطين من أقدم مواطن الإنسان.

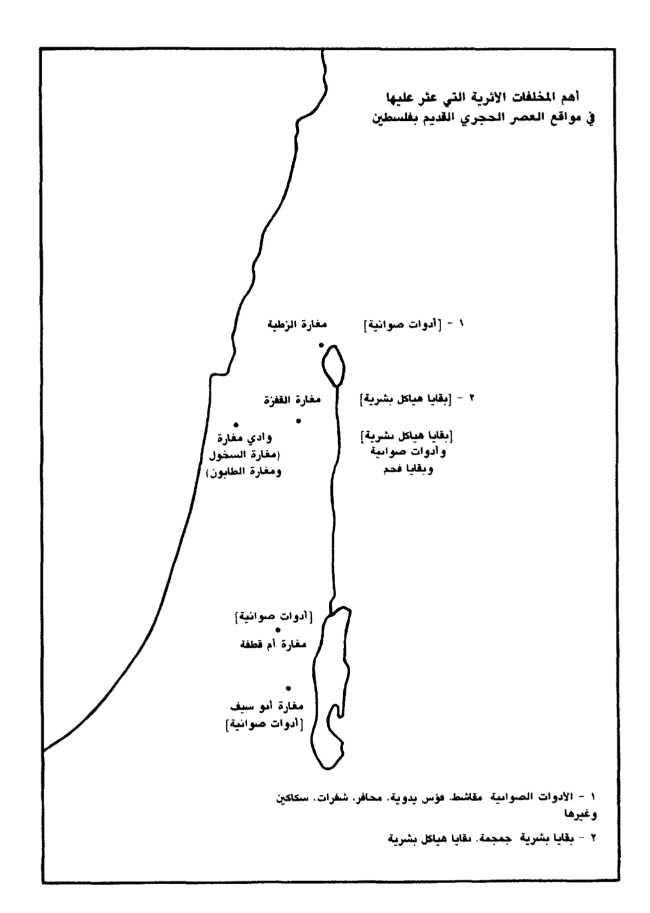
ويتبين من المخلفات التي تركها الانسان الفلسطيني في تلك المرحلة من أدوات صوانية: فؤوس يدوية، وسكاكين، ومقاشط، وما عثر عليه من قطع الفحم في كهفي «الطابوق» و«الوادي» بجبل الكرمل، أو ما عثر عليه من بقايا حيوانية تضم عظام الكركون، وفرس النهر والغزلان وغيرها[٢]، أن هذا الانسان الفلسطيني كان يعيش نظاماً اجتماعياً بدائياً يدور حول جماعات صغيرة تعيش على ما تنتجه الطبيعة من حيوان أو نبات، شأنه في ذلك شأن نظرائه المعاصرين في منطقة الشرق الأدنى القديم. وفي الفترة الأخيرة من هذا العصر تشير الآثار الى تطور حياته تطوراً محدوداً، إذ أن أدواته الحجرية في هذه الفترة لا تختلف من حيث الصنع عن الأدوات التي استعملها في الفترة السابقة وان كانت تبدو أصغر حجما وذات طابع «ميكروليثي».

فلسطين في العصر الحجري المتوسط:

ويتبين من المخلفات التي تركها الانسان الفلسطيني في العصور التالية، التي تعود إلى مرحلة العصر الحجري المتوسط، في كل من الكرمل، وأريحا، وكهف الشقبة، ومغارات الوادي وغيرها من المواقع المعروفة بالناطوفية،

(١) (Dorthy, A.E., Garrod and Bate, D.M.A., the stone Age of Mount carmel, vol.I, Oxford, 1937)

(٢) (Michael h. day, the tabun Remains/the skuhl Remains, guide to fossilman, cassell, London, 1969, p.83-98)


أهم المخلفات الأثرية التي عثر عليها
في مواقع العصر الحجري القديم بفلسطين
مغارة الزطية
١ - [أدوات صوانية]
مغارة القفزة
٢ - [بقايا هياكل بشرية]
وادي مغارة
(مغارة السخول
ومغارة الطابون)
[بقايا هياكل بشرية
وأدوات صوانية
وبقايا فحم
[أدوات صوانية]
مغارة أم قطفة
مغارة أبو سيف
[أدوات صوانية]
١ - الأدوات الصوانية مقاشط، فؤس يدوية، محافر، شفرات، سكاكين
وغيرها
٢ - بقايا بشرية جمجمة، بقايا هياكل بشرية

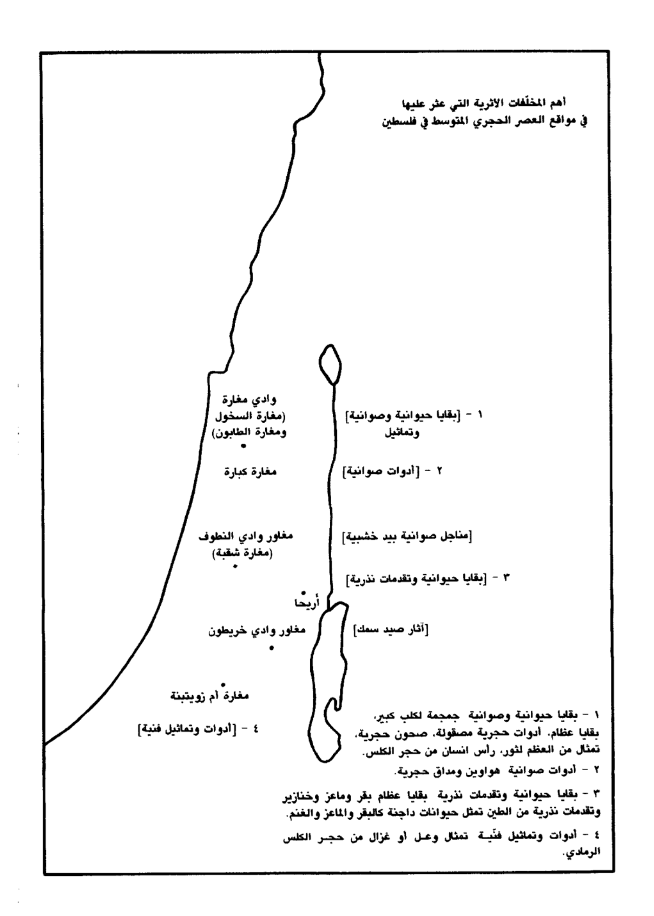
ما يشير الى مواكبته للتطور الحضاري لانسان منطقة الشرق الأدنى القديم إن لم يتجاوزه. كما يتضح من المخلفات التي تعود الى نهاية هذه المرحلة ما يشير الى تطور حاسم في حياته، إذ خطا خطوات ثابتة على طريق الاستقرار وذلك بتدجينه للحيوان والسير في طريق معرفة الزراعة.

ويستدل من وجود بعض أواني الطعام والتقدمات في أماكن الدفن على أن انسان العصر الحجري الوسيط في فلسطين كانت لديه أفكار دينية بدائية.

الحضارة الناطوفية:

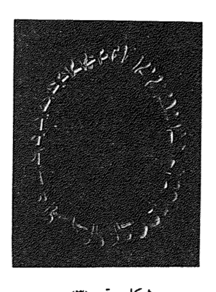
تنسب الحضارة الناطوفية الى وادي النطوف شمال غربي القدس في فلسطين. وقد اختلف العلماء في تأريخها، فبينما يرى فريق منهم أنها بدأت في أوائل العصر الحجري المتوسط، وامتدت حتى بداية العصر الحجري الحديث يعتبر فريق آخر أنها تمثل العصر الحجري الحديث وإذا اعتمدنا طريقة الكربون المشع أمكن تأريخ بدايتها حوالي ١٠٠٠٠ سنة ق.م. ولكن هذا التقدير ليس نهائياً، حيث يتجه فريق ثالث إلى تأخير هذا التاريخ.

تتضمن هذه الحضارة مراحل حضارية ثلاثا: مبكرة، ومتوسطة، ومتأخرة، وتنتشر مواقعها بين الكهوف والمساحات الممتدة أمامها في وادي النطوف، وبخاصة في نواحي الكرمل. وبين مواقع القرى في وادي الأردن، وبخاصة موقع «عين ملاحة» شمال غربي بحيرة الحولة، حيث عثر على عدد من القرى التي تتميز بمنازلها الدائرية والمبنية من الحجر، والتي يلاحظ أن أرضياتها دون مستوى سطح الأرض. وقد ترك انسان هذه الحضارة في تلك المنازل مختلف آثاره الحجرية والعظميه وكذلك بعض الآثار المصنوعة من الخرز والأصداف، هذا بالاضافة الى عدد من الآثار المعبرة عن قدراته الفنية، والتي تتضمن تماثيل صغيرة محفورة في العظم أو الحجر، ومنها تمثال صغير لغزال من قطعة عظم يمكن اعتباره من أقدم أمثلة النحت في منطقة الشرق الأدنى القديم.


أهم المخلّفات الاثرية التي عثر عليها
في مواقع العصر الحجري المتوسط في فلسطين
وادي مغارة
(مغارة السخول
ومغارة الطابون)
١ - [بقايا حيوانية وصوانية]
وتماثيل
مغارة كبارة
٢ - [أدوات صوانية]
مغاور وادي النطوف
(مغارة شقبة)
[مناجل صوانية بيد خشبية]
٣ - [بقايا حيوانية وتقدمات نذرية]
أريحا
مغاور وادي خريطون
[آثار صيد سمك]
مغارة أم زويتينة
٤ - [أدوات وتماثيل فنية]
١ - بقايا حيوانية وصوانية جمجمة لكلب كبير، بقايا عظام، أدوات حجرية مصقولة، صحون حجرية، تمثال من العظم لثور، رأس انسان من حجر الكلس.
٢ - أدوات صوانية هواوين ومداق حجرية.
٣ - بقايا حيوانية وتقدمات نذرية بقايا عظام بقر وماعز وخنازير وتقدمات نذرية من الطين تمثل حيوانات داجنة كالبقر والماعز والغنم.
٤ - أدوات وتماثيل فنّية تمثال وعل أو غزال من حجر الكلس الرمادي.

(خريطة رقم (٤))

وفي مجال الاعتقاد في العالم الآخر عثر على عدد من المقابر الفردية والجماعية التي ترجع ايمانه بالحياة الأخرى. فقد ترك انسان الحضارة الناطوفية في أريحا مع المتوفي بعض التقدمات النذرية على شكل صور الحيوانات الداجنة، وبعض أدوات الزينة، كالعقود وغيرها. شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)

عقد مصنوع من العظم وجد في وادي مغارة بجبل الكرمل ويعود للحضارة الناطوفية يرجع تاريخه الى حوالي (١٠٠٠٠ - ٨٠٠٠) ق.م.

وتتضح فيه مميزات الفن النطوفي من حيث التناسق والجمال.

كما زينت جمجمته أحيانا بالأصداف شكل رقم (٤) و(٥) ومن الجدير بالذكر الاشارة الى وجود ظاهرة ذر التراب الأحمر في المقابر، تلك الظاهرة التي يلمسها المؤرخ في بعض الحضارات، وبخاصة في الهضبة الايرانية. وربما يرجع ذلك لارتباط التراب الأحمر بموضوع الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر.



شكل رقم (٤)
جمجمة من الطين لإنسان ناطوفي وجدت في أريحا وهي إحدى مجموعة من ثلاث جماجم لرجل وامرأة وطفل. والعيون من الأصداف، والشعر والذقن عبارة عن خطوط بنية محمرة.



(شكل رقم (٥)
جمجمة من الجص من مدينة أريحا ويظهر فيها دقة الفن العيون من الصدف ومفتوحة أفقيا على شكل بؤبؤ العين، كما تظهر الدقة بوضوح في الفم والأنف والأذن والجفن.

فلسطين في العصر الحجري الحديث:

(Neolihic Periol)

يمثل العصر الحجري الحديث نهاية المطاف في عصور ما قبل التاريخ، حيث توصل إنسان منطقة الشرق الأدنى القديم إلى قمة التطور، حينما استطاع أن يؤدي دور الطليعة في عملية إنتاج الطعام، والاستقرار في القرى والمدن. وقد أدت الحفريات الحديثة في المنطقة إلى كشف العديد من القرى القديمة المكتفية ذاتياً، والممتدة من وادي النيل، خلال الدلتا، ومنها في قوس عظيم من أريحا في الجنوب عبر جبيل ورأس شمرا (أوغاريت) على الشاطىء السوري، إلى مرسين في قليقية، ومن ثم خلال سهل عامون شرقي إنطاكية عبر جرابلس على الفرات إلى تل حلف وبازار شاغار في شمال سوريا، إلى نينوى وحسونة قرب الموصل الحالية، ثم إلى سيالك قرب كاشان في أواسط فارس[1].

ويعود تاريخ هذه القرى إلى نهاية الفترة الناطوفية، أو التي تليها. وقد تبع ذلك نشأة القرى المستقرة التي أدت فيما بعد إلى ظهور التجمعات المنظمة، التي أصبحت ضرورة فرضتها الظروف الاجتماعية الجديدة التي تتطلب التعاون في تقسيم الأرض، ودفع خطر الفيضان، والتوزيع العادل للمياه، مما أدى إلى إعتبار هذه المرحلة مرحلة حاسمة في تاريخ الانسان في منطقة الشرق الأدنى القديم، ففيها تحققت المقومات الأساسية في تاريخه، لأنها تتضمن الخطوات الفعالة في صنع حياته المستقرة، سواء أكان ذلك في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو الديني. وبذلك أرسى إنسان المنطقة أسس حياته السياسية والحضارية، مما دفعه إلى الانتقال والتطور نحو المراحل التالية.

وتتجسم هذه المرحلة بصفة خاصة في جهود الانسان في ثلاثة مراكز في المنطقة، وهي العراق ومصر وبلاد الشام وبخاصة فلسطين. وقد قام الانسان

---

(١) فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى القديم، الطبعة الثانية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٥، ص٤٦.

في بقية أجزاء المنطقة بجهود متفوقة، ولكنها لا تصل إلى المرتبة التي وصلتها الأقاليم الثلاثة السالفة الذكر.

وتنبغي الاشارة في هذا المجال إلى أن الانتاج الحضاري بوجه عام في منطقة الشرق الأدنى القديم بدأت تتضح فيه ظاهرة الاتصال الحضاري بين مختلف أقاليمه. فقد بدأ الانسان يخرج عن نطاق دائرته المحلية مستخدماً الطرق البرية والبحرية أحياناً، فاكتسبت تجارب أوسع مجالاً في المجتمعات الخارجية، حيث تأثرت مجتمعات هذه المرحلة ببعضها بعضاً.

كما يبدو ذلك في الناحية الفكرية، حيث حدثت بعض ظواهر الأقلمة الحضارية، مما أدى إلى بلورة كل حضارة في إطار مقومات حضارية خاصة بها دفعتها إلى الاستقرار الفكري في بداية العصر التاريخي.

ومما يشير إلى إحتمال وجود نوع من الاتصال البشري والاقتصادي بين المجتمعات القروية في منطقة الشرق الأدنى القديم، توفر مظاهر الحياة العامة الممثلة «لمرحلة الانتقال» من مرحلة الجمع والالتقاط إلى مرحلة الاستقرار وإنشاء القرى. وعلى سبيل المثال يلمس الباحث في آثار هذه القرى في تلك الفترة، جمعها بين الأدوات الزراعية وآثار الصيد. وتشير الأدلة الأثرية إلى وجود المناجل بين مخلفات سكان كهوف جبل الكرمل في فلسطين شكل رقم (٥)، كما وجدت مثل هذه المناجل أيضاً في أقدم القرى في الفيوم بمصر[١] وفي حسونة في شمال العراق[٢] وفي غيرها من مناطق الشرق الأدنى القديم. ويرى بعض المؤرخين أن فلسطين من أقدم الأقطار التي عرفت الزراعة. ومن المرجح أن يكون النطوفيون قد استغلوا الأمطار الغزيرة في ري أراضي وادي النطوف، الممتدة على سفوح التلال، في زراعة بعض المحاصيل ومنها القمح حيث يرجح تاريخ القمح الذي عثر عليه في أريحا إلى ٥٠٠٠ سنةق.م.[٣]

---

(١) Caton, Thompson, Gardinor, A.R., The Desert Fayum, London, 1934, p.45, pl.26,28,30. Journal of Near Eastern Studies, No.4, 1945, p.269, 274, pl.37.

(٢) ج. هاوكس، المرجع السابق، ص٢٣.

(٣) محمود العابدي، الحفريات الأثرية في الأردن وفلسطين من ١٩٠٠-١٩٥٩، عمان، ١٩٦٢، ص٤٧.

ولا تزال الأصول البرية لهذه الحبوب موجودة إلى الآن في فلسطين. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن سكان كهوف جبل الكرمل النطوفيين من أقدم الناس الذين استعملوا المناجل[1]، ومع أن هذا الدليل لا يقطع بأنهم زرعوا الحبوب، إلا أنه يرجح أنهم استخدموها في قطع الأعشاب والحبوب البرية[2]. ومع ذلك فإن النطوفيين كانوا المبدعين أو على الأقل من أوائل[3] الممارسين لفن الحصاد الذي استمر في أقدم القرى الزراعية إلى العصور الحجرية الحديثة. وقد كانت مناجلهم مكونة من مقبض عظمي مشقق فيه قطع قصيرة من الصوان «كالا سنان». أما المناجل التي عثر عليها بمصر والعراق فهي تعود إلى الألف الخامس ق.م، أي بعد مناجل النطوفيين بنحو ألف سنة أو أكثر. وبقيت المناجل من هذا النوع تستعمل في مصر حتى عهد الأسرة الثانية عشرة، حوالي ألفي سنةق.م.، مع إدخال بعض التطور المحلي عليها بحيث صنعت الأيدي من الخشب، مع إحتفاظها بنصلها القاطع المصنوع من الصوان الصغير كما ظلت المناجل، ذات المقابض الخشبية الملونة وذات الأسنان الصوانية، تستخدم في وادي الرافدين حتى الأسرة الثانية القديمة، أي حوالي سنة ٢٧٠٠ق.م.

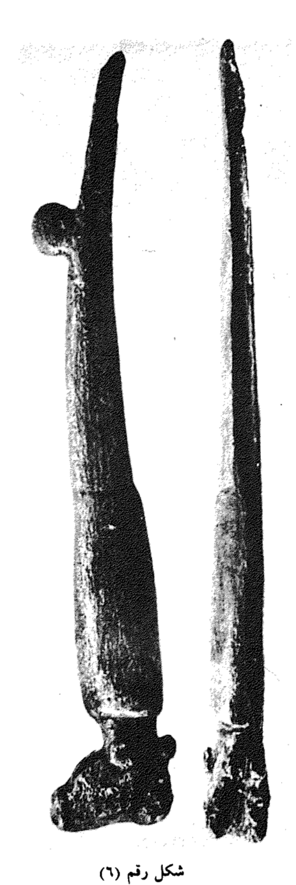
ويجمع معظم المؤرخين على أن بدء معالم الانتقال من المجتمع الجامع للطعام، إلى المجتمع المنتج له، يتضح في الحضارة الناطوفية. فقد شهدت هذه الحضارة فعلاً مرحلة جديدة تتجه نحو الاستقرار. ويمكن للباحث أن يتبين ذلك بوضوح في تلك المخلفات التي تتمثل في المناجل والأجران، والتي تمثل عنصراً حضارياً جديداً أسهم بمقدار كبير في عملية إنتاج الطعام، والاتجاه نحو الاستقرار. مع ملاحظة إستمرار بعض الجماعات الذين يعيشون هذه المرحلة في حياة الجمع والصيد بما يتضمنه من صيد الأسماك والحيوانات والطيور. كما أن آثار تلك الحضارة لا تقتصر على الأدوات الظرانية

---

(١) Garrod. A., O.M.A., Bates, The Stone Age of Mount Carmel, Oxford, 1937. ,

(٢) الاسم العلمي للحنطة البرية Triticcum Dicoccum وللشعير Hordeum Hexastichum

(٣) هنري فرانكفورت، المرجع السابق، ص٤١.



شكل رقم (٦)

منجل من العظم وجد في مغارة كبارة بجبل الكرمل بشمال فلسطين يعود إلى الحضارة الناطوفية. ويتميز بأن له مقبض على شكل رأس حيوان وبه فجوة لوضع الصوان.

الميكروليثية، بل تميزت بصناعتها العظيمة المشغولة والمحفورة، وبخاصة أيادي المناجل شكل رقم (٦)، وكذلك السنانير والأبر والدبابيس ورؤوس السهام.

ويرجح بعض المؤرخين أن أول الجماعات الزراعية قد نشأت في مصر السفلى بعد أن قدمت عن طريق الساحل من فلسطين، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار مركز الحضارة الناطوفية في حلوان (محلة قديمة للعصر الحجري الحديث ملاصقة لحلوان)، حيث يتوفر العديد من الأدلة التي تشير إلى الصلات بين الجانبين[١].

وليس لدى الباحث أي دليل حتى الآن على ممارسة أي شعب آخر للزراعة في مثل هذا العصر البعيد. ويرى أوليرت[٢] أن الكلمة التي تعني القمح (gmhw) وكذلك التي تعني الكرمة (Karma) في اللغة المصرية القديمة مشتقة من السامية، وبخاصة من الكنعانية كما إن صور المحاريث من بلاد بابل ومصر وسورية الحديثة تتشابه بشكل يلفت النظر.

وقد انبعثت هذه المعرفة الجديدة من الشرق الأدنى القديم على شكل دوائر كانت تتسع شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت شواطىء البلطيك وبحر الشمال حوالي سنة ٣٥٠٠ق.م.[٣] ولعل النطوفيين هم الذين قاموا بالخطوة التالية وذلك بتحسين الأعشاب البرية بالتلقيح والاختبار لإنتاج حبوب أكثر قيمة غذائية من تلك التي كانت معروفة عند أقدم فلاحي العصر الحجري الحديث، (وذلك لتحديد الحاجات المباشرة، بقصد توفير البذور وخزنها وحمايتها من الحشرات والقوارض وبذرها في الوقت الملائم).

ويبدو أن زراعة القمح والشعير مهدت الطريق لسائر الحبوب كالذرة مثلاً، وفيما بعد للثمار مثل العنب والتين والزيتون، وكذلك لمختلف أنواع الخضار التي زرعت جيمعها وتحسنت قبل أن يبدأ العصر التاريخي. ويتجه

(١) محمود العابدي، المرجع السابق، ص١١٠.
(٢) Hawkes, S.F.S., The Prehistoric Foundation of Europe, London, 1940, p.82«84.
(٣) Albright, palestine In The Earliest Historistorical Period, j.p.o.s., Vol. XV, 1935, pp.212-13.

بعض العلماء في الوقت الحاضر إلى إعطاء أهمية خاصة إلى بعض المواقع الأثرية الفلسطينية المنتمية إلى تلك المرحلة، وذلك على أساس أن تاريخ هذه المواقع يحمل فترة زمنية فريدة، ويتقدم بعض الشيء من الناحية الزمنية على المواقع الأثرية المنتمية إلى العصر نفسه في كل من العراق ومصر. ولكن من الناحية الأخرى يصعب البت نهائياً الآن في التقويم الزمني للآثار المصرية والعراقية القديمة المنتمية إلى تلك المرحلة، على أساس إمكانية إجراء تعديل في تقويمها الزمني بعد متابعة الكشف في مواقعها وإعادة النظر في التقويم الزمني المقارن.

ومن خلال موقع جريكو (أريحا) الطبقة التاسعة، يمكن الوقوف أمام مرحلتين مميزتين للعصر الحجري الحديث في فلسطين:

(أ) مرحلة العصر الحجري الحديث فيما قبل الصناعة الفخارية (pre-pothery Neolithic) **(حوالي ٧٠٠٠-٦٠٠٠ قبل الميلاد) في فلسطين:**

حين بدأت معالم الانتقال من المجتمع الجامع للطعام إلى المجتمع المنتج له، وذلك في جريكو (تل السلطان)، التي يمكن اعتبارها أقدم قرية مستقرة كشف عنها حتى الآن، فقد استطاع أهل القرية أن يحققوا نظاماً إجتماعياً راقياً قائمًا على الاقتصاد الزراعي. وقد تميزت هذه القرية بأنها أول محلة عمرانية ذات طرازٍ خاص في كل من العمارة والنحت، واشتملت على منازل دائرية مبنية من الآجر. كبيرة الحجم، تتألف من غرفة كبيرة أو أثنتين صغيرتين، وحيطانها مائلة إلى الداخل. أما أرضية تلك المنازل فكانت من الطين المدكوك. وتؤرخ من الناحية الزمنية بحوالي ٦٨٠٠ق.م. وهناك منازل اخرى مستطيلة تؤرخ بحوالي ٦٨٥٠ق.م[١]، وتتميز بحيطانها المتتالية المبنية من الأحجار المنتظمة. ويستند الحائط الثالث منها على برج حجري مستدير قطره حوالي ١٣ متراً. شكل رقم (٢) وله سلم خاص يتألف من إحدى وعشرين درجة. ويعتبر السور الذي يحيط بالمدينة، والذي ما زالت آثاره باقية على

(١) الناصوري، جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الأول، بيروت ١٩٦٨، ص١٣٧.

إرتفاع ١٢ قدماً. ويحيط به خندق على عمق ٢,٥ متراً واتساع ٨ أمتار. شكل رقم (٧) من أقدم التحصينات الحجرية التي عثر عليها حتى الآن. كما زودت المحلة بقلعة ومجموعة من خزانات المياه. وقد أطلق بحق على هذه المحلة إسم مدينة. وتدل المخلفات الأثرية في هذه المدينة على أن بعض آلاتهم كانت مصنوعة من الحجر، مثل الرحى الحجرية الكبيرة التي تستخدم في طحن الحبوب. كما صنعوا منازلهم من الطوب المحروق بأشعة الشمس.

وقد عثر في حجرات المساكن والمعابد على مجموعات هامة من التماثيل البشرية والحيوانية وتتميز التماثيل الانسانية بكونها مؤلفة من مجموعات ثلاثية، كل مجموعة منها تتكون من رجل وإمرأة وطفل. وهذه التماثيل الثلاثية فريدة في نوعها في ذلك العصر المبكر.

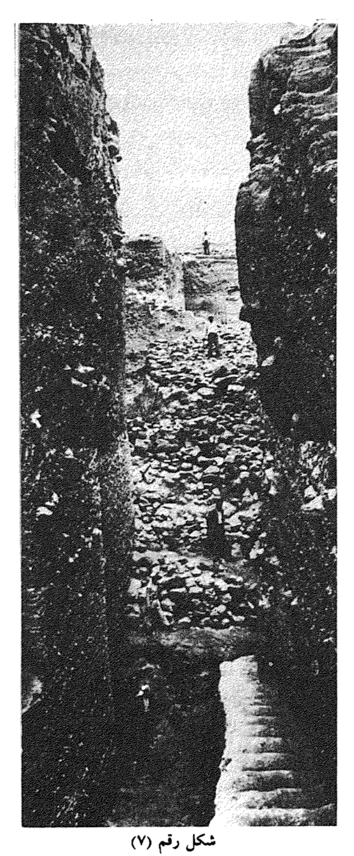
ومن ناحية اخرى توصل إنسان تلك المرحلة إلى الاعتقاد بالعالم الآخر إعتقاداً محدوداً فلم يخصص مكاناً للمتوفى خارج القربة، بل دفن موتاه تحت أرضية المساكن كما كان يفعل إنسان مرمدة بني سلامة في مصر. كما تلاحظ ظاهرة فريدة هي فصل رأس المتوفى عن جسده ووضع نموذج حصي لصورة المتوفي يغلب أنها تمثل رداء للرأس. وبالاضافة إلى آثار العمارة الطينية هناك أيضاً آثار حجرية ضخمة (Dolmen) تتكون من كتل حجرية هائلة تشكل حوائط حجرات وممرات وتمثل مجموعة منازل ومعابد من نوع آخر غير القرى السالفة الذكر. وتنتشر تلك الآثار الحجرية، المنتمية لهذه المرحلة، في كل من فلسطين والأردن[١].

ورغم وفرة الآثار المنتمية لهذه المرحلة، (التي تؤرخ حسب تقديرات طريقة الكربون المشع بحوالي ٦٢٥٠ق.م) فإنه لم يصل إنسانها إلى الصناعة الفخارية.

(ب) مرحلة العصر الحجري الحديث الصميم (الصناعة الفخارية Pottery Neolithic) (٥٠٠٠-٤٠٠٠ق.م).

---

(١) الناضوري، المرجع السابق، ص١٤٠.



شكل رقم (٧)

التحصينات الحجرية لمدينة أريحا في العصر الحجري الحديث المبكر.

عثر على آثار هذا العصر في أريحا إبتداء من الطبقة التاسعة، كما عثر عليه أيضاً في وادي اليرموك. وتتميز هذه المرحلة بالفخار المزين بالرسوم، وبصناعة التماثيل الحجرية الصغيرة.

ويعتبر فخار هذه المرحلة، (التي يرى معظم المؤرخين أنها تعود لأواسط الألف الخامسق.م)، أقدم فخار عثر عليه في فلسطين.

ويختلف العلماء في أصل هذه الحضارة، هل هو من أصل محلي أم خارجي إلَّا أنه يصعب البت نهائياً في هذا الشكل لعدم توفر الأدلة الكافية على ذلك ولكن حقيقة الحضارة الناطوفية، ودورها في نقل حياة الانسان نحو إنتاج الطعام، ووجود طبقة ما قبيل النيوليتية (pre Neolithic) بأريحا يساعد في إمكانية التفسير المحلي لهذه الحضارة التي تميزت بظاهرة معمارية خاصة حيث أحيطت هذه المدينة بتحصينات حجرية قوية ويمكن للباحث تفسير ظاهرة التحصين على أساس حاجة الانسان النطوفي المستقر في القرى إلى ضرورة تحصين قراه لوقايتها من التسللات السامية التي كانت تداوم على التغلغل من الصحراء العربية إلى المناطق المنخفضة والأودية في عصور ما قبل التاريخ وخلال العصر التاريخي.

ومن مظاهر هذه المرحلة العثور على عدد من الأمثلة الأثرية التي تعبر عن فكر ديني متطور لهذه الحضارة، إذ يستدل من بعض المقابر الفردية والجماعية ما يشير إلى اعتقاد إنسان هذه الحضارة في البعث، فقد وجدت بعض الكتل الحجرية فوق الهياكل العظمية التي كانت في حفر تحت مستوى سطح الأرض حيث توضع جثث الموتى، وربما كان ذلك لحماية الجثث لتحقيق فكرة الخلود إنطلاقاً من الاعتقاد بالأبدية، ومما يعزز هذا الرأي الخاص بعقيدة استمرار الحياة في العالم الآخر استمرار وجود ظاهرة فصل رأس المتوفي عن جسده ووضع كسوة حصية فوق رأس المتوفي، كما وجدت بعض الخطوط ذات اللون الأسود فوق رأس المتوفي المكسوة بالجص شكل (٤) وربما تكون كرداء للرأس حتى تظل صورة المتوفي مناظرة لما كانت عليه في أثناء حياته وهذه خاصية مميزة وفريدة في نوعها بمنطقة الشرق الأدنى القديم. كما يعتبر دفن الموتى تحت أرضية المساكن مرحلة من مراحل التطور بالنسبة إلى تخصيص

مكان معين كمنزل المتوفي في العالم الآخر قريباً جداً من منزله، وتتكرر ظاهرة دفن الموتى تحت أرضية المساكن في بعض المجتمعات الأخرى المعاصرة وبخاصة في مرمدة بني سلامة بمصر.

يتبين مما تقدم أن مدينة أريحا تعتبر خير مثال لمدينة العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد تميزت بمظاهر حضارية فريدة، فقد عاش فيها ما لا يقل عن ثلاثة ألآف شخص كانوا يعيشون حياة متقدمة، وقد استخدموا الأواني والأطباق المصنوعة من الأحجار المأخوذة من صخور محلية ناعمة يمكنها أن تعطي وجهاً مصقولاً جميلاً للأواني، كما استعملوا الأدوات الصوانية إلى جانب الفخار والزجاج الطبيعي أحياناً في الوقت نفسه الذي كان فيه معاصروهم يعيشون في أكواخ صغيرة أو كهوف، وربما ساعد على ذلك وجود مورد مياه دائم بجوار المدينة، مما وفر أسباب الاستقرار وممارسة زراعة الحبوب والبساتين، حيث عثر على العديد من المكاشط والمناجل والمسننة الأطراف بدقة الرحى الخاصة بطحن الحبوب، كما أن الإشراف على المياه كان يقتضي تنظيم حياة اجتماعية والشعور بالمسؤولية الجماعية، فضبط الري يتطلب إحساساً جدياً بالتعاون واحترام العرف بين الجماعات المستقرة، والتوصل إلى المجتمع المنظم القائم على الاقتصاد الزراعي المستقر حتى ليجوز لنا أن نقول إن نواة أول حكومة في التاريخ نشأت هنا.[١]

ويلاحظ الباحث ان آثار العصر الحجري الحديث في فلسطين متنوعة وهامة ولكنها غير واضحة التكامل الموضوعي، ولذلك يصعب ربطها بنفس المقياس الحضاري المتكامل إلى حد كبير مع المواقع الأخرى[٢]. وذلك لإنها تتضمن ظواهر معمارية فريدة في نوعها وبخاصة ظاهرة التحصين المعماري والنحت والتشكيل الصوري الإنساني، وتدفع هذه الظاهرة الخاصة الباحث إلى توخي مداومة البحث المقارن لأثار تلك المرحلة حتى يمكن وضعها في مكانها الحضاري الصحيح.

---

(١) العابدي، ص٤١.

(٢) الناضوري، المرجع السابق، ص١٤٢.

أما من الناحية العرقية فيرى بعض العلماء أن أصحاب هذه الحضارة ينتسبون إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط المختلط بنسبة زنجية محدودة ويتميز بأنه من عرق أقصر قامة من العرق الذي عاش في عهد الحضارة السابقة. كما أنهم كانوا نحفاء الأجسام. مستديري الرؤوس يشبهون كلا من انسان «عصر البرونز الحجري» الذي وجدت آثاره في بيبلوس (جبيل). والمصريين الذين عاشوا في عصر ما قبل الأسرات؛ ويبدو أنهم كانوا من أفراد العرق نفسه الذي انتسب إليه الحاميون والساميون فيما بعد.[٢] وقد اصطلح فريق آخر من العلماء على إطلاق تعبير «السابقين للساميين» على سكان فلسطين وسوريا في هذه المرحلة، وينتمون إلى سلالة البحر الأبيض المتوسط، التي تميزت بصفات معروفة، وتم انتشارهم في حوض هذا البحر منذ العصر الحجري الحديث.

فلسطين في مرحلة الألف الخامس قبل الميلاد

شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم بعامة تطوراً حضارياً في هذه المرحلة، فقد ساعدت معرفة الزراعة والتوصل إلى استخدام معدن النحاس على تحقيق المزيد من الاستقرار. فقد أخذ إنسان هذه المرحلة، بمنطقة «فلسطين - سوريا - الأردن - لبنان» ينظم شؤون حياته على أسس متطورة من التعاون والاستقرار في أكواخ وبيوت من الطين والحجر، مما دفع عجلة التطور الحضاري خطوات واسعة إلى الامام. كما شهدت نهاية هذه المرحلة توسعاً في الإتصالات التجارية والثقافية بين فلسطين وسورية ولبنان من جهة، ومصر وبلاد بابل من جهة أخرى.

فدخلت العلاقات بين هذه الأقطار مرحلة جديدة من التطور بحيث نشطت الحياة في جميع مظاهرها في منطقة الشرق الأدنى القديم. وقد عثر في حضارة البداري بمصر على العديد من الأواني النحاسية، وبعض أدوات الزينة مثل الدهنج، (Malacite) التي أثارت جدلاً علمياً حول مصدرها. ويرى (H.

---

(١) Garrod and Bate, Q.A.D., In Palestine, 1928, PP. 182-5, P.114

-Macalister, R.A.S., The civilization of palestine & Karnak, W.R., Southern palestine, some problem In Historical Geography, S.G.M., 1918, pp. 99-105.

and W.) أن أدوات الزينة الشخصية، وكذلك المواد التي صنعت منها، كانت من العناصر الأساسية لتجارة المسافات الطويلة في منطقة الشرق الأدنى القديم منذ العصر الحجري، حيث حاول إنسان تلك المرحلة، بطريقة أو بأخرى، الحصول على المعادن الثمينة اللازمة لصناعة الحلي، ومن ثم مع الذهب والنحاس والعاج والعقيق وغيرها من المواد الجذابة ذات الألوان البراقة.

ويتمثل الألف الخامس ق.م في فلسطين في حضارة أريحا (٨) وحضارة وادي غزة، الحضارة الغسولية، وحضارة بئر السبع. وتمتد هذه الحضارات زمنياً من نهاية العصر الحجري الحديث حتى أواسط الألف الرابع ق.م، وتعتبر هذه الحضارة معاصرة للحضارات المجاورة في منطقتي العمق «ج»، «د» ومنطقة تعليقة والساحل السوري وبخاصة الطبقة الرابعة من موقع رأس شمرا في سورية، وحضارة حلف في العراق، وحضارة البداري والفيوم (ب) في مصر. وتشير الأدلة الأثرية المنتمية إلى هذا العصر إلى استخدام الفلسطيني لمعدن النحاس بشكل عادي حوالي ٤٠٠٠ ق.م، ولكن استعماله لهذا المعدن لم يطغ على استعماله للصوان والحجارة كمواد رئيسية لصنع الأدوات والأسلحة حتى بعد ٣٠٠ ق.م.

مما دعا بعض المؤرخين إلى تسمية الألف الرابع ق.م في فلسطين بالعصر النحاسي الحجري، حيث كان الصوان لا يزال دون منازع المادة الرئيسية في الصناعة. وتتوافر أثار الحضارة النحاسية في تليلات الغسول، حيث عثر على أدوات تعد من أقدم الأدوات المعدنية التي اكتشفت في فلسطين حتى الآن. كما تم العثور على أدوات نحاسية أخرى في آدوم[1]، جنوبي البحر الميت وشرقيه، ترجع إلى حوالي ٢٠٠٠ ق.م.

---

(١) آدوم: أرض الأدوميين، وهي المنطقة الممتدة بين نهر الحسا وخليج العقبة. والأدمييون قبائل سامية تحركت من الجزيرة العربية مع الموجة الأرامية حوالي ١٤٠٠ ق.م بصحبة المؤابيين والعموينيين. ويذكر (قاموس الكتاب المقدس ٥٤/١) أن المخلفات الأثرية تشير إلى حوالي ثلاثين مدينة أدومية، ويعرف من مدنهم: توفيل «الطفيلة الحالية»، بصرة «بصيرة الحالية»، البترا، والعقبة. وقد اشتهر الأدومييون بالتجارة. ويرى الدباغ: (بلادنا فلسطين ص٤٩٨) أن أيوب عليه السلام كان من الأدوميين. وعرف الأدوميون بعداوتهم لليهود فقد حاربوهم: عندما حاولوا المرور من أراضيهم بعد خروجهم من مصر لدخول فلسطين. ولما استطاع =

ويمكن تقسيم هذه الحضارة في فلسطين إلى مراحل ثلاث متصلة تتمثل أولاها في كل من: الطبقة الثامنة في أريحا، وحضارة وادي غزة. أما المرحلة الثانية: فتتمثل في الحضارة الغسولية، والمرحلة الأخيرة: تتمثل في حضارة بئر السبع.[1]

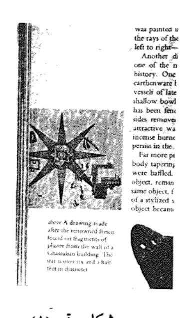
وتعتبر الحضارة الغسولية خير مثالٍ للحضارة الفلسطينية في مرحلة الألف الخامس ق.م. وتعرف هذه الحضارة بالغسولية نسبة إلى تليلات الغسول، وهي عبارة عن مجموعة من التلال المنخفضة تقع على نحو عشرة كيلو مترات إلى الشمال الشرقي من البحر الميت في سهل الأردن.

ويتبين من مخلفات هذه الحضارة ما يشير إلى ممارسة الفلسطيني للزراعة وتربية الماشية. فقد ظهرت بعض الأدوات الزراعية وبعض أشكـال الغنم والماعز بصور متكررة على التماثيل الطينية الصغيرة من بين تلك المخلفات. كما تشير هذه المخلفات إلى أن الفلسطيني قد عاش في القرى المستقرة التي كانت قائمة في أودية الأنهار أو السهـول، والتي كانت تعتمـد على الـري والزراعة المتنوعة. كما أنه نظم شؤون حياته التي تطورت بشكل واضح، واهتم بالعمارة فبنى منازله بأحجام متوسطة وبتخطيط متعدد. وأقام الجدران من الأجر على أسس من الحجر الغشيم. وكانت السقـوف مصنوعـة من القصب المغطى بالطين. وغالباً ما كان أحد الجوانب الكبرى للبيوت المستطيلة يقابل باحه. وقد بنيت الجدران من اللبن، كما زخرفت جدران المنازل برسوم ملونة تبدو كنجمة ثمانية شكل رقم (٨) وتحيط بها رسوم ورموز غير عادية. ويبدو أن الفن قد تقدم بعد ظهور المعدن، فتعددت الاختام والحلي والأواني النحاسية، كما زاد الاهتمام بفن النحت. وقد عثر على رسوم بشرية وحيوانية على بعض الحجارة في مجدو وتعود إلى نهاية هذه المرحلة، كما وجدت على بعض الجدران الداخلية لبيوت من تليلات الغسول رسومات تمثل أشكالاً بشرية أو إلهية بألوان متعددة.

= الأنباط الاستقرار في أراضيهم حوالي عام ٥٠٠ ق.م انتقل الأدوميون إلى فلسطين واستقروا في مناطق الجليل وبيت جبرين.

(١) الناصوري، المرجع السابق، ص١٧٤.

ويتبين من مخلفات القرى الغولية أنها خطت خطوات أكثر تكاملاً نحو الحياة المنظمة المستقرة، فقد وجدت بها مخازن للغلال، كما وجدت أجران


was painted
the rays of the
left to right—
Another
one of the
history. One
earthenware
vessels of late
shallow bowl
has been
sides remove
attractive
incense burn
persist in the
Far more
body tapering
were baffled.
object, remain
same object,
of a stylized
object became

above A drawing made after the renowned fresco found on fragments of plaster from the wall of a Ghassulian building. The star is over six and a half feet in diameter

شكل رقم (٨)

زخرفة وجدت على قطعة من الجص على حائط مبني من الحضارة الغسولية يبلغ محيط النجمة أكثر من ستة أقدام ونصف.

ومواقد وأوان حجرية وأدوات نحاسية. كما اتبع إنسان هذه الحضارة طريقة دفن الموتى في المقابر المغطاة بالكتل الحجرية (Dolmens)، ومن الجدير بالذكر أنه عثر على العديد من هذه المقابر في شرقي الأردن وسورية وفي آسيا الصغرى، كما انفردت هذه الحضارة بظاهرة استخدام بعض الأواني الفخارية التي تتخذ شكل منازل لها أسقف دائرية وذلك لحفظ عظام الموتى. ومن أهم الآثار الدينية أيضاً العثور على معبد كبير ينتمي إلى الحضارة الغسولية يتكون من ساحة تحيط بها المباني الرئيسية الخاصة به. ففي الجهة الشمالية يوجد المبنى الرئيسي، وفي الجهة الجنوبية توجد المدخل في مواجهة البئر. هذا بالإضافة إلى مدخل في الجهة الشرقية، وحائط حجري يربط بين تلك المباني. ويبلغ طول هذا المعبد عشرين متراً، كما يلاحظ وجود مذبح في مواجهة المدخل، حيث عثر على بقايا عظام حيوانية وشقف فخارية ومن جهة أخرى يلاحظ وجود

شبه بين هذا المعبد ومعبد مجدو[1] ويلاحظ الباحث أن هذه القرى الغسولية لم تحط بأسوار أو تحصينات كما كان الحال في مرحلة العصر الحجري الحديث في جريكو. وربما كان ذلك بدافع من الشعور بالاطمئنان، أو عدم تعرضها لتحركات بشرية رئيسية في هذه المرحلة.

أما حضارة بئر السبع المنتمية للفترة الأخيرة من هذه المرحلة، فيلاحظ أنها جمعت بين الرعي والزراعة. وقد عثر بين مخلفاتها على كافة الأدلة الأثرية المتصلة بالحياة الزراعية كالأجران، والمناجل، والمخازن. أما بالنسبة للمنازل، فقد كانت أشبه بالكهوف، فهي عبارة عن حجرات سفلية مستديرة، أو بيضية يصل إليها السكان بوساطة درج يؤدي إليها، أو أنفاق، أو آبار رأسية، وتؤدي تلك المداخل إلى ممرات أفقية تتفرع بدورها إلى الحجرات.

وفي ضوء مخلفات حضارة بئر السبع اتجه بعض الباحثين إلى محاولة إيجاد ترابط حضاري بين الحضارة الغسولية وحضارة بئر السبع.

وإذا قورنت آثار هذه المرحلة «الألف الخامس ق.م» في منطقة «فلسطين - الأردن - سوريا - لبنان «بما يناظرها في وادي الرافدين ووادي النيل اتضحت أولوية حضارة حلف في العراق والبداري بمصر.

أما التركيب العرقي للسكان فليس واضحاً في هذه المرحلة، ويحتمل أن بعض سكان هذه المرحلة كانوا ينتسبون إلى جنس البحر المتوسط الذي تفرع منه الساميون والحاميون فيما بعد. وربما انتسب بعضهم الآخر إلى العنصر المعروف بالأرمني، كما يتضح من دراسة بعض الهياكل العظمية في جازر[2]. ويرجح أن هناك عروقاً أخرى شاركت في تكوين السكان في هذه المنطقة «فلسطين - الأردن - سوريا - لبنان».

فلسطين في مرحلة عصر الحجر والنحاس (Chalcolithic Period)

تعرف هفه المرحلة في منطقة الشرق الأدنى القديم، وبخاصة في مصر

(١) Mellart, J., The Chlcolithic And Early Bronze Ages, In The Near East And Anatolia, Beirut, 1960, p.35.

(٢) Macalister, op. cit., Vol.I, pp.58-9.

وبلاد الرافدين بمرحلة «عصور ما قبل الأسرات»، وتتمثل في فلسطين في مواقع حضارة أريحا[1] وبعض مواقع في وادي غزة، ومواقع الحضارة الغسولية، ويرى بعض المؤرخين أنها تمثل المرحلة الاولى من استخدام البرونز (Early Bronze) التي تميزت باستخدام الأدوات المعدنية في الزراعة واستخدام الأواني الفخارية في تخزين الفائض من المحاصيل، مما أدى إلى تقديم الزراعة في المنطقة، وفي تدعيم حياة الاستقرار في القرى الثابتة، وبالتالي إلى انتشار النشاط الحضاري والبشري والتجاري في معظم منطقة الشرق الأدنى القديم. كما امتازت القرون الأخيرة من هذه المرحلة بالتقدم السريع وكثرة اتصال الشعوب بعضها ببعض، وإقبالها على تبادل المصنوعات فيما بينها، كما يبدو ذلك في العديد من المظاهر الحضارية الخارجية في أقاليم الشرق الأدنى القديم المختلفة.

ومن دراسة الأدلة الأثرية المختلفة التي تعود إلى النصف الأول من هذه المرحلة في فلسطين أي حوالي (٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م.) يتبين ما يشير إلى استمرار تطور حضارة جريكو في فلسطين جنباً إلى جنب مع المراكز الحضارية المجاورة في منطقة العمق في سورية، وبيبلوس في لبنان بخاصة، ومع حضارة جرزه الأولى، ونقاده الأولى، والعمرة في مثر، وحضارة العبيد والوركاء في العراق القديم بعامة، كما تشير بالتالي إلى ازدياد الصلات الخارجية بين فلسطين والمناطق المجاورة، ثم بين تلك المراكز الحضارية نفسها. أما بالنسبة لمصر كأحد المراكز الحضارية الرئيسية في المنطقة، يجد الباحث أن حضارة مصر العليا في هذه المرحلة، قد تطورت تطوراً محلياً مع وجود بعض المؤثرات الأجنبية المحدودة. بينما يلمس الباحث أن منطقة مصر السفلى قد تأثرت بصورة واضحة بالمؤثرات الليبية في الغرب، وكذلك بالفلسطينية وجزر شرقي البحر الأبيض المتوسط في الشمال والشرق. ومن الأدلة المادية على ذلك العثور

---

(١) قسم اولبرت هذه المرحلة الحضارية على النحو التالي: (٤٠٠٠ - ٣٦٠٠ ق.م) تقابل أريحا(٨). (٣٧٠٠ - ٣٣٠٠ ق.م) تقابل الغسولية (٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) تقابل المرحلة الأخيرة من عصر الحجر والنحاس.

على مقامع كمثرية وأوان فخارية ذات أيد مموجة في مصر السفلى ترجع إلى أصل فلسطيني.

ومن دراسة المخلفات الأثرية، وبخاصة الأواني الفخارية والمقابر التي تعود لبداية هذه المرحلة في فلسطين يتبينّ أنها تميزت بتحركات بشرية متعددة نحو الأراضي الفلسطينية. فقد عثر فيها على العديد من الأواني الفخارية المتنوعة الأشكال، وذات الأنماط الحضارية المختلفة. كما وجدت مقابر جماعية، حفر بعض منها في الصخر أو في الكهوف الطبيعية ومنها ما كان يتسع لحوالي ثلاثمائة شخص. وقد عثر في وسط كل مقبرة على كومة من الحطب الخاص بحرق جثث الموتى كما لوحظ وجود جماجم الموتى وقد فصلت عن الأجساد، ووضعت بالقرب منها بعض الأواني الفخارية. ولما كانت هذه الظاهرة تعتبر فريدة فإن ذلك يرجح أن أصحابها وافدون على الأراضي الفلسطينية رغم امتزاجهم مع اصحاب الحضارة الغسولية بفلسطين.

ويتبين للدارس أن التحركات البشرية في هذه المرحلة قد تميزت بتعدد العناصر البشرية التي وفدت إلى فلسطين، حيث يلاحظ أن استمرار ظاهرة التحصين الدفاعي باستخدام الحجر في بناء الجدران السمكة في بعض المواقع الفلسطينية، مثل «خربة كرك»[1] يعتبر نوعاً من الحماية اتخذته المجتمعات السامية المستقرة وسيلة لدفع خطر العناصر السامية الجديدة الوافدة. وإن ما عثر عليه من أوان فخارية في كل من مجدو وأريحا، وما تضمنته من عناصر جديدة تميزت بالخطوط المموجة والمتقاطعة يثبت وفود عناصر جديدة. ويؤيد ذلك تنوع الأواني الفخارية التي خلعتها تلك للعناصر البشرية في مقابر ومنازل الحضارة الغسولية التي تعود للفترة نفسها، والتي تشير في الوقت نفسه إلى امتزاج العناصر الوافدة مع السكان الأصليين.

---

(١) خربة كرك: (Khirbat Kerak) وتعرف «بيت ياراح» (Bet Yerath). أو «بيت يارا». وقد عرفت في اعهد اليوناني الروماني باسم «فيلوتيريا» (Philoteria) وتقع في الجنوب من بحيرة طبرية، ويعود تاريخها للألف الرابع ق.م. وقد كانت من المدن الكنعانية الهامة لاحتلالها موقعاً هاماً تمر به طرق التجارة بين كنعان وسوريا والاردن.

وتشير الأدلة الأثرية أيضاً إلى استمرار التحركات السامية في أثناء هذه المرحلة وبخاصة في نهايتها المعروفة بمرحلة «الانتقال للعصر التاريخي».

لقد تبين لدري[١] (Derry) من دراسة البقايا العظمية لهذه الفترة في مصر، أن أصحابها يختلفون في صفاتهم الجسمانية عن العناصر المحلية، مما دعاه إلى أن يؤكد وفود عناصر بشرية جديدة نتيجة للصلات المصرية الخارجية. ويرى أن تلك العناصر كانت سبب ظهور المدنية الفرعونية. كما يتجه امري[٢] (Emery) إلى تأييد هذا الرأي. أما مللات[٣] (Mellart) فقد اتجه إلى ابعد من ذلك، حيث يؤكد أن العناصر السامية المنتمية لهذه المرحلة والتي ظهرت في العراق وسورية ولبنان وفلسطين، كانت صاحبة تلك الخطوة الحضارية الهامة في مصر.

ويرى الباحث مع الناضوري[٤] أن هذه النظرية لا تزال بحاجة إلى تدعيم أثري غير متوافر حتى الآن. والذي لا شك فيه هو استمرار التحركات البشرية السامية من الجزيرة العربية على شكل موجات متتابعة نحو الأراضي الخصبة في سورية والعراق، وأحياناً نحو مصر باتجاهها شمالاً عن طريق سيناء، أو جنوباً بعبورها بوغاز باب المندب. وقد دخل بعضها مصر عن طريق الصحراء الشرقية، ووصل إلى وادي النيل من الدرب الموصل بين القصير والنيل عند قفط، حيث اشتهر هذا الدرب في جميع عصور التاريخ المصري، وكانوا يسمونه طريق الالهة[٥] نسبة إلى مجيء أسلافهم ومعهم آلهتهم عبر هذا الطريق.

وقد استمر هذا الحال في عصر ما قبل الأسرات الأخير حوالي (٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م) الذي يعتبر خاتمة المطاف في سجل حياة انسان ما قبل التاريخ في منطقة الشرق الأدنى القديم. وقد كان من أهم مظاهره

---

(١) Derry, D.E., The Dynastic Race in Egypt, JEA, Vol.42, 1956.

(٢) Emery, W.B., Archaic Egypt, London, 1936, p.38.

(٣) Mellaart, J., op.cit., p.57.

(٤) الناضوري، المرجع السابق، ص٢٣٩.

(٥) أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٠.

اتساع نطاق الصلات الخارجية التجارية والحضارية بين مناطقه المختلفة، والتي يمكن ملاحظتها بين فلسطين ومصر، وبين العراق القديم ومصر. ويتضح ذلك من وجود عدد من الآثار المصرية التي تظهر فيها بوضـوح المؤثرات الفلسطينية والسومرية، ومن تلك الأمثلة العثور على فخار ذي أيد مموجة في أبو صير الملق ونقاده وغيرهما من الأراضي المصرية تعود للطبقة (٧ - ٦) من مجدو والطبقة ١٥ من بيسان، والكهف رقم ٧ من جازر.[١]

والمرجع أن تلك المؤثرات الفلسطينية قد دخلت مصر عن طريق الدلتا على طول الطريق التقليدي بين شرقي الدلتا وجنوب فلسطين. كما عثر على مجموعة اخرى من الأواني الفخارية ذات الصنابير المائلة، وكذلك على بعض الأواني ذات الأذان المثلثة في مستجدة والبـداري، وهي تعتبر من أصـل سومري، إذ تنتمي إلى حضارة جمدة نصر، هذا بالاضافة إلى العثور على أربعة من الأختام الاسطوانية المنتمية إلى عصر حضارة الوركاء وعصر جمدة نصر من العراق القديم في كل من جزرة ونجع الدير[٢].

ولم يقتصر التأثير العراقي في مصر على الصناعة الفخارية والأختام، بل تشير الأدلة الأثرية إلى وجود مؤثرات فنية سومرية الطابع على الأثار المصرية، مثل السفن العراقية القديمة المميزة بمقدمتها وبمؤخرتها القائمة، وقد رسمت على جرة من الفخار، «ورسم الثعابين المتشابكة» وقد وجد على يد سكين

---

(١) جازر: وتعرف بـ«جيزر» (Gezer). كما تعرف الآن بـ«أبو شوشة». ويعرف موقعها «بتل الجزر» وتقوم عليه قرية «أبو شوشة» قضاء رام الله. وتحتل جازر موقعاً ممتازاً يشرف على الشريط الساحلي الفلسطيني. وقد كشفت مخلفاتها عن أنها كانت واحدة من أقدم المدن في العهد الكنعاني، وقد ورد ذكرها في النصوص المصرية القديمة من عهد تحتمس الثالث: (Gezer). كما ورد ذكرها في لوحات العمارنة حيث أشارت إليها بتسعة من تلك الخطابات، وخاصة خطابات «عبد خبيا» حاكم القدس، وقد ورد ذكرها في لوحة مرنبتاح» ضمن البلاد التي استولى عليها ولأهميتها لقب هذا الملك المصري نفسه بـ«قاهر جازر». وقد احتفظت هذه المدينة بشخصيتها حتى مطلع الألف الأول ق.م. حيث ساندت الفلسطينيين ضد العبرانيين حتى استولى عليها الفرعون المصري «شيشنق» فيما بعد.

(٢) Kantor, H., «Further Evidence for Early Mesopotamian Relations With Egypt», Journal of Near Eastern Studies, Vol.XI, 239 ff.

ذهبية في جبل تاريف، «وبطل بين أسدين»، وقد وجد على يد سكين في جبل العركي، كما وصلت تلك المؤثرات السومرية إلى قمتها في مصر في العمارة المميزة بظاهرة الفجوات المنتظمة في نهاية عصور ما قبل الأسرات، والتي تتضح بصفة خاصة في مقبرة الملكة «بنت حتب» في نقادة، والتي ترجع في أصولها إلى حضارة العبيد في العراق القديم مما يشير إلى ازدياد مجال الصلات الخارجية العراقية والتي اتضح امتدادها إلى مصر والسند ويلاحظ الباحث أن المؤثرات الحضارية الفلسطينية والعراقية القديمة في هذه المرحلة كانت من طرف واحد تقريباً. وبخاصة بالنسبة للعراق القديم، حيث لم يعثر حتى الآن على مؤثرات مصرية في بلاد الرافدين أو فلسطين والمناطق المجاورة في سورية ولبنان أن منطقة «فلسطين - سورية - الاردن - لبنان» قد تابعت تطورها بالمستوى الحضاري نفسه للمناطق الرئيسية المجاورة في كل من بلاد الرافدين ومصر. وفي نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، يلاحظ امتزاج حضاري في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد أصبحت سوريا وكنعان الوسطين الحضاريين بين وادي الرافدين ووادي النيل وقبيل نهاية هذه المرحلة، استمر التطور الحضاري في منطقة «فلسطين - سورية - الاردن - لبنان» متمشياً إلى حد كبير مع التطورات الحضارية المجاورة، ومحتفظاً بالطابع المحلي الخاص بتلك الحضارات، رغم المؤثرات الحضارية العراقية والمصرية المجاورة التي تتضح معالمها في عصر ما قبل الاسرات الأخير، وهي المرحلة المعروفة في فلسطين بالمرحلة الاولى من بداية عصر البرونز الأول (E.B.I.) والتي يطلق عليها أيضاً تسميات اخرى مثل عصر الحجر والنحاس الأخير (Late Chalco Lithic) أو «ما قبل المدني» الذي تميز بازدياد الصلات التجارية والحضارية. فقد عثر على أوانٍ فخارية عراقية في مواقع متعددة من فلسطين منها: رأس العين[1]

(١) رأس العين: (Ras Elain): وتسمى «أفيق» بمعنى «قوة» أو «قلعة»، أي «المدينة المسورة المحصنة». وتقع الآن عند منابع العوجا على بعد ١٧ كم تقريباً من الشمال الشرقي لمدينة يافا. إذ كشفت عمليات التنقيب في المدينة عن وجود مخلفات مصرية من بينها أختام تعود إلى عهد الدولة المصرية الوسطى. كما ورد أسمها في النصوص المصرية القديمة التي تعود إلى عهد الدولة المصرية الحديثة حوالي ١٤٠٠ ق.م. وقد شهدت هذه المدينة في الألف الأول ق.م هزيمة اليهود أمام الفلسطينيين. وقد ذكر العهد القديم (صموئيل الأول ٤/ ١٠ أنه قتل بها نحو ٣٠,٠٠٠ رجل).

وتل الفارغة[1] كما عثر على أوانٍ أخرى في سورية في طبقات تلال العمق وبخاصة الطبقة «و» ثم في بيبلوس «٤» بلبنان. وتبدو هذه الصلات بين العراق من جهة «وفلسطين وسورية ولبنان» من جهة أخرى، وبما عثر عليه في أوان فخارية تتميز برسومها الهندسية والحيوانية، كما تبدو كذلك في انطباعات الأختام العظمية والحجرية ذات الصلة الوثيقة بفخار وأختام حضارة جمدة نصر في العراق.

ومن ناحية أخرى عثر في البداري بمصر على أوان فخارية تتميز بالخطوط المتموجة والمتقاطعة، وهي وثيقة الصلة بفخار الطبقة (٦) من أريحا بفلسطين.

---

(١) **تل الفارغة** وتعرف «تل الفرح» (Tel Farah): يعرف موقعها اليوم بـ«ترصه»، وتقع على بعُد ٧ كم شمال شرقي نابلس الحالية. وهي من المدن التي كان لها شأن هام في العهد الكنعاني.

ملاحظة: توجد مدينة أخرى في جنوب فلسطين بنفس الأسم، وتعرف أيضاً بـ«تل الفرح» كما تعرف بـ«شاروحين».

مجدو (Megiddo) من أقدم المدن الفلسطينية المعروفة، ويعرف موقعها اليوم «بتل المتسلم» ويحتل هذا الموقع مكانة استراتيجية هامة لاشرافه على الممر الذي يخترق جبل الكرمل من السهل الساحلي إلى مرج بن عامر.

وتعتبر هذه المدينة من المدن الكنعانية الهامة وقد ورد ذكرها في النصوص المصرية القديمة من عهد «تحتمس الثالث» باسم مكتي (Mikti)، كما فسرت على أنها سامية مشتقة من «جداً» أو «جدد» الأرامية بمعنى «قطع» و«فصل»، وفسرها اخرون على أنها تعني موضع الجيوش أو مخيمها. وقد نقب فيها العديد من الأشخاص والمؤسسات منهم (P.L.O. Guy) في عامي ١٩٢١، ١٩٣٥ تحت اشراف جامعة شيكاغو، كما نقب فيها (G. Loud) ١٩٣٩ - ١٩٤٨ (R.S. Laman) وأخرون. ومن أهم ما عثر عليه في المدينة بعض البنايات المبنية من الطين وبعض القبور ومخلفات مصنوعة محلياً وهي عبارة عن أوانٍ فخارية ونحاسية وبعض الأدوات الصغيرة، كما عثر على بعض الأختام التي تحمل نقوشاً تمثل بعض الملوك المصريين مثل «سيتي الأول» و«رمسيس الثالث» تعود لفترات زمنية مختلفة. ومن لمخلفات التي عثر عليها قاعدة تمثال صغير عليه نقوش مصرية وكتابة هيروغليفية تمت ترجمتها، ونشرت عام ١٩٦٩ في (A.N.E.T.) تحت عنوان (The Statuette Base of Thut Hotep) وقد عثر في المدينة على مجموعة من المصنوعات العاجية نشرها وعلق عليها جون ولسون في (A.N.E.T.) عام ١٩٦٩ ونشرت تحت عنوان «عاج مجدو» (The Megiddo Ivories) وهي مجموعة كبيرة من العاج وجدت في قصر مجدو، ويتبين من صناعتها تأثرها بأنماط حضارية مختلفة من الشرق الأدنى القديم، ويحمل بعضها كتابة هيروغليفية واسم الملك المصري رمسيس الثالث.

الجدول رقم (١)
جدول تقويمي مقارن لمرحلة ما قبل العصر التاريخي
لحضارات العصر الحجري الحديث، والحجر والنحاس، وما قبل الأسرات
في فلسطين والأقطار العربية المجاورة

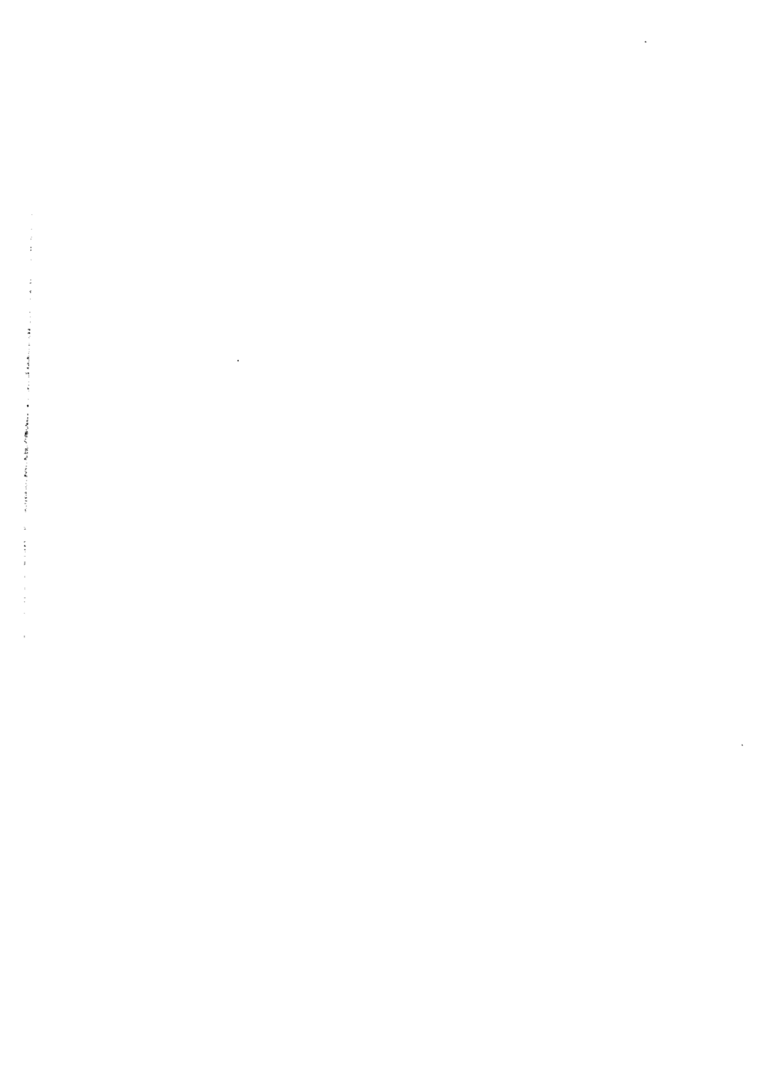
اسم العصر الحضاري وزمنه	فلسطين	سوريا	مصر	العراق
العصر الحجري الحديث (حوالي) الألف السادس ق.م.	أريحا ١٠، ٩	منطقة العمق (أ)،(ب)	الفيوم (أ) مرمدة بني سلامة حلوان العمري دير تاسا	ملفقات جرمو حسونه
عصر الحجر والنحاس (حوالي) الألف الخامس ق.م.	العنولية أريحا ٨	العمق (ج)،(د)	البداري	حلف.
عصور ما قبل الاسرات (حوالي) الألف الرابع ق.م.	عصر الحجر والنحاس الأخير «ما قبل المدني» بداية عصر البرونز المبكر	العمق (هـ)،(د)	جرزة الاولى، جرزة الأخيرة، نقادة الاولى، نقادة الثانية.	العبيد الوركاء

ويستدل من المخلفات الأثرية الفلسطينية في هذه المرحلة ما يشير إلى تحركات بشرية جديدة نحو الأراضي الفلسطينية. إذ يتبين من الأواني الفخارية، وعمارة المنازل والمعابد والمقابر، وبخاصة في كل من مجدو وأريحا ما يشير إلى مزيج حضاري في هذه المخلفات، كما أن استمرار وجود المقابر الجماعية، واستخدام ظاهرة اللبنية السميكة كمظهر دفاعي، كما كان الحال في السابق، يرجح وفود جماعات بشرية جديدة تحمل أنماطاً حضارية مختلفة.

لقد بلغ اتساع نطاق العلاقات الحضارية والتجارية بين مجتمعات الشرق الأدنى القديم في هذه الفترة مداه مما دعا العديد من الباحثين إلى خلع الصفة الـدولية عـلى تلك العـلاقـات[1]. وتعتبـر فلسـطين بـل منـطقـة «فلسطين - سورية - لبنان» خير مثال على ذلك، حيث كانت بحكم موقعها الجغرافي على اتصال مباشر وغير مباشر مع كل من بلاد الرافدين ومصر. وتشـير الأدلة الأثـرية الخـاصة بهـذه الفترة إلى أن الصـلات بين منـطقـة «فلسطين - سورية - لبنان» والأقطار المجاورة لم تقتصـر على التجـارة، بل شملت أيضاً الصناعات المحلية المقلدة في كلا الجانبين، حيث اتسمت تلك الصناعات بصفة التعبير الفني بجانب وظائفه الأساسية التي تضمنت الكثير من الزخارف المستوحاة من البيئة المحلية، والتي تعبر عن بعض المفاهيم الفكرية التي بدأت تلك المجتمعات في الاعتقـاد فيها. ومن تلك الأمثلة الأختـام الاسطوانية، والصناعة الفخارية والحجرية والنحاسية والـطينية، حيث وفـر انسان المنطقة الاحتياجات الرئيسية لمجتمعات القرى الكبيرة التي بدأت تأخذ طريقها في النمو والاتصال الخارجي، وزيادة نشاطها الاقتصادي والحضاري في بداية العصر التاريخي.

---

(١) Braidwood, R.J. and Braidwood, L.S., Excavations in The Plain of AntiochI, The Earliest Assemblages, Phases A-J, Chicago 1960, p.517.

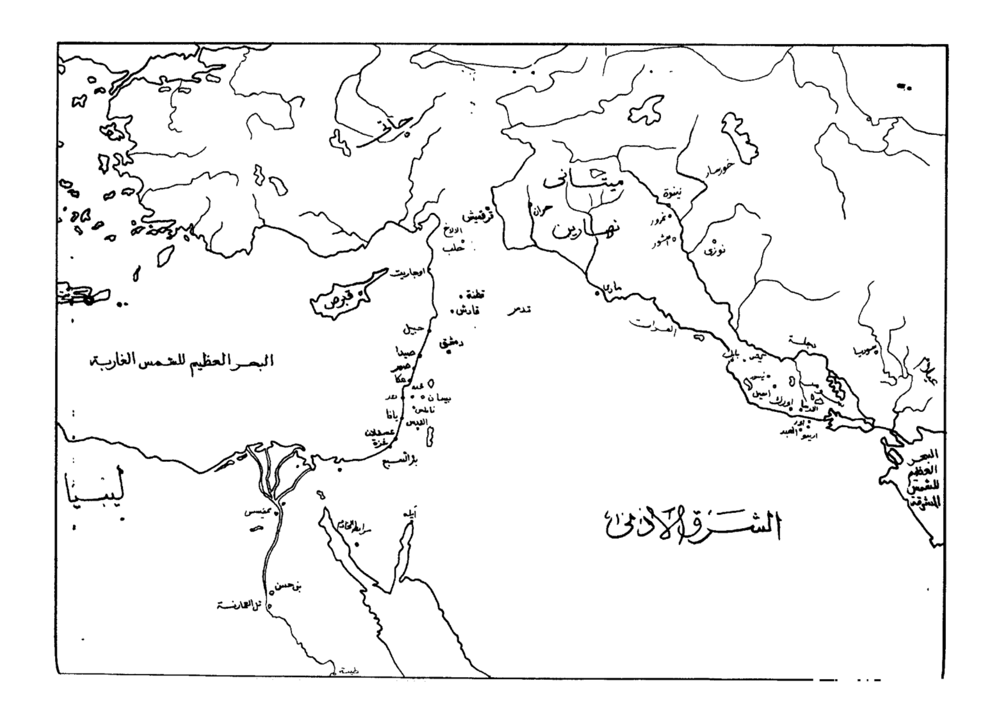


الفصل الـرابع
فلسطين في العصر التاريخي

(عصر البرونز المبكر - الكنعانيون:

وكما كان لمنطقة الشرق الأدنى القديم أسبقية خاصة في المجالات الحضارية والسياسية في العالم القديم، وبخاصة بالنسبة لمرحلة إنتاج الطعام وإنشاء القرى الأولى، فقد استطاع إنسان هذه المنطقة في بداية «العصر التاريخي» التوصل إلى معرفة الكتابة الصورية ونجح في إقرار وتسجيل المبادىء والقيم التي اكتسبها ووضعها طوال مراحل عصور ما قبل التاريخ. وبذلك بدأ مرحلة المدنية التي تميزت باقامة المدن واتساع دائرة اتصالاتها الداخلية والخارجية، مما ساعد على إقامة الوحدات الأقليمية بل والقطرية، وتكوين الدول بمفهومها السياسي حيث الحكومات المستقرة والتنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الخارجية. وأصبحت تلك المرحلة تمثل حلقة من حلقات التطور الرئيسية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، سبقتها حلقات التكوين وتلتها مراحل التوسع والانتشار خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد.

ومن دراسة التشكيل الحضاري والسياسي لمنطقة «سورية - لبنان - الأردن» بعامة وفلسطين بخاصة في ضوء الوضع الحضاري والسياسي لمنطقة الشرق الأدنى القديم، في مرحلة الألف الثالث قبل الميلاد، يتبين أن المقومات الحضارية والسياسية والفكرية ميزت التشكيل الحضاري والسياسي لفلسطين بخصائص معينة رغم وجود بعض العناصر المشتركة التي اكتسبتها بحكم موقعها الجغرافي، نتيجة تأثرها بالظواهر المحيطة المرئية والخفية المتوارثة والمكتسبة، المادية والفكرية، وذلك لوقوعها في قلب الشرق الأدنى القديم حيث تحيط بها المراكز الحضارية الكبرى في العراق ومصر والأناضول. فقد دلت الآثار المختلفة التي عثر عليها في مواقع «خربة كرك» و«أريحا»، و«مجدو»،



الشرق الأدنى
البحر العظيم للشمس الغاربة
البحر العظيم للشمس المشرقة
ليبيا
ميتانى
نهارين
قبرص
خاتى
قرقميش
حران
ماري
الفرات
دجلة
نينوة
نمرود
آشور
نوزى
خورسار
سوسيا
كيش
بابل
نيبور
أوروك
أريدو
العبيد
أور
أوجاريت
حلب
قطنة
قادش
تدمر
دمشق
جبيل
صيدا
صور
عكا
يافا
بيسان
نابلس
القدس
عسقلان
غزة
بئر السبع
منفيس
بني حسن
تل العمارنة
طيبة
سرابيط الخادم
أيلة

و«تل العجول»، و«بيسان» و«التل» و«رأس العين»، و«تل الدوير»، و«تل بيت مرسيم»، وموقع «بيبلوس» (جبيل) ٤، ٥، ٦، في لبنان، المميزة بالصناعة الفخارية الملونة والمزينة والتي استخدمت العجلة في صناعتها، بالاضافة الى المنازل المنظمة المبنية من الآجر ذات الحجرات المستطيلة، وكذلك بعض مظاهر التقدم في ممارسة الزراعة، ومنها العثور على أماكن خاصة فردية وجماعية لخزن الغلال وغيرها من المظاهر، على أن فلسطين تحتل مكانة هامة في المنطقة، في وقت اتصفت فيه العلاقات الحضارية والتجارية بين المواقع الحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديم بالصفة الدولية.

ورغم احتفاظ كل من هذه الحضارات بخصالها مع تواجد بعض ظواهر الاتصال فيما بينها، فان الاتصال يظهر وثيقا بين هذه الحضارات، فقد كان للعراق صلاته الحضارية مع شمال سورية والأناضول في عصر الدولة الأكدية، وبخاصة عصر الملك «شاروم كين الأكدي»، كما كان لمصر صلات مباشرة مع حكومات المدن في فلسطين ولبنان.

ومن ناحية أخرى فقد دلت الأثار المصرية التي عثر عليها في «بيبلوس»، ابتداء من عهد الملك «خع سخم وي» آخر ملوك الأسرة الثانية، ومعظم عهود ملوك الأسرات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة على متانة تلك الصلات الاقتصادية والحضارية. وقد اتخذت هذه الصلات شكلا معينا كان بمثابة الأساس الذي بنيت عليه المرحلة التالية، حيث خرج الشكل الحضاري لهذه الأقاليم من مرحلة التكوين المحلية الى بداية مرحلة الانتشار والتأثر والتأثير في الحضارات الأخرى.

أما من الناحية السياسية فتشير الأدلة المختلفة الى تباين واضح في التشكيل السياسي للمواقع الحضارية في المنطقة، إذ كان لظروف البيئة والموقع الجغرافي دور هام في التشكيل السياسي والحضاري للمراكز الحضارية الرئيسة فقد اعتمد التشكيل السياسي للعراق القديم على «الملكية الانسانية»، والديمقراطية الأولية، وعدم الايمان بالخلود إلا بالنسبة للآلهة، وذلك بناء على المؤثرات المحلية البحتة التي بنى عليها التنظيم السياسي، بينما بنى التنظيم السياسي والحضاري في مصر الفرعونية على عدد من المبادىء السياسية كالملكية

الالهية والخلود، ولعل التركة الهرمية الضخمة تجسم بوضوح مفهوم الملكية الالهية المستوحاة من البيئة: أرضها ومآؤها وسماؤها.

أما في فلسطين وسورية ولبنان فتشير الأدلة المختلفة الى وجود المدن المستقلة المحاطة بالأسوار التي تكفل لها الاستقلال والحماية. وقد ترتب على ذلك انحصار كل مدينة في شؤونها الداخلية مع مزاولة نشاطها الخارجي بصورة مستقلة، واستطاعت في الوقت نفسه أن تحافظ على استقلالها طوال مرحلة الألف الثالث قبل الميلاد.

ويرجح أن ظاهرة التشكيل السياسي لفلسطين يعود الى ظروف الموقع الجغرافي ومتاخمتها للمراكز السياسية والحضارية المحيطة. ثم تعدد تحرك العناصر البشرية نحو هذه المنطقة، مما أدى الى استمرار ظاهرة تحصين المدن بالأسوار القديمة حماية لها ضد الأخطار المغيرة والمتسللة. وتدعم الأدلة الأثرية هذه الحقيقة بدرجة ملموسة حيث يلاحظ أن مدن «خربة كرك»، و«أريحا» بفلسطين، و«بيبلوس» (٤) في لبنان محاطة بأسوار ضخمة. كما يلاحظ أن أسوار تلك المدن كانت من الضخامة لدرجة بلغ فيه سمك الحائط «بخربة كرك» ثمانية أمتار. أما حوائط «أريحا» فقد بنيت من اللبن على أسس تميزت بوجود امتداد دائري وشكل برج ملحق بحائط تلك المدينة. ومن ذلك تبين أن ظاهرة التحصين المتين في المدن الفلسطينية تؤكد بطريق غير مباشر مركزية السلطة، وذلك لحاجة هذه المدن الى الحماية ضد التسللات والغارات البشرية التي تواجهها.

ونظرة شاملة مقارنة للشكل السياسي للمراكز الحضارية في هذه المرحلة تبين أن مصر والعراق قد حققتا درجات أعلى نحو الوحدة السياسية والتكامل الساسي.

فلسطين في عصر البرونز المبكر (Early Bronze):

يتبين من دراسة المصادر المختلفة، وبخاصة المخلفات الأثرية التي تم العثور

عليها في عدة مـواقع من أرض فلسـطين ومنها «تـل الحسي»[1] (Tell El Hessi)، وفي أريحا[2] (Jericho)، و«جيزر»[3] (Gezer)، وغيرها، ما يشير الى وجود عصر «البرونز المبكر» بكل مراحله ومميزاته الحضارية في فلسطين.

وقد تمثلت ثقافة هذا العصر «بحكومات المدن» التي انتشرت في معظم أرجاء فلسطين وامتدت زمنيا من أواخر الألف الرابع قبل الميلاد الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد[4] فقد عثر في العديد من مدن هذا العصر على بيوت مبنية من الحجر ومحاطة بالأسوار القوية، كما وجد في بعض البيوت والمقابر المجاورة أوان فخارية وأدوات معدنية تشير الى استخدام المعادن بشكل واسع. ويتضح من تنظيم هذه المدن وأساليب حمايتها أنها كانت تتبع نظام «حكومات المدن» التي تميزت فيه فلسطين وسوريا بعامة في هذه المرحلة.

وكانت «حكومات المدن» الفلسطينية تقوم عادة في مكـان مرتفـع أو مشرف على طرق المواصلات أو في المناطق الخصبة على الساحل، وتحاط بالأسوار الـدفاعيـة، ويتوسط كـل مدينـة مجموعـة من الوحـدات السكنية الصغيرة. ويتبين من تنظيم المدينة أنها تقوم على تخطيط منظم يساعد على إدارة إمكانية شؤونها، ويحدد وسائل الدفاع عنها، كما يوفر امكانية التعاون بينها وبين المدن المجاورة في حالة تعرضها لعدوان خارجي. وهذا يرجح وجود زعامة لإحدى هذه المدن أو لأكثر من واحدة حين تعرضها للأخطار الخارجية، كما حدث فيما بعد حين تزعمت مدينة «مجدو» حلفا ضد مصر في عهد «تحتمس الثالث». وكان على رأس المدينة رئيس الدولة الذي يساعده مجموعة من كبار المسؤولين الذين يشرفون على شؤون المدينة. وقد كان لكل مدينة معبودها وكهنتها، وتستقل في ادارتها لشؤونها الداخلية والخارجية.

إن وجود طرز جديدة من الدفاع أحيانا في بعض المدن الفلسطينية في

---

(١) Bliss. F.J., «A Mound of many Citites or Tell El Hesy Exc. avated. London. 1894. p.5ff.

(٢) Vaux. R. de. «Palestine in the Early Age». In. C.A.H.. 1966. p.4

(٣) Macalister. R.A.S.. «The Excavations of Gezer». I-III. London 1912.
Rowe. A.. The 1934 Excavations at Gezer In. Q.D.A.P.. (1938). 99ff.

(٤) Kenyon. K. Amorites and Canaanites. Oxford University Press. 1963. p.6.

عصر «البرونز المبكر» لا يعني انفصالا في ثقافة السكان[1]، إذ تشير الأدلة المادية المختلفة من فخار وأسلحة وأدوات زينية ومبان ووسائل أخرى منذ بداية «عصر البرونز المبكر» حتى نهايته بل وفي العصور البرونزية التالية، الى اتصال في المجال الثقافي للسكان الكنعانيين. كما أن دليل الفخار في المدن الساحلية للشاطىء السوري يشير الى أن فخار «بيبلوس» على الساحل السوري يمكن مقارنته بفخار «بيت مرسيم» و«أريحا» بفلسطين مما يشير أيضا الى اتصال ثقافي في جميع المدن على الساحل السوري بعامة.

أما الأدلة الأثرية التي تشير الى بداية ونهاية «عصر البرونز المبكر» في فلسطين فهي متعددة، وتنتشر في معظم المواقع الفلسطينية من شمالها الى جنوبها، رغم أنها تحتاج الى المزيد من الدراسة والتصنيف. ومن أهم الأدلة التي تشير الى بداية هذا العصر المخلفات التي عثر عليها في مدينة «عاي»[1] (Ai) أو «التل» (El Tell)، وتل مدينة «أريحا»[2]، وتل النصبة[3] (Tell en Nasbah)، وفي «تل الفرح»[4] (Tell El Farah) قرب مدينة نابلس (Nablus)، حيث عثر على بعض المباني الحجرية منها: البيوت، والمعابد، والقصور وأجزاء من سدود، وبعض القبور، وأوان فخارية، وأخرى معدنية تعود جميعا الى بداية «عصر البرونز المبكر» حوالي ٣١٠٠ قبل الميلاد. كما دلت الحفريات التي جرت في مواقع أخرى من فلسطين على وجود طبقات معاصرة لهذه الفترة في مواقع أخرى من فلسطين على وجود طبقات معاصرة لهذه الفترة في تلك المواقع، ومنها ثلاث طبقات في مدينة «خربة كرك»[5] (Khirbet Karak) أو «بيت بارا»، والطبقات (٦-١٥) في مدينة بيسان[6]، والطبقات (٢-٤) في

---

(١) Kenyon K., Amorites And canaanites. Oxford University Press, London, 1963. p.33.

(١) Vaux, R. de, op.cit., p.3f.

(٢) Garstang, J., «Jericho, City and Necropolis». In Ann. Arch. Anthr. 19(1932), 8ff., 19ff., 38ff.

(٣) Vaux, R. de op.cit., p.3f

(٤) Vaux, R. de, «Les fouilles de Tell el-Farah.» In Rev. bibl. 54 (1947), 403.ff

(٥) Maisler, B. and Stekelis, M.«The Excavations at Beth Yerah» (Khirbet Kerab). In I.E.J. 2(1952), 165ff, 218ff.

(٦) Fitzgerald, G.M., «Excavations at Beth-Shan.» In P.E.F.Q.S. (1934), 123ff.

«كيناريث»[7] (Kinnereth)، وعلى عدة طبقات في مدينة «لخيش» (Lachish) وخارجها.

وقد أمدتنا سلسلة الحفريات التي جرت في العديد من المواقع الفلسطينية الأخرى، وبخاصة في «تل بيت مرسيم»[1] (Tell Beit Mirsim)، و«بيتيل» (Bethel)، و«بيت شمش» (Beth shemesh)، و«بابدرا»[2] (Babed-dra)، بالعديد من الأدلة الأثرية التي تشير الى نهاية عصر البرونز المبكر في فلسطين حوالي (٢٢٥٠-٢٢٠٠ ق.م).

واعتمادا على المخلفات الفخارية والدراسات المقارنة، يمكن للباحث تصنيف مخلفات عصر البرونز المبكر في فلسطين الى أربعة مراحل (أطوار)[3]، على الرغم من وجود بعض التداخل بين هذه التقسيمات الذي تفرضه طبيعة التطور الحضاري في هذه المواقع.

الطور الأول من عصر البرونز المبكر

(Early Bronze I) حوالي (٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م.)

الطور الأول (أ) (phase I (a))

إن الدراسة المقارنة لعدة مواقع فلسطينية تنتمي لهذه المرحلة لم تساعد على تحديد دقيق لبداية عصر البرونز في هذه المواقع لعدم توفر الأدلة الواضحة التي تشير إلى نهاية عصر الحجر والنحاس (Chalcolithic) وبداية عصر البرونز المبكر، إذ تبين من دراسة مخلفات عصر الحجر والنحاس في شمال فلسطين

(٧) Maisler. B . «An Early Bronze Age Tomb at Kinnereth . In Bull. I.E.S. 10 (1942-43). p.9f.

(١) Albright. W.F.. «The Excavations of Tell Beit Mirsim. II The Bronze Age.» In Ann. A.S.O.R 17. (1938). p.3ff

(٢) Albright. W.F.. «Early Bronze Pottery from Bâbed-Dra in Moab». In Bull A.S.O.R. 95(1944). 3ff

(٣) Wright. G.E . The Pottery of Palestine from the Earliest Times to the End of the Early Bronze Age. New Haven. 1937. 6gff.

الذي يشمل (مجدو)، خربة كرك، بيسان، وتل الفرح[1]، ما يشير إلى استمرار وجود هذا العصر في نفس الفترة التي سادت فيها حضارة عصر البرونز المبكر في وسط فلسطين، وبخاصة المواقع القديمة التي تشمل (جيزر، وأريحا)[2]، والمواقع الأحدث نسبياً والتي تتضمن (تل النصبة، والقدس وعاي)، مما دعا بعض الباحثين إلى تحديد الطبقة الرابعة في مجدو زمنياً بعد الطبقة السابقة في أريحا التي تتوافق بدورها زمنياً مع فترة كل من المقبرة رقم (٣) في «أفيل»، ومقبرة «عاي» (Ai).

وقد أمكن إيجاد نوع من التحديد الزمني التقريبي لبداية عصر البرونز المبكر في فلسطين من دراسة المخلفات التي عثر عليها في الطبقات المعاصرة لهذه المرحلة في عدة مواضع تميزت بالصناعة المتطورة للفخار والاستعمال الواسع للمعادن ومنها الطبقة الخامسة عشرة في بيسان، والطبقة الثانية في «خربة كرك»، والطبقة السابعة في أريحا، والطبقة الأولى في «تل الفرح»، والطبقات (٤-٥) في مجدو. كما أن دراسة مخلفات القبور في مواقع كل من «عاي»، و«تل النصبة»، و«تل الفرح»، وطبقتان من قبر رقم (١٣أ) في أريحا[3]، قد ساعدت على التوصل إلى تحديد أكثر دقة لبداية عصر البرونز المبكر في فلسطين حيث تشير الأدلة المختلفة إلى أنها بدأت في التكوين في أواخر فترة عصر الحجر والنحاس، التي تتزامن في الوقت نفسه مع نهاية الحضارة الغسولية وحضارة بئر السبع، حوالي ٣١٠٠ قبل الميلاد.

الطور الأول (ب) (Phase I (b))

يتميز هذا الطور (ب) من عصر البرونز المبكر الأول بوجود أنماط صناعية جديدة في معظم المواقع الفلسطينية، وبخاصة في الطبقة (١٨) من المرحلة الرابعة في موقع «مجدو» وبصورة جزئية في الطبقة (١٤) «بيسان»، والطبقة الثانية من «تل التوبيق»، و«روش هانيغرا» (Rosh Hanigra) والمقبرة

---

(١) Vaux, R. de, op.cit., p.403ff.

(٢) Kenyon, K.M., Excavations at Jericho. I. The Tombs excavated in 1952—54. London, 1960, 4ff.

(٣) Kenyon, K.M., Ibid., p.6f.

رقم (٢٤)، (١٠٨ «أ»)، والطبقة الخامسة في أريحا، وبعض الأجزاء المهجورة في موقعي «جيزر» و«عاي»[1].

لقد ساعد وجود هذه الأنماط الصناعية الجديدة في تلك المواقع على التوصل إلى تحديد بداية هذا الطور زمنياً بصورة أكثر وضوحاً عما تم بالنسبة لبداية الطور الأول «أ» لعصر البرونز المبكر، على الرغم من استمرار وجود بعض تقاليد عصر الحجر والنحاس في بعض المواقع المعاصرة لها.

ومن مميزات هذا الطور أيضاً وجود الصناعة الفخارية المتطورة وبخاصة في أواسط وجنوب فلسطين، في وقت استمرت فيه الصناعة الفخارية بصورتها التقليدية المعتادة في شمال فلسطين. ففي الجنوب عثر على أوان فخارية منها جرار كبيرة بعضها بعنق وأخرى بدون عنق ولها مقابض مسطحة، وصحون عادية بعضها كبيرة ذات حافة معقوفة. أما الأواني الصغيرة فتمتاز باللون الأحمر اللامع. أما الأواني التي عثر عليها في المواقع الوسطى بفلسطين فقد امتازت بوجود خطوط حمراء على الفخار الرمادي، أو خطوط حمراء على شرائح بيضاء.

الطور الثاني (Phase II) : (٢٩٠٠-٢٦٠٠ ق.م.)

يتبين من دراسة المخلفات الأثرية[1] التي عثر عليها في المواقع الفلسطينية المختلفة المعاصرة لهذا الطور ومنها «مجدو» الطبقات (١٧-١٨)، والطبقة الثالثة في «خربة كرك»، والطبقة (١٣) من «بيسان» وقبر في «كيناريث»، والطبقات أب في «تل الفرح» والطبقة (٤) في أريحا والطبقة (١) في «روش هانيغرا» (Rosh Hanigra) «وعاي» (Ai)والطبقة السفلى من «راس العين» (Ras el-Ain) ، ما يشير إلى أن بداية هذا الطور لم تتميز بأي تغيير حضاري مفاجئ[3]. كما أن صناعة الفخار ظلت تحتفظ بنفس الأنماط السابقة مع بعض التغييرات في الحجم وبعض التحسين في عملية الحرق

---

(١) Vaux, R. de., Palestine in The Early Bronze Age. In, c.A.H., lg66,6f.

(٢) Vaux, R. de, Ibid.

(٣) Wright, G.E., op.cit., p.6gff.

وإنتاج القطع الكبيرة. كما تشير الأدلة إلى اختفاء بعض المميزات السابقة في صناعة الفخار وبخاصة في مواقع شمال فلسطين، حيث اختفت الخطوط التي كانت توجد فوق أجزاء من الأواني الفخارية. ومن جهة أخرى فقد ظهرت أنماط صناعية جديدة منها الأواني المعدنية التي اتخذت أشكالاً مختلفة بعد طرقها وتعريضها للحرارة الشديدة.

كما يتميز هذا الطور بظهور الزخرفة، والديكور، وبعض التغيير في أشكال بعض الأواني، ووجود بعض الصحون ذات القواعد المفلطحة وكذلك جرار ذات عروتين (مقبضتين) والعنق الرفيع[1].

وبالاضافة إلى كل ذلك فقد تميز هذا الطور بصناعة القوارير ذات القواعد المسطحة أو الدقيقة، وكذلك القوارير والأباريق ذات الماسك (الأيدي) المتصلة بفم القارورة إلى جانب ممسكين أحياناً على بطن القوارير.

الطور الثالث (Phase III): (٢٦٠٠-٢٢٥٠ ق.م.)

يعتبر موقع «خربة كرك» ومخلفاته الأثرية المتمثلة بالصناعة الفخارية المميزة خير مثال لحضارة الطور الثالث لعصر البرونز المبكر، فقد امتاز فخار هذه الفترة بجماله وجاذبيته، مع تعرضه إلى نار خفيفة أثناء صناعته، وهو في الوقت نفسه سريع الانكسار، وبعض تلك الأواني ذات أفواه واسعة ولها مماسك (أيدي) واحدة، كما امتاز فخار هذه الفترة بوجود الأطباق الكبيرة (الجاطات) والأحواض الكبيرة والجرار والأواني ذوات القاعدة والأغطية[2].

كما عثر على أوان مصنوعة بالطريقة اليدوية، وقد صقلت ولمعت أجزاء منها ولونت إما باللون الأحمر أو لون أحمر من الداخل وأسود على جزء أو أكثر من الخارج.

وقد فُسّر وجود الألوان السوداء على بعض الأواني بأنه نتيجة لتعرضها

---

(١) Vaux, R. de, op.cit.

(٢) Amiran, R., Connections between Anatolia and palestine In the Early Bronze Age, In, I.E.J., 2(1952), 89ff.

إلى لهب أسود كنوع من الفن المقصود[1]. وبالاضافة إلى الصقل واللمعان فإن فخار هذه الفترة يمتاز بوجود بعض الأشكال والتخطيطات الهندسية المختلفة.

ومما يزيد من قيمة هذه الأواني الجميلة اتخاذها أساساً للمقارنة مع الأواني النادرة التي تم اكتشافها في بعض المواقع الفلسطينية وبخاصة في الطبقة (١٢) في «بيسان» وبداية الطبقة (١١) في «خربة كرك» والطبقة (٤) بالاضافة إلى بعض القبور في «العفولة» (Affuleh).

كما عثر على أعداد قليلة منها في عدة أماكن من سهل «أزدراليون» (مرج بني عامر) وفي شماله وجنوبه، وفي بعض قبور الطبقة الثالثة[2] في مدينة أريحا.

وقد تبين من مخلفات قبور أريحا أشكال أخرى من الفخار التي تنتمي إلى هذا الطور ومنها القوارير ذات القاعدة السميكة وقوارير أخرى على شكل الإجاصة ذات قاع مروس ولها مسكة (يد) مفلطحة وكذلك جاطات ذات قاعدة أسطوانية وجرار بمسكاة (أيدي) عمودية أو مسكات محززة ومسطحة[3].

وقد عثر على نماذج من هذه الأواني الفخارية في الطبقات (١٦-١٨) «بمجدو» والطبقات (١١-١٢) في «بيسان»، كما أنها تعتبر ذات خصائص مميزة للقبور (أ١١٤) و(ف٢) في أريحا، وفي معبد وقصر في «عاي» (Ai).

الطور الرابع (Phase IV): (٢٣٥٠-٢٢٥٠/ ٢٢٠٠ق.م.)

إن بداية هذا الطور يصعب تحديده لأنه لا يمكن تحديد نهاية الطور السابق «الثالث» بدقة لأن الأدلة الأثرية تشير إلى توقيف في التطور الحضاري في بعض المواقع المعاصرة وبخاص في «عاي» (Ai) و«تل الفرح» (Tell el-Farah) و«رأس العين» (Ras el-Ain) و«روش هانيغرا» (Rosh Hanigra)، وفي الوقت نفسه فإن الطبقات التالية لنهاية الطور الثالث غير واضحة التكامل،

---

(١) Sukenik (Yadin), Y. on the Technique of Khirbet Kerak ware, In Bull., A.S.O.R., 106(1947), p.9ff.

(٢) Tunfell, o. Lachish IV, The Bronze Age, Oxford, 1958, 44ff.

(٣) Vaux, R. de, op.cit., p.8ff.

فمن الصعوبة التمييز بين الطبقتين الأخيرتين (١-٢) في «مجدو» (Megiddo) وبين الطبقات السابقة[١].

كما أن الطبقة الثانية في أريحا لا تبدو واضحة وفي محاولة لتحديد بداية الطور الرابع لعصر البرونز المبكر[٢] يصبح من الضروري الاستمرار في دراسة مخلفات المواقع المعاصرة لهذا الطور، ومنها المستوى (V) في «بيت مرسيم» والطبقة السادسة في «بيت شمش» (Beth Shemesh) والمستوى الأدنى في «بيتيل» (Bethel)، إلى جانب القبر رقم (٣٥١) في أريحا وكذلك قبر رقم (٦) والقبور (١١٠١-١١٠٢) في «مجدو»، التي ترمز إلى عصر البرونز الأوسط وفي ضوء ذلك يمكن اعتبار الطور الرابع كمرحلة انتقالية وهذا لا يقلل من أهمية الوحدة السياسية لحضارة عصر البرونز المبكر في فلسطين.

لقد تميز الوضع السياسي لفلسطين في مرحلة عصر البرونز المبكر بوجود كيانات سياسية تتمثل في المدن المستقلة استقلالاً ذاتياً والمحاطة بالأسوار الدفاعية التي تكفل لها الأمن، وتوفر لها من نفس الوقت حياة منظمة تشمل سائر مرافقها بحيث تمارس شئونها الداخلية والخارجية ممارسة ذاتية طبقاً لما تفرضه ظروف البيئة وتقتضيه الظروف والعلاقات الخارجية المؤثرة فيها.

وتشير الأدلة الأثرية المختلفة إلى أن هذه المدن قد بنيت من الحجر واستخدم القرميد في سقفها، كما يتبين من تنظيم بيوتها وشوارعها ودفاعاتها أن سكانها كانوا يعيشون في مستويات اجتماعية متفاوتة.

ويتبين من مخلفات بعض المدن كتل «بيت مرسيم»، و«تل العجول»، و«تل الدوير» أن هذه المدن بدون أسوار، مما يرجح أنها قد تعرضت للاعتداء أو التدمير في وقت تمكنت فيه مدينة «أريحا» و«مجدو» حماية أسوارها. ويمكن اعتبار مدينة «تل الفرح» خير نموذج لمدينة عصر البرونز المبكر في فلسطين، حيث عثر .فيها على بيوت ومرافق وشوارع كاملة ومنظمة، وتبين أنها كانت محاطة بالاسوار.

---

(١) Vaux, R. de, op.cit., p.8ff.

(٢) Wright, G.E., op.cit., p.78ff.

أما القبور التي عثر عليها في عدة مناطق، عدا «مجدو»، وتعود إلى هذه المرحلة أيضاً، فقد تميزت بالصفة الجماعية وبخاصة في «أريحا»، إذ احتوى بعضها على مائة فرد بينما تميزت قبور نهاية هذه المرحلة بالصورة الفردية بحيث كان لكل فرد قبر خاص به.

ومن خلال تفحص بعض هذا الفخار، تبينت فيه آثار أصابع الانسان، وعلى مقدمتها خاصة، وهذا يرجح أن هذا الفخار أو بعضه على الأقل قد تم صنعه باليد، أما ألوان هذا الفخار فكانت خضراء وعسلية.

الكنعانيون:

الكنعانيون شعب عربي سامي يمثل إحدى الموجات السامية الرئيسية التي وفدت من الجزيرة العربية واستقرت في فلسطين مع مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. يطلق معظم المؤرخين عبارة «الشعوب السامية» على مجموعة من الشعوب التي كانت تتحدث اللغات الأكادية (الأشورية - البابلية) والكنعانية (الفينيقية والعبرية) والآرامية، والعبرية واليمنية القديمة والحبشية. لوضوح الشبه بين أفراد هذه المجموعة فطن الباحثون الى صلات القرابة التي تربط بعضها بعضاً، فقد كان لهذه الشعوب صفات جسمية ولغات متشابهة، كما كانت تدين بعقائد متقاربة، مما يرجح أنها كانت تعيش في مكان واحد وتتميز عن سواها من اللغات الأرية والطورانية[١]. ويرى معظم المؤرخين أن الوطن الأصلي لتلك الشعوب هو الجزيرة العربية، وقد مال إلى هذا الرأي عدد كبير من قدامى المستشرقين ومحدثيهم وعلى رأسهم العلامتان «رينان» الفرنسي، و«بروكلمان» الألماني، وهذا هو أرجح الآراء وأقواها سنداً وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ. وأن الاختلاف في لغات هذه الشعوب الذي ظهر بعد ذلك، مرجعه إلى تحركات الشعوب واستقرارها في أقاليم جديدة في «وادي الرافدين»، و«بلاد الشام»، ومصر، إذ من المعروف ان اللغة متى انتشرت في مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها جماعات كثيرة العدد استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات

---

(١) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص ١٨٩، دار النهضة مصر للطباعة والنشر.

وتسلك كل لهجة منهجاً يختلف عن منهج غيرها، حتى تصبح فيما بعد لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها، وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف بعضها عن بعض في كثير من الوجوه، ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى(١).

أما تسمية هذه الشعوب بالسامية فقد جاء بنسبة إلى «سام بن نوح»، وهذه التسمية لا سند لها من العلم والتاريخ والآثار(٢)، فهي في الواقع شعوب عربية موطنها الأصلي شبه الجزيرة العربية، وأن ما يعرف باللغات السامية لوجود شبه كبير بينها في أصول الأفعال والضمائر والمفردات والتراكيب اللغوية، ليست إلا فروعاً من اللغة العربية التي تعتبر أقدم هذه اللغات وأقربها إلى اللغة السامية الأم. كما أن وجود التشابه بين هذه الشعوب السامية في التفكير الديني والميل إلى الوحدانية في الدين والتشابه في العادات وأساليب الحياة، بالإضافة إلى أن معاصري هذه الشعوب من اليونان وغيرهم قد اطلقوا عليهم اسم العرب سكان الجزيرة العربية، فإن ذلك يؤكد أن هذه الشعوب التي تعرف السامية هي شعوب عربية قديمة.

ولما عجزت المصادر الكنعانية أن تمدنا حتى الآن بصور وأشكال متكاملة وواضحة عن الكنعانيين تعيننا على تحديد مواصفات الإنسان الكنعاني، فإنه من الممكن الاستعانة بالمصادر الأخرى غير المباشرة في محاولة لتحديد هذه المواصفات، لقد أمدتنا المصادر الغير مباشرة وبخاصة المصرية منها، بالعديد من الصور والمناظر التي يستطيع الباحث من خلالها استخلاص مواصفات عامة للإنسان السامي ومن ثم الكنعاني. ذكرت النصوص المصرية القديمة «شاسو» (Shasu) و «عامو» (Amu) كتسميات عامة كانت تطلقها على العناصر الآسيوية بعامة سواء كانت تقطن شبه جزيرة سيناء أم المناطق الآسيوية المجاورة ومنها فلسطين. ورغم أن «عامو» اصطلاح سلالي عرف منذ عهد الأسرة السادسة(٣) دون أي تحديد جغرافي إلا أنه من الممكن من خلال دراسة

---

(١) لمزيد من التفصيل، أنظر علم اللغة، ص ١٥٩.

(٢) جواد علي، العرب قبل الإسلام، الجزء الأول.

(٣) G. Possener, J., Bottéro, Syria and Palestine, In The Eleventh Dynasty, C.A.H. 1965. P. 4.

العديد من النصوص والآثار المصرية القديمة أن نتبين أو أولئك «الآسيويين» هم سكان «فلسطين»، «فينيقية»، «سورية».

فقد ورد في أحد النصوص التي تعود إلى الأسرة الحادية عشرة من عهد الملك أمنحتب الثاني ذكر لأرض «زاهي»[١] دون تحديد لمكانها، إلا أن جاردنر[٢] يرى أن النصوص المصرية في الفترات التالية المعاصرة للامبراطورية المصرية وبخاصة في عهود كل من «تحتمس الثالث» و«رمسيس الثاني» كانت تطلق تسمية «زاهي» على جزء من فلسطين وفينيقية. كما أن ولسون[٣] يرى أن المعبد الذي شيده «رمسيس الثالث» في آسيا كان في كنعان (الأرض المرتفعة في سوريا ولبنان) رغم أنها ذكرت في النص «زاهي». ومن ناحية أخرى فقد ورد اسم «رتنو» في قصة «سنوحي» التي تعود إلى عهد الملك «سنوسرت الأول»، ويرجح «ولسون» أن لهذا الاسم معنى واسعاً لأنه أصبح يضم فلسطين وسوريا في عهد الدولة. وقد ورد اسم «رتنو» في عهد الملك «سنوسرت الثالث» حيث ذكر أنه حارب «العامو» في «رتنو» وأن جيشه استولى على مدينة «ششن» «نابلس» الكنعانية. والغالب أن «زاهي» و«رتنو» مسميان لمكان واحد وأن ذلك المكان كان يشغل جزءاً كبيراً من أرض كنعان إن لم يكن من ضمنها. وقد ذكرت النصوص المصرية بعد ذلك كنعان والمدن الكنعانية وفينيقيا وسوريا بكل وضوح وبخاصة في حوليات «تحتمس الثالث» و«رمسيس الثاني وغيرهم من ملوك الامبراطورية المصرية.

أما بالنسبة للصور والأشكال، فقد عثر على العديد منها في مصر منذ عهد الدولة القديمة وحتى نهاية الدولة الحديثة. وان ما عثر عليه من عهد الدولة القديمة يعتبر قليلاً ومن أبرزها مناظر لسنفرو وخوفو من الأسرة الرابعة تبين انتصارهم على الآسيويين.

أما الصور والأشكال التي عثر عليها من الأسرة الحادية عشرة وخاصة

---

(١) G. Possener, J., Bottéro, Ibid., p.6.

(٢) Gardine, A.H., A.E.O. Text Vol.I,p. 141.

(٣) Wilson, Historical Texts, A.N.E.T. p. 260.



شكل رقم (٩)
مجسم لأسير سوري وجد على عصا لـ «توت غنخ آمون» (المتحف المصري).

من عهد الملك أمنحتب الثاني[١] فتعتبر من أهمها وأكثرها وضوحاً، وقد عثر عليها في عدة مواقع منها: كتلة من معبد صغير في «جبلين» (قرب أسوان) لا تزال تحتفظ بمنظر الانتصار الملكي على شعوب أربعة تتكون منها البشرية، ويوصف أحدهم بأنه آسيوي، ثم بعض النقوش المكسورة من المعبد الجنائزي الأمحتب الثاني في الدير البحري، وقد وجد فوق المناصر نصان مشوهان يشيران إلى الآسيويين، وتوجد قطعة من هذا الأثر في المتحف البريطاني تبين الألوان الأصلية للصور.

وعلى ضوء هذه الصور والأشكال التي تعود لعهد الأسرة المصرية الحادية عشرة (٢١٣٣-١٩٩١ ق.م) يمكن تحديد الملامح العامة للانسان الأسيوي الكنعاني على النحو التالي:

لون بشرته أصفر، وأنفه معقوف وواسع أحياناً، وحدقة عينه صفراء، له

(١) G. Posener, J. Bottero, op. cit., p. 6.



شكل رقم (١٠)
آسيويون يقدمون الهدايا لملوك مصر (النصف الأول من الالف الثاني ق.م.).
(المنظر من مقابر طيبة بمصر).

لحية حمراء مدببة وطويلة ينحني طرفها في اتجاه الرقبة، وشعره أحمر غزير يصل إلى مستوى الكتفين وتربطه خلف الرأس عصابة صغيرة وتسقط أطرافه على مؤخر الرأس والرقبة، وطراز الشعر هذا بالعصابة يماثل ما كانت عليه

صورهم في عهد الأسرة الخامسة والسادسة[1]، علمًا بأن صورهم في الأسرة الثانية عشر تبدو بغير عصابة وشعرهم أقصر وملابسهم مبرقشة. أما زيهم الوحيد فهو مئزر أحمر اللون لا يستطاع تحديد طوله حيث أن الصور جميعاً لا تحتفظ بالجزء السفلي من الثوب. ولا يبدو أن هناك تغييراً في الصور والأشكال بين القرنين (٢٢)، (٢١) ولكن هناك تعديلاً ملحوظاً بين القرنين (٢١)، (٢٠-١٩) ق.م.

وإن الصور والأشكال التي عثر عليها من عهد الأسرة الثانية عشرة «الدولة الوسطى» فهي عديدة أيضاً وتوفر مواصفات واضحة للإنسان السامي الكنعاني في هذه الفترة. وقد وجد معظمها في مقابر بني حسن وبخاصة المقبرة رقم (١٤) من عصر امنحمات الأول، والمقبرة رقم (٢) من عهد سنوسرت الأول ومناظر رسمت على كتل من معبده الجنائزي في اللشت تبين مجموعة من الأسرى من بينهم «سوري»، والمقبرة رقم (٣) من عهد سنوسرت الثاني ومنها وصول أمير آسيوي وأتباعه من رجال ونساء وأطفال. وكذلك صور من مناجم سيناء من عهد الملك امنحمات الثالث ومنها صورة لشقيق أمير رتنو جنب دد (م) مع حاشيته.

ومن خلال هذه الصور والأشكال يمكن تحديد أوصاف عامة للإنسان الكنعاني على النحو التالي:

لونه أصفر فاتح أو أصفر يميل إلى البني، انفه معقوف وبارز، شعره أسود غزير وأحياناً أحمر، لا تعقده عصابة رأس بل يتدلى على الجبهة وينتهي عادة عند مؤخرة الرأس على الرقبة. أما لحيته فقصيرة ومدببة وملتفة حول الذقن.

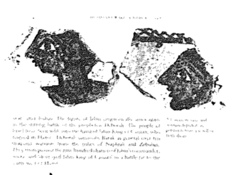
أما النساء فلون بشرتهن أصفر فاتح، ويتدلى شعرهن على الصدر والظهر، وتلتف حول الرأس عصابة. وأثوابهن متعددة الألوان، يغلب عليها اللون الأزرق والأحمر الذي يوجد في خطوط مستقيمة وعريضة أو ضيقة ومتموجة، وأحياناً خيوط رئيسية. كما توجد نماذج ممتازة من الأزياء المزخرفة برسوم هندسية في صفوف من الرأس إلى القاعدة.

(١) Petrie, W.M.F., Deshasheh (E.E.F. 15 th Memoir). London, 1898.



شكل رقم (١١)
مجموعة من الآسيويين قدمت إلى مصر لتجارة الكحل وأدوات الزينة.
(المنظر من مقبرة رقم ٣ من بني حسن لاحد نبلاء الدولة الوسطى).

أما زي الرجال فعبارة عن مآزر مستقيمة تصل إلى أسفل الركبة. والمعطف التقليدي من نفس الطول بغير أكمام ومربوط إلى أحد الكتفين. وتلبس النساء أحياناً ثياباً من نفس طراز معطف الرجال ولكنه يلتصق أكثر بالوسط وهو أطول قليلاً. ويلبس الرجال نوعاً من الصنادل، وتلبس النساء أحذية تصل إلى ما فوق العقب.



شكل رقم (١٢)
رسم لرجل وامرأة كنعانيين وجد على قطعة من جرة عثر عليها في بيت شان

وان الصور والأشكال التي وجدت في عهد الامبراطورية المصرية وبخاصة في طيبة المقابر: رقم (٧٤)، (٨٦)، (٩٩)، (١٠٠)، وما تركه ملوك هذه الدولة عن نشاطهم الحربي في فلسطين، تكاد لا تختلف في مواصفاتها عن الصور والأشكال السالفة الذكر في عهد الدولة الوسطى وما قبلها.

الحياة الاقتصادية للكنعانيين:

لعبت الظروف الطبيعية والبيئية دوراً رئيسياً في الحياة الاقتصادية للكنعانيين والفينقيين، فبينما اعتمد الاقتصاد الكنعاني على الزراعة والصناعة لعدم وجود موانىء حسنة في الساحل الفلسطيني، فقد اشتهر الفينقيون الذين سكنوا الساحل السوري من مصب نهر العاصي إلى جنوب الكرمل بالتجارة والملاحة البحرية، وأصبح لهم شأن كبير في هذا المجال في حوض البحر المتوسط. ويرى بعض المؤرخين أن مهارة الفينيقيين بالملاحة تعود إلى جدارتهم السابقة في موطنهم الأصلي على الساحل الغربي للخليج العربي.

وللزراعة تاريخ قديم في فلسطين، وكان سكان كنعان القدماء من أوائل الممارسين للزراعة في منطقة الشرق الأدنى القديم. وتشير الأدلة المختلفة إلى أن الزراعة ظلت عماد الاقتصاد في حياة الكنعانيين ويستنتج من قصة سنوحي أن الكنعانيين كانوا يزرعون الحبوب والكروم وأشجار الزيتون والتين وأنواعاً مختلفة من البساتين، فقد جاء في تلك القصة:

«. . . . . كانت بساتينهم ملآى بفواكههم، ووجدنا انبذتهم دنانها كالماء في كثرتها، وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطىء . . »[1].

وإن العثور في العديد من القرى الكنعانية على معاصر للزيتون محفورة في الصخور يشير إلى معرفتهم طريقة استخراج الزيت وإمكانية استخدامه في الإضاءة إلى جانب استخدامه في الأكل وأمور أخرى.

---

(١) الحضارة المصرية، جون ولسون، تعريب أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٩٩

كما تشير العديد من الأدلة إلى أن الكنعانيين قد مارسوا الرعي إلى جانب الزراعة، فقد أشار سنوحي في قصته إلى العديد من قطعان الماشية. وقد ذكرت «نصوص النصر» تحتمس الثالث «أن الملك المصري استولى على الآلاف من قطعان الماشية في أعقاب معركة مجدو التي انتصر فيها على الكنعانيين وحلفائهم. وأن العثور على ختم مصري في مدينة مجدو، وقد كتب عليه «بالهيروغليفية»: «وكيل محاسب الماشية»[1] يؤكد وجود الماشية وأهميتها في حياة السكان الاقتصادية، كما يبين مدى اهتمام ملوك مصر بهذه الثروة في تلك الفترة.

ويستنتج من قصة سنوحي أن الكنعانيين قد مارسوا الصيد أيضاً إلى جانب الزراعة والرعي، وعرفوا بعض الصناعات التي تعتمد على الزراعة والرعي، كمنتجات الألبان[2].

ويستدل من المخلفات التي عثر عليها في مواقع متعددة من كنعان على مدى تقدم الصناعة عندهم، فقد صنعوا الأواني الفخارية، واستعملوا العجلة في صناعة العديد من أشكالها.

ويتبين مما عثر عليه من سكاكين ورؤوس الحراب والفؤوس الحربية والمخارز والملاقط في عدة مواقع وبخاصة أريحا أن الكنعانيين قد مارسوا التعدين وعرفوا صناعاته المختلفة منذ الألف الثالث قبل الميلاد. فقد عثر على العديد من الأساور والخلاخل والأقراط والمشابك المصنوعة من البرونز والفضة والذهب في مواقع مختلفة من كنعان منها تل أبو حوام[3]، كما عثر على بعض الأدوات المعدنية ذات الأنماط المختلفة من حثية وقبرصية وميكانية التي تعود لمنتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

وتمدنا بعض المناظر الموجودة في مقابر «بني الحسن» وخاصة رقم (٢)، (١٤)، (١٧)، (٢٣)، والمناظر الموجودة في بعض المغاور سيناء ومنها رقم

---

(١) Loud, G. Megiddo Hseasons of 1935-39£ chicago, 1948, pl. 149, N.32.

(٢) Pritchard, J.B., The Story of Sinuhe, In, A.N.E.T., princeton, 1969, p18-22.

(٣) تاريخ سورية، لبنان، فلسطين، ١/٦٥-٩٦.

(١١٢)، (١١٥)، (١٦٣)، (٤٠٥) ببعض صور الأسلحة الكنعانية وأدواتهم الحربية التي يمكن من خلالها التعرف على العديد من تلك الأسلحة المعدنية وصناعتها المتقدمة كالنصال ذوات الأطراف على شكل ورق الغار وذات المقابض القصيرة أحياناً، والبلطات المنحنية من الأمام وذوات الأيدي الطويلة، وبعض البلطات ذات المقدمة شبه الدائرية ولها فتحتان. وقد عثر في عدة مواقع بكنعان(١)، وسوريا على العديد من النماذج المماثلة لهذه الأنواع، كما عثر على نماذج أخرى من البلطات ذات الشكل المدبب أو على شكل اللسان بدون فتحات. وتبين الصور والمناظر المشار إليها أن الكنعانيين استخدموا الرماح ذات الأيدي الخشبية والعصي المقوسة، إلى جانب الأسلحة التي سبق ذكرها. ويتضح من مخلفات مدينة «مجدو» أن الكنعانيين قد صنعوا الزجاج، واستخدموا العاج في العديد من صناعاتهم(٢).

الحياة الاجتماعية والسياسية للكنعانيين:

كان لتضاريس وموقع كنعان أثر كبير في تنظيم سكانها الاجتماعي وتشكيل كيانها السياسي. فتضاريس سورية الكبرى ومنها كنعان تتكون من عدة أقسام طبيعية يختلف بعضها عن بعض، من سهول ساحلية، فجبال مرتفعة تشرف على سهول ومنخفضات، فسلسلة جبال أخرى تنتهي بالصحراء، مما جعل من الصعب قيام حكومة موحدة مستقلة، كما أن موقعها الجغرافي والظروف السياسية المجاورة حال دون قيام دولة موحدة في معظم الأحيان وساعد على قيام عدد كبير من ممالك المدينة وبخاصة في كنعان حيث ساد النظام المعروف بحكومات المدينة (City State)، بحيث تستقل كل مدينة تقريباً بشؤونها الخاصة ويكون على رأسها شيخ أو أمير ولها حكومتها ومعبودها وكهنتها. فقد جاء في قصة سنوحي:

«... أنه أخذ قطعة أرض محددة تماماً من الأمير الذي لجأ إليه، ويشير إلى هذه القطعة من الأرض تقع على حدود إقليم آخر(٣)..».

---

(١) مقابر بن حسن، رقم (٢)، (١٤).

(٢) Albright, W.F., From The Stone Age To The Christianity. Baltimore, 1940.

(٣) Pritchard, J.B., op. cit.

مما يشير إلى سيادة هذا النظام المعروف «بحكومات المدينة» كما يتبين من قصة «سنوحي» أنه كان يحدث أحياناً صراع مسلح بين هذه المدن نتيجة للتنافس على المراعي وأماكن السقيا، وكان هذا الصراع ينتهي أحياناً بالاستيلاء على المتاع والقطعان مواد التموين والعبيد دون تدمير واسع أو قضاء على المحاصيل[1]. وكانت هذه المدن تتفق أحياناً في مواجهة الأخطار الخارجية كما حدث عندما اتحدت بزعامة مدينة مجد وضد تحتمس الثالث.

وتشير الأدلة المختلفة إلى استمرار هذا النظام السياسي على أرض كنعان مع بعض التطور بشكل أو بآخر نحو المركزية، إذ يتبين من «قصة سنوحي» ومن «نصوص اللعن» التي جاءت بعدها بحوالي قرنين أن فلسطين كانت مقسمة إلى أقسام سياسية على صورة قبائل أو قرى. «Whyt» (نخت)[2] (nḫt) ومعناها الحرفي «القوي» أو «المنتصر».

ويقود هذه القبيلة «زعيم» أو «قائد» (بطل). وتبدو هذه القرى مستقلة الواحدة عن الأخرى، إلا أنها ترتبط بجهاز أكبر هو «البلد» أو «المدينة» (خست) (hȝst)، ومعناها الحرفي «البلاد الأجنبية». وتؤكد هذه العلاقة نصوص اللعن التي تذكر «القبائل» أو «المواقع» للبلاد المختلفة التي لا تشبه بعضها مثل «ببيلوس» (التي لا تعني «المدينة» بل «المنطقة» الجبلية الكائنة وراءها، وكذلك «كوشو» (kušw) التي يمكن ربطها «بمديان»، وفي الدولة الوسطى كانت «كوشو» تعني «إقليمًا» أو «بلداً» يرأسها عظماء القبائل. ويقول سنوحي في قصته أنه أصبح حاكمًا «(حقاً) (hkȝ) لقبيلته، وكقاعدة عامة يطلق لقب «حاكم» على الأمراء الذين يحكمون «البلد» وقد كان هذا الإصطلاح شائعاً في عهد الدولة المصرية الوسطى لتحديد رؤ وساء القوى الأجنبية.

ويتبين من القصة أيضاً أنه كان «للحاكم» الذي حمي سنوحي سلطة على القبائل التي تعيش في «بلده» وكان له جيش،وكان لديه مصريون في بلاطه

---

(١) Ibid.

(٢) pritchard, J.B., Ibid., p.18-22.

(ربما مستشارين). وقد جاء ذكر لقب «الحاكم» في نصوص سيناء[٢] عندما تحدثت عن أخ «الحاكم» الذي يركب حماراً، ومن حوله حاشية صغيرة، وإنهم في العمل بمناجم سيناء.

وتؤكد نصوص اللعن التي تعود لمرحلة متأخرة نسبياً، أن كنعان وجنوب سوريا كانتا مقسمتين سياسياً إلى وحدات كثيرة. إلا أن تعداد الأقاليم أو الحاكم الذي يرد في النصوص المختلفة لا يمكن اعتباره دليلاً كافياً لتحديد طبيعة النظام السياسي الذي كان سائداً في كنعان، إذ ربما يعود ذلك إلى مزيد من الانقسام بين عدد الوحدات السياسية في بعض الظروف، فبينما يدل تعدد الأواني الحمراء الموجودة في برلين على وجود عشرين إقليمًا مختلفاً، فإن التماثيل الصغيرة من سقارة تدل على وجود اثنان وستين إقليمًا. وأن هذا الرقم لا يضم كل الوحدات الإقليمية بل غالباً ما يشار إليها باسم «مدينة» كمدينة «عسقلان»، و«أخشاف»، و«حاظور» و«بيبلوس»، و«أولاذا».... الخ. وقد ذكرت هذه النصوص لأول مرة في التاريخ اسم «أورشليم»، ومن بين المواقع التي ذكرتها «نصوص اللعن» والتي أمكن التعرف عليها أسماء قليلة للأقاليم من بينها: (دمشق وما جاورها «أبي» (Api) وميديان (كوشو)، وربما البقاع ولبنان الداخلية «سيريون» (Sirion). كما ورد ذكر عدد قليل من الحكام لبعض النواحي من بينهم اثنان «لأورشليم» وذكر ثلاثة أو أربعة حكام لمنطقة واحدة أحياناً.

إلا أن ما عثر عليه من تماثيل صغيرة كنعانية في سقارة بمصر، - وهي تتأخر قليلاً من الناحية التاريخية عن هذه المرحلة - لم يذكر سوى اسم حاكم واحد لمعظم البلاد. وقد يعكس هذا التغيير تطوراً تاريخياً أما في إعادة بناء الولايات القديمة، أو ظهور الجماعات المتقاربة. وأحياناً نجد اضطراباً في ذكر الأسماء والأقاليم مما يرجح وجود اضطراب في الأحوال السياسية أما نتيجة لتحركات بشرية أو بسبب صراع سياسي داخلي أو خارجي كما كان الحال في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد.

---

(١) أخ أمير رتنو ويدعى جنب «(م). انظر

على أنه يتبين من نصوص النصر «لتحتمس الثالث» ومن قصة «سنوحي» ما يشير إلى وجود أحلاف عسكرية، فأمير بيبلوس يصف نفسه «بأنه حاكم الحكام»، وأشار «سنوسرت الثالث» أثناء حملته على مدينة ششن الكنعانية (وغالباً نابلس)، إلى أنه استولى على هذه المدينة، التي كانت عاصمة المنطقة، والتي تسلمت زمام القيادة في الأقاليم. وهذا يوحي بأن الولايات الصغيرة كانت تتجمع وقت تعرضها للخطر في نطاق اتحادات دفاعية بزعامة أحداها، وربما أقواها، يدل على ذلك الأدلة الكثيرة منها على سبيل المثال سجلات «ماري»، وبعض نصوص الدولة المصرية الحديثة. وما جاء في تسجيلات تحتمس الثالث التي تتحدث عن انتصاره على حلف مجدو في أرض كنعان.


126 SILENT C

seem conclus
epoch of the
boastful Egyp
1,236 to 1,223
Thebes, disco
paean to his

The princes
Not one
Desolation i
Plundere
Carried off
Yanoam
Israel is laid

This is not onl
ancient Egypt
point out that
rather than a l
name in the t
presence of t
thirteenth cen
fits in precisel
Let us take,
archaeological
Nelson Gluec
into the dat

A bronze representation of
a Canaanite from the 16th
or 15th century BC

شكل رقم (١٣)
تمثال برونزي لامرأة كنعانية يؤرخ ١٦٠٠ ق.م.

المدن الكنعانية:

يتبين من نتائج الحفريات التي تمت في فلسطين، ومن المصادر المختلفة وبخاصة النصوص المصرية، وجود العديد من المدن الكنعانية، مما يوحي بأن كنعان كانت تتمتع بحياة اقتصادية واجتماعية وسياسية جيدة، ساعدت على

قيام هذه المدن وانتشارها. وأن معظم أسماء هذه المدن القديمة يكاد يتفق مع أسماء المدن المعروفة حالياً في فلسطين. وقد جاء أقدم ذكر للمدن الكنعانية في نصوص «تحتمس الثالث» حيث نقشت أسماؤها في جدول ضم ١١٩ مدينة كنعانية ذكر أنه استولى عليها في حملته على فلسطين. كما ورد ذكر العديد من المدن الكنعانية[١] في تسجيلات بعض ملوك الدولة المصرية الحديثة ومنهم رمسيس الثاني وسيتي الأول وغيرهم. وقد أوردت التوراة أسماء بعض هذه المدن. كما أن «يوشع»، «ذكر أنه استولى على ستمائة مدينة كنعانية في حروبه ضد الكنعانيين. ومن المدن الهامة التي ورد ذكرها في المصادر المختلفة مدينة: «يافا»، وقد ذكرت «يافى» وتعني بالكنعانية «المنظر الجميل»، ومدينة «بيت لحم» أي «بيت لخمو» ولخمو إله كنعاني. و«بيت داجون»، وتعرف «بيت دجن»، قرب مدينة «يافا»، وداجون أحد الألهة الكنعانية الذي يتصف بالخصب «ورفياً» وهي مدينة «رفح» الحالية في جنوب و«بئر السبع» وغيرها العديد من المدن.

القبائل الكنعانية:

يتبين من الأدلة المختلفة أن الكنعانيين يضمون العديد من القبائل منهم: «اليبوسيون»، وقد سكنوا «تيبوس» القدس التي كانت تقوم على الجبل الذي عرف فيما بعد بجبل صهيون، ومن ملوكهم «ملكي صادق»، و«أدوني صادق» الذي تذكر التوراة أن اليهود قتلوه في عهد «يوشع» مع خمسة ملوك آخرين من سكان القدس والذي اشترى منه النبي داود بيدره بستمائة شاقل من الذهب. ومن القبائل الكنعانية «العناقيون» الذين سكنوا المناطق التي تقع جنوبي الخليل إلى القدس وبعضهم أقام في «غزة» و«جت»، و«أسدود» ومن رجالهم «أربع»، وهو مؤسس مدينة «الخليل»، ومن بلادهم «بيت مرسيم» وقرية «أربع» وقرية «عناب».

ومن القبائل السامية العربية التي استقرت في أرض كنعان «الأموريون» و«المدينيون»، و«المعينيون»، كما سكن في كنعان بعض «الحيثيين» و«الحوريين».

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٢/٣٢٢.

أما الأموريون فيرى معظم المؤرخين أنهم تحركوا من الجزيرة العربية في الفترة نفسها تقريباً مع الكنعانيين، وقد استقر معظم الأموريين في سوريا واتجه بعضهم إلى جنوب كنعان وشواطىء البحر الميت، وشرق الأردن ومن مدنهم المعروفة «تل الحسى» و«تل النجيلة» قرب مدينة «غزة» و«شعليم» قرب مدينة، «اللد»، كما أنهم أقاموا في مدينتي «جازر و«لخيش»»، وعرف من ملوكهم «يافيع» ملك «لخيش» الذي قتله «يوشع»، كما ورد في التوراة.

ويرى بعض المؤرخين أن صورة الشيخ «أبشا» الموجودة في مقبرة «بني حسن» التي وصفتها النصوص المصرية القديمة بأنهم جماعة آسيوية قادمة للتجارة بقيادة زعيمهم، أنها لأحد زعماء الأموريين.

والكنعانيون شديدو الصلة بالأموريين، فهما فرعان من قبيلة كبرى واحدة تحركت في هجرة واحدة، وتعتبر لغة الأموريين والكنعانيين لهجتين من فروع كتلة اللغات السامية. فلهجة الكنعانيين شبيهة بلهجة الأموريين حتى ذهب بعض المؤرخين إلى أن الأموريين هم الكنعانيون وأن الكنعانيين هم الأموريون.

وتشير المصادر إلى أن عناصر حثيَّة قد استقرت بفلسطين وأقام بعضها في الخليل، و«بيتين» قرب «رام الله»، إلا أنه لا يوجد من الوثائق أو الأدلة ما يشير إلى أن فلسطين قد خضعت للأمبراطورية الحثية. وقد اشتهر الحثيون بصناعة الخزف الملون، وعرف من زعمائهم «عفرون بن صوخر» الذي ذكر أن إبراهيم الخليل اشترى منه حقل المكفيلة وما جاورها. ومنهم أيضاً «الحريون» الذين سكنوا نابلس ثم انتشروا في شمال فلسطين، ومن مدنهم «أبو غوش» الحالية، ومنهم «حمور الحوي» رئيس مدينة «شكيم» نابلس الذي ورد ذكره في التوراة أنه باع قطعة من أراضيه إلى يعقوب.

ومنهم أيضاً العمالقة (العماليق)، الذين سكنوا جنوب فلسطين، وغرب وشمال غرب البتراء، وفي سيناء، ويعرفون بضخامة أجسامهم، وقد سكن بعضهم جنوب غزة منطقة نابلس، وجاء في التوراة[1] ما ينم عن حقد وعداء

---

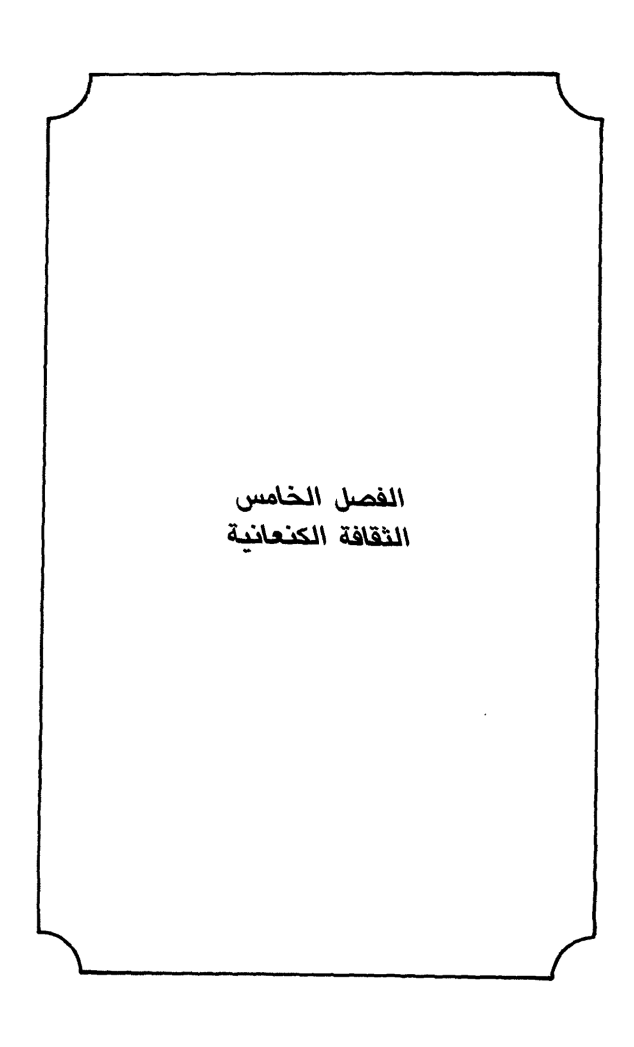
(١) العهد القديم، صم ١٥-٣٣.

شديدين ضدهم، إذ أنهم حاربوا اليهود بكل ضراوة في عهد النبي موسى حينما حاول اليهود دخول فلسطين من الجنوب. وحاربوهم في عهد صموئيل[1] وشاول وداوود. ومن قبائلهم التي ورد ذكرها في التوراة الفرزيون حيث ذكر أن النبي داوود قاتلهم بضراوة.

وفي ضوء ذلك كله يتبين أن فلسطين كانت تحتل مكانة حضارية مرموقة في منطقة الشرق الأدنى القديم بمرحلة العصر التاريخي (الألف الثالث ق.م.) الذي يعرف بعصر البرونز المبكر بفلسطين، إذ تشير الأدلة الأثرية سواء التي عثر عليها في أرض فلسطين أو في الأقطار المجاورة إلى أنها قد أسهمت مع غيرها من الأقطار المجاورة وبخاصة سوريا القديمة وبلاد ما بين النهرين ووادي النيل في التطور الحضاري الكبير الذي شهدته منطقة الشرق الأدنى القديم، حيث قامت القرى والمدن وظهرت التنظيمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الدولية. وبمعرفة الانسان في هذه المنطقة للكتابة والتسجيل توسعت دائرة علاقاته وخطا خطوات واسعة في صرح الحضارة الانسانية. وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافي مركز التقاء للحضارات الكبرى المجاورة وبخاصة حضارة وادي الرافدين ووادي النيل فأخذت من كل منها بما يلائم طبيعتها وثقافتها واحتفظت دوماً بطابعها الحضاري المتميز.

---

(١) صموئيل، الإصحاح ١٥: ١-٤.



الفصل الخامس
الثقافة الكنعانية

كشفت الدراسات التاريخية عن أن الكنعانيين كان لهم ثقافة تتضمن اللغة والآداب والديانة والفنون والعادات والتقاليد والعلاقات، وغير ذلك من جميع ما يتضمنه مصطلح الثقافة بمفهومه العلمي الحديث، ومما لا شك فيه أن لهذه الثقافة جذورها وعواملها، فلقد نشأت في بيئة معينة لها ظروفها الخاصة وتأثرت في مسيرتها بطبيعة الحال بالثقافة التي عاصرتها وتفاعلت معها. وعلى الرغم من أن الثقافة الكنعانية كغيرها من الثقافات قد تأثرت بالثقافات التي أحاطت بها مثل ثقافة بلاد الرافدين ووادي النيل، فان لها طابعها الذي يميزها عن هذه الثقافات.

يتبين من المخلفات الأثرية التي عثر عليها في عدة مواقع حضارية في فلسطين أن الانسان الفلسطيني القديم (السابق للكنعاني) كانت لديه معتقدات وأفكار دينية تشكل عنصراً أساسياً في كافة مجالات نشاطاته المادية والفكرية، وبخاصة ما يتعلق منها بالعمل في الزراعة وشعوره بالحاجة إلى الأمن، ثم محاولته لتفسير مدى علاقة ذلك كله بالظواهر الطبيعية المحيطة به، وسعيه إلى إرضاء القوى المسيطرة عليها.

ويتضح من المخلفات التي عثر عليها في مدينة أريحا، وفي مواقع الحضارة الناطوفية الأخرى التي تعود إلى عصور سابقة للعصر التاريخي أن الانسان الفلسطيني قد عبر عن أفكاره المتعلقة بالخصب، و«الأمومة» و«الإنتاج» بأن صنع ثلاثة تماثيل تصور «رجلاً»، و«امرأة»، و«طفلاً» بأسلوب فني امتاز به على إنتاج المعاصرين له في هذا المجال بالمناطق الحضارية المجاورة. كما خصص أماكن معينة لسكنى الآلهة التي آمن بها وزودها

بالأدوات اللازمة لتأدية الطقوس الدينية رغبة منه في الحصول على معاونتها في حياته الزراعية، ولكي توفر له الأمن والاستقرار.

وتشير المخلفات التي عثر عليها في بعض القبور ومنها الأدوات الشخصية للمتوفى، وبعض الأدوات ذات الاستعمال اليومي ما يرجح بأن هذا الانسان كان يعتقد بوجود «عالم أبدي» بعد الموت. وقد بدا ذلك بوضوح قبيل بداية العصر التاريخي، وذلك تمشياً مع تطوره الحضاري الذي اتضحت معالمه في إنتاجه الفني في تمثيل وصنع عدد من الآلهة، وفي تطور حياته الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام.

إن المصادر التي تتعلق بديانة الكنعانيين وآدابهم كانت حتى اكتشاف نصوص «رأس شمرا» قليلة ونادرة، وتشتمل على روايات لاتينية ويونانية، ثم بعض المصادر المصرية والأشورية. وهي مصادر متباينة القيمة وتحتاج إلى فحص وتدقيق.

أما المصادر اللاتينية واليونانية فمعظمها عبارة عن روايات مترجمة لبعض المؤلفين وقد فسر فريق منهم بعض العادات والتقاليد الكنعانية بأسلوب وفكر مسيحي[1] حتى أن بعضهم استبدل بعض أسماء الآلهة الكنعانية والفينيقية بما كان يعتقد أنه يناظرها من أسماء الآلهة اليونانية. ومن هذه الروايات ما سجله الكاهن «سانجو ياثون»[2] (Sanchuniathon) أحد كهنة مدينة جبيل، مما جمعه باطلاعه الشخصي، ومن قراءة وترجمة بعض النصوص التي كانت موجودة في هيكل مدينته.

ومن هذه المصادر أيضاً نصوص وردت في تاريخ «هيرودوت»، وفي أشعار «هوميروس»، وفي«الألياذة»، و«الأوديسا».

كما أمدتنا خطابات «تل العمارنة»، و«النصوص المصرية» و«الأشورية» ببعض المصادر التي تلقي بعض الضوء على الديانة والآداب الكنعانية.

أما التوراة فلم تتحدث بشيء تقريباً عن الكنعانيين سكان البلاد

---

(١) Gray, J., The canaanites (Ancient people and places, 38), London, 1964, p. 119FF.

(٢) Drower, M.S. Ugarit, in, C.A.H., 1968, p.19.

الأصليين، كما أهملت تماماً جميع الأحداث التي لم يشارك فيها اليهود، وان ما جاء في التوراة عن الكنعانيين وآدابهم يتلخص ببعض التهجمات على الديانة والطقوس الكنعانية[٣]. ومن الممكن من خلال التهجمات والمجادلات المضادة التي وردت في التوراة التعرف على بعض جوانب إقامة الشعائر الدينية الكنعانية وممارسة بعض الطقوس والعبادات الكنعانية.

وتعتبر النقوش الفينيقية والكنعانية، وبعض النماذج الفنية التي كشفت عنها الحفائر المتتالية في «فينيقية» و«كنعان»، وما وجد منها في متحف اللوفر ومتحف استانبول، ومتحف القدس، ومتحف بيروت، ومتحف دمشق، بالاضافة إلى ما قام به العالم المستشرق «إ. رينان» في كتابه «النقوش السامية» (Corpus inscription um semiticnum, C.I.S.) من شرح وتعليق على بعض هذه المصادر، تعتبر جميعاً من المصادر التي يمكن أن تسهم في توضيح بعض ملامح ومزايا الديانة والآداب والفنون الكنعانية والفينيقية.

إن ما كشفت عنه حفريات «رأس شمرا»من وثائق هامة، ومنها نصوص وأشعار ورسائل كنعانية وفينيقية كتبت بعدة لغات منها الأوجارية، والأكدية، والمصرية والحثية والحورية، ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، رغم تهشم بعض لوحاتها، تعتبر إلى جانب الآثار والنصوص المؤابية والعمونية والأدومية مصدراً ثرياً بالمعلومات التي تتعلق بالمعتقدات وإقامة الطقوس الدينية في مرحلة الألف الثاني قبل الميلاد. وبالاضافة إلى أن تلك الوثائق قد أسهمت في كشف النقاب عن العديد من جوانب الديانة والآداب الكنعانية، فقد ساعدت في الوقت نفسه في إلقاء الأضواء على المصادر السابقة التي ثار جدل حولها، مما يتيح الفرصة إلى إعادة دراستها وترجمتها. كما أكدت صحة بعض التقارير والروايات الفينيقية المتعلقة بخلق العالم[١] وبالطقوس الدينية للآلهة «هيرابوليس» (Hierupolis) الفينيقية[٢].

---

(١) Albright W.F. , Archaeology and the Religion of Israel, Ed.3 Baltimore, 1953, 158FF. Gray C.J. OP. Cit.

(٢) سجل هذه الروايات داماسيكوس نقلاً عن كتابات موخوس (Mochus) الصيداوي.

(٣) كتبها لوكيان (Lucian of samosata) في القرن الثاني الميلادي.

ويعود الفكر الديني الكنعاني في أصوله الأولى إلى الفكر الديني لسكان كنعان القدماء، وإلى الفكر الديني السامي الغربي في «سوريا»، «لبنان» و«فلسطين». ورغم احتفاظ هذا الفكر في بادىء الأمر بعدد من العناصر الأولية المتصلة بحياة البادية في شبه الجزيرة العربية في شكل تقاليد وعادات معينة، مما كانت تمارسه القبائل في شبه الجزيرة العربية، إلا أن الباحث يستطيع أن يلمس في هذا الفكر انعكاس كافة الظواهر الحضارية الكنعانية من حيث تنوع ذلك الفكر وجمعه بين العناصر الحضارية المستقلة والمتوارثة. كما يستطيع الباحث أن يتبين من خلال المظاهر المختلفة لهذا الفكر أن عملية الاتصال والتجانس الحضاري والفكري كانت تدريجية بين العناصر السامية المستقرة والعناصر السامية الوافدة على مر العصور.



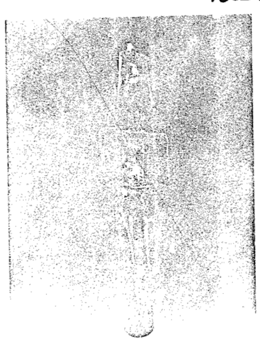
الشكل رقم (١٤)

أماكن عبادة كنعانية قديمة تضم مجموعة من المسرلات فوق أحد الجبال في مدينة «جيزر».

ويمكن للباحث من خلال دراسة المصادر السابقة الخاصة بالديانة الكنعانية والفينيقية إلى جانب ما كشفت عنه حفريات «رأس شمرا» من مصادر هامة في هذا المجال أن يحدد أهم معالم الديانة والآداب الكنعانية في مرحلة الألف الثاني قبل الميلاد.

أولاً: بالنسبة للتراث المادي لممارسة الطقوس الدينية.

لقد عثر على بعض الهياكل والمعابد في بعض المواقع الأثرية، كما عثر على بعض المذابح والعواميد والمسلات الحجرية والمحارق وبعض بقايا البخور والأثاث وبعض الأدوات الأخرى. كما عثر على عدد من التمائم ويعتقد أن النساء كن يحملنها لاعتقادهن بقدرتها على مساعدتهن على الخصوبة وتحميهن من الشر أثناء ولادة الأطفال.



شكل رقم (١٥)

تمثال الفضة لآلهة كنعانية يعود إلى ١٨٠٠ق.م. وجد في «نهاريا»

وقد كانت الهياكل والمعابد تقام عادة فوق الجبال والتلال، وكان لكل مدينة هيكلها وإلهها الخاص بها، وكانت مبسطة بصورة عامة إذا ما قورنت بنظيراتها من الهياكل من الهياكل الضخمة في مصر والعراق، إذ كان الهيكل الكنعاني يتألف من عدة غرف منها غرفة انتظار، وأخرى للاستقبال، وثالثة كبيرة عبارة عن فناء واسع فيه مجموعة من الأعمدة. وكان المعبد وبداخله المذبح يرتفع قليلاً عن سطح الأرض، ويمكن الوصول إليه بواسطة بضع درجات قصيرة. ويلحق عادة بالمعبد غرفة أو أكثر كمخازن تجمع بها الهبات والصدقات، وبعض الأدوات المزخرفة التي تستخدم في إقامة الطقوس[١]

(1) Seton—Williams, M.V. «palestinian temples» Im Iraq, 9, (1949), 77FF.

وتشير الأدلة أيضاً إلى وجود المزارات أيضاً عند الكنعانيين والفينيقيين، فقد وجد في «حازور» (Hazor) بفلسطين مزار يرجع إلى العصر البرونزي[٢]، كما وجد مزار آخر في أحد هياكل مدينة جبيل، وكان من المظاهر اللافتة للأنظار في المعبد.



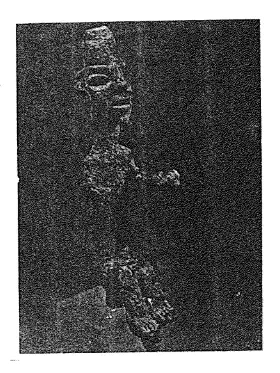
شكل رقم (١٦)

تمثال برونزي مطلي بالذهب لآلهة مدينة «حازور» يؤرخ بحوالي ١٥٠٠ق.م. عثر عليه في مدينة «بيسان».

كان الكنعانيون يحتفلون بالمواسم والأعياد داخل المعابد، حيث يقدمون القرابين لآلهتهم وسط احتفالات شعبية تصحبها الموسيقى أحياناً. ولم تقتصر وظيفة المعبد الكنعاني على إقامة الشعائر الدينية والاحتفال بالأعياد والمناسبات، بل كانت بمثابة مدارس للاهوت تعلم القراءة والكتابة، وفلسفة العقيدة وأصولها كما كان المعبد يعمل على إعداد الكهنة وأساتذة اللاهوت والدين.

وكان لرئيس الكهنة مكانة ممتازة، فقد كان يسكن في وسط الهيكل في

Albright, W.F., The high place in ancient palestine, In, V.T. Suppl. 4, 1957, 254FF.



شكل رقم (١٧)

تمثال برونزي صغير لآله كنعاني عثر عليه في مدينة «حازور».

أكبر وأغنى مناطق المدينة[١]، كما كان يوجد في بيته عادة مكتبة، وقد عثر في أحد تلك المكتبات على لوائح لتمارين مدرسية، وبعض المفردات، وأخرى كتب عليها حروف لتمرين الكهنة على النسخ والتأليف مما يؤكد الدور التعليمي الذي تقوم فيه المعابد في أعداد الكهنة الأعداد الديني المناسب.

وقد عثر في بعض بيوت الكهنة في مدينة «حازور» (Hazor) و«الألاخ» بكنعان، وفي جنوب مدينة «رأس شمرا» على تسجيلات عبارة عن دراسة للرئتين والكبد عند الخروف[٢]. ويعتقد أنها نماذج تستخدم لتدريب الكهنة على دراسة علم (Hepatoscopy) وتعتبر هذه التسجيلات والدراسات أمراً شائعاً في الحياة الدينية بمنطقة الشرق الأدنى القديم، إذ عرفت عند البابليين

---

(١) Drower. M.S. Op. Cit. p.21.

(٢) Kitchen. K.A. Suppiluliuma and the Amarna pharachs liverpool, 1962. 5FF.

القدماء، وشاعت في كنعان وسوريا وفي الأناضول[1]. وهذا يؤكد دور الكهنة في التدوين والتعليم والأعداد للوظائف الدينية المختلفة[2].

أما فيما يتعلق بتقديم القرابين للآلهة، فإن المصادر لم تشر إلى أن الكنعانيين والفينقيين قد قدموا الأطفال كقرابين للآلهة كما كان يفترض. ويرجح أنهم كانوا يقدمون التضحيات الحيوانية في سبيل إرضاء الآلهة. وإن ما عثر عليه من بقايا تضحيات بشرية في «كفرجرة» بجوار صيدا بفينيقية، فيغلب أن تقديم تلك التضحيات البشرية كان في حالة تواجد أخطار تهدد كيان مجتمع المدينة. أما ما ورد من معلومات الأشخاص المنذورين من الجنسين إلى الآلهة في أوغاريت فقد فتح المجال أمام بعض الباحثين للتفكير بوجود «المؤسسة الدينية» الكنعانية التي قام ضدها وشجبها الأنبياء في القرن الثامن قبل الميلاد[3].

الآلهة الكنعانية:

يمكن التعرف على العديد من الآلهة الكنعانية من دراسة النقوش والمسلات والكتابات والأشكال البرونزية والتماثيل التي عثر عليها في عدة أماكن من أرض كنعان وفينيقية، وفيما وجد منها في الأقطار المجاورة.

وتتصل الآلهة الكنعانية كغيرها من آلهة الأديان المجاورة بالظواهر الطبيعية، وكثيراً ما تتعدد مظاهرها وجوانب نشاطها.

ويعتبر الإله «آل» (El)، والإله «بعل» (Báal)، والاله «موت» (Mot)، والآلهة «أناث» (Anath) أهم وأشهر الآلهة الكنعانية. كما كان للكنعانيين آلهة أقل شأناً بعضها آلهة محلية وأخرى ذات صفات محدودة.

الاله «آل» :

كان الإله «آل» يعتبر الإآله الأعظم عند الكنعانيين والفينيقيين، ومن

---

(١) Gurney. O. The hittites. Ed. 2revised. Harmondsworth. 1966. 158FF.

(٢) Webster. T.B.L. From mycenae to homer. london. 1958. p.135FF.

(٣) Albright. W.F. From the Stone Age to Christianity. Ed. 2. Baltimore. 1957. p.234ff.

ألقابه «إله النجدة»، و«خالق المخلوقات»، و«أب الأنسانية»، كما اعتبر في بعض المناطق أباً للإله «بعل»، كما عرف في مناطق أخرى بأنه أباً لجميع الآلهة. وقد ورد ذكره ضمن أسماء ثيوفوروس «(التجلي)» وتشير الأدلة المختلفة ومنها التوراة أن الاسرائيليين اقتبسوا العديد من المعتقدات والشعائر الدينية الكنعانية ومنها أسماء الآلهة، فقد أطلق الاسرائيليون على الإله إسم «آل» بمعنى خليل الله، و«جبرائيل» أي «جبراال» بمعنى قوة الله، وإسرائيل أي «أسرا ال» بمعنى جندي الله، و«عزرائيل» أي «عزرا ال» بمعنى سند الله وغيرها... وعلى الرغم من أن النقوش المختلفة لم تبين مظهر العام بوضوح، إلا أنه من الممكن وصفه بأنه رجل مسن ذو شعر ولحية بيضاء[1]، ويلبس أحياناً تاجاً مأخوذاً من التاج المصري[2] الطابع ذي القرون والريش والذي يعرف بـ تيف (Atef)، ويبدو في أحد النقوش جالساً ورجلاه مستندتان إلى كرسي آخر صغير، ويلبس ثوباً طويلاً ذا زناد على الطريقة المصرية التقليدية بينما يقدم إليه القربان، ويحلق فوق رأسه قرص الشمس المجنح، وقد وجدت صورته على أختام أسطوانية في سوريا العليا. وقد ورد فيي الأساطير أن هذا الإله يعيش في قصره فوق جبل في مكان «التقاء النهرين مع المحيطين»، حيث كان يستضيف أولاده السبعين آلهاً. وتعرف زوجته بـ (Athirat) أو (Asherah).

وعلى الرغم من مركز «آل» المتفوق عند الكنعانيين والفينيقيين، إلا أنه يبدو أنه لعب دوراً محدوداً في الأساطير الأوغارتية، إذ قلما ورد ذكره في المعاهدات أو النصوص غير الأدبية، كما لم يعثر على ذكر لأحد من كهنته أو هياكله في أرشيف الوثائق الأوغارتية.

الاله «بعل» (Báal):

يتبين من دراسة الوثائق المختلفة إن الإله «بعل» كان يعبد في معظم

---

(١) Driver, G.R. Canaanite Myths and Legends (Old Testament Studies, 3). Edinburgh, 1956,159ff.

Pope, M.R., Elin The Ugaritic Texts (V.T. Suppl.2), Leiden, 1955, p.72ff.

(٢) Schaffer, C.F.A., The Cuneiform of Ras-Shamra Ugarit, Oxford, 1939, ol.31.

المدن الكنعانية والفينيقية، وكان هيكله أكبر وأغنى الهياكل في المدينة[1]. وكان يحتل مكان الرئاسة بين الآلهة الكنعانية إذ كانت له قيادة شئون المدينة، وكان «القسم» أمام الملك يؤدي باسمه[2] في الفترة التي تغطيها النصوص والوثائق الأوغارتية في مرحلة الألف الثاني قبل الميلاد على الأقل.

وبعل في الكنعانية تعني «السيد»، ومن ألقابه «الأمير»، و«سيد الأرض»، و«المنتصر». وبعل إله شاب قوي، ومن صفاته أنه إله «العاصفة»، وإنه «محارب»، و«بطل» ويسير الغيوم، ويسيطر على البرق والرعد، ويرسل المطر وينبت الزرع. ويظهر في النقوش (متحف اللوفر) يرتدي على رأسه خوذة وله قرن، ويلبس قميصاً يصل إلى الركبة، وشعره خصل مدلاة إلى كتفيه ويحمل في إحدى يديه صاعقة، وفي الأخرى برق، وقد ظهر في إحدى مسلات «رأس شمرا» وهو يسحب الثور الذي يرمز إلى قوة الذكر والاخصاب[3]. وأن «التراجيديا» (الأسطورة المأساوية) والتي وردت في النصوص الأوغارتية تؤكد دور الإله «بعل» كإله للمطر وكجالب للخصب، رغم أن بعض القصص يشير إلى أنه يهزم أحياناً أمام إله. «الجفاف»[4]، فيحاول الإله «Athtar» إله الربيع والري أن يقوم بمهمة «بعل»، إلا أنه لا يستطيع، مما يحتم على «بعل» أن يعيد نشاطه بمساعدة أخته العذراء «أناث» (Anath) لكي يسترد مكانته.

إن العديد من النصوص اعتبرت الإله «داجون» (Dagon) إله القمح عند الكنعانيين أباً للإله «بعل»[5]، بينما اعتبرت بعض الوثائق الإله «ال» أباً

---

(١) Dramer, M.S., «Ugarit». In, C.A.H. 1968,p.26.

(٢) P.R.U. Le Palais Royal d'Ugarit. 4Vols. (Mission de Ras-Shamra ed. C.F.A., Schaeffer, VII, VI, IX, XI) Paris 1955—65., p.9f.

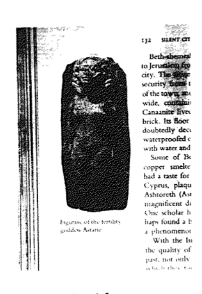
(٣) Driver, G.R. Canaanite Myths and Legends. (Old Testament Studies, 3). Edinburgh, 1956, p.111 ff.

—Kapelrud, A.S., The Ras Shamra Discoveries and The old Testament, Oxford, 1965.

(٤) Gordon, C.H., Ugaritic Literature., Rome, 1949, p.3ff.

(٥) Driver, G.R., op.cit., p.111ff.

للإآله «بعل» ولجميع الآلهة. وتشير بعض النصوص إلى أن للإآله «بعل» زوجة تعـرف بـ (Athtarat) أو (Athtoreth) التي تعرف بـ (Ishtar) السـامية[1]، وبنتان هما: «الضباب» و«الندى». ويتبين من العديد من الأشعار والنصوص، التي كانت تلقى وتسجل في «مجمع آلهة الهيكل» الذي يعرف بمجموعة أبناء الإآله «آل»، أن الإآله «بعل» كان محوراً رئيسياً في مجالات الحب والمنافسة والمناظرة والحرب التي امتاز بها الأدب الكنعاني الفينيقي.


132 SILENT CIT
Beth-shemesh
to Jerusalem fro
city. The
security
of the town, an
wide,
Canaanite live
brick. Its floor
doubtedly dec
waterproofed c
with water and
Some of Be
copper smelte
had a taste for
Cyprus, plaqu
Ashtoreth (As
magnificent d
One scholar h
haps found a b
a phenomeno
With the Is
the quality of
past, not only

Figurine of the fertility goddess Astarte

شكل رقم (١٨)

الآلهة «عشتار» آلهة الخصب عند الكنعانيين.

ولمكانة «بعل» الهامة في الديانة الكنعانية، فقد كان لكل مدينة إآله محلي يعرف بـ «بعل» المدينة، ويعتبـر هيكله أكبر الهيـاكل وأهمهـا بين الهيـاكل الأخرى.

وقد كان للكنعانيين آلهة أقل شأناً، بعضها آلهة ذات صفات محدودة، ومنها آلهة محلية، وبعضها تجمعها صفات واحدة أو متقاربة ومنها: الآلهة التي

---

(١) Dahood, M.H., Ancient Semitic De In Syria and Palestine, In le antiche divinita semitiche, (Studi Semitic, I.) ed.S. Moscati, Rome, 1958, 65ff.

تتصف بالضياء والنـور وأهمها الآلهـة «شابـاشى» (Shapash)[1]، وتعتبر في الديانة الكنعانية ممثلة للشمس، ومن توابعها، وقد أشار إليها أحد النصوص بأنها قامت بدور رئيسي أثناء مغامرات الإله «حمون»، المعروف بإله الجحيم في صراعه مع الخير. ثم الآلهة «يراخ» (Yerakh) التي تضيء الجنة[2]، وكذلك الإله «كوشوخ» (Kushukh) الذي يعرف بإله القمر، وقـد كان الحـوريون يبتهلون إليه في أوغاريت.

ومن تلك الآلهة أيضاً ما يتصف بالقوة والحرب والعنف، ومنها الإله «سيث» (Seth) وقد وجد نقش له في مدينة «سابونا» (Sapuna) الفلسطينية، ويعتقد بأنه إله العاصفة[3]، ثم الإله «رشف» (Resheph) ، وهواله سوري ويعرف بإله الحرب، ويظهر في النقوش حاملاً فأس الحرب بإحدى يديه، ويرفع في الثانية درعاً ورمحاً، وقد ورد ذكر هذا الإله في أسطورة «كيريت» (Keret) المشهورة حيث كان يقوم بدور إله الوباء، كما كـان يدعى رامي السهام تأكيداً لشخصيته الحربية[4]. ومن الآلهة المشهورة بصفاتها الحربية الإله «أناث» (Anath) وتظهر «أناث» في قصائد «رأس شمرا» على هيئة آلهة المعركة والقتال وتبدو في النقوش بمظهر مصري مألوف، وتشبه بصفاتها الآلهة «كالي» الهندية التي تجد متعة في الخراب وخوض الماء. وقد أشارت إحدى الوثائق إلى صراعها مع التنين. وعلى الرغم من مظهرها الحربي فقد وصفتها لوحة عاجية وجدت في قصر بأوغاريت بأنها تقوم بدور لطيف ولين ومعتدل كأم لابن الملك. وتظهر في قصائد أخرى بصفتها سيدة الجنة وسيدة جميع الآلهة. وتبدو

---

(١) Caquot, A., La divinité sobire ougaritique. In Syria, 36 (1959), goff.

(٢) Virol Leaud, Ch., Les villes et corporations du roy au me d'Ugarit. In Syria, 21 (1940), I23ff.

(٣) Driver, G.R., Canaanite Myths and Legends (Old Testament Studies, 3) Edinburgh, 1956, p.28f.

(٤) Ginsberg, H.L., Ugaritic Myths, Epics and Legends', In Ancient Near Eastern Texts relations to the old Testament, ed., James B. Britchard, princeton, 1955, p.142ff.

في «بيسان» وهي ترتدي تاجاً مصرياً مثالياً له ريش طويل[1] وقد اعتبرت بعض النصوص الإلّه «آنو» زوجاً لها في بعض النصوص.

ومن الآلهة ذات الصفات المتداخلة الآلهة قادش (Qadesh)، وقد عثر على صور لها على مسلة مصرية،[2] وعلى دلاية في «رأس شمرا»[3] وتبدو فيها صورتها وهي عريانة وتقف على ظهر أسد. أما خصائصها فهي متداخلة ومندمجة ولها معتقدات متباينة سواء في كنعان أو في الأقطار الأخرى المجاورة، حيث عثر على دلايات عليها صور الملكة في عدة أقاليم مجاورة.

ومن تلك الآلهة أيضاً الإلّه «حورون» (Horon) الذي يعتبر إلّه العالم الأسفل أو الجحيم، وقد وجد اسمه في أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن الكنعانية[4]، وقد امتدت عبادته إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة. وتساوي النصوص المصري بينه وبين «حورس» (Horus). وقد أشارت العديد من نصوص شمر إليه بالآله المغامر.

كما كان الإلّه «ميكال» (Mekal) إلّه محلي وذو صفات محلية، إذ كان اله لمدينة «بيسان»، وهو يشبه الإلّه «رشف»، ويوجد على جبهته قرون الماعز البري، ويعتقد بعض المؤرخين أنه يماثل الإلّه «أورايوس» (Uraneus) الملكي في مصر.

لما كان الإلّه «بعل» يقوم بالدور الرئيسي في تيسير أمور المدينة، وفي توفير الرخاء والخصب ورعاية شئونها المختلفة، فقد تطلب ذلك بعض الصراعات مع الآلهة الأخرى التي تسعى إلى الدمار والحرب، فأصبح الصراع بينه وبين الآلهة الأخرى ظاهرة من ظواهر الدين الكنعاني.

---

(١) Langhe, R.de, Myth, Ritual and Kingshipin the Ras shamra Tablets', In myth, Ritual and Kingship, ed. S.H. Hooke, (Oxford, 1958), p.122ff.

(٢) Driver, G.R., op.cit., p.146ff.

(٣) Schueffer, C.F.A., Les fouilles de minet el-Beid et de Ras shamra, deuxieme campagne (printings 1930)., In Syria, 12(1931), p.1ff.

(٤) Virol Leaud, ch. un nouvel episode du muthe Ugariteque de Baal. In C-R. A.C. Inscr. B.L. (1960), p.180ff.

وإن دراسة مظاهر الصراع بين الآلهة الكنعانية تلقي مزيداً من الأضواء على مظاهر الديانة الكنعانية وأهم مميزاتها.



شكل رقم (١٩)
أشكال لاناث عارية تعود لعصر البرونز الأوسط والأخير
(المتحف الفلسطيني)

العلاقة بين الإله «أل» والإله «بعل»:

من الممكن تحديد إطار عام للعلاقة بين «أل» و«بعل» بصفتها أعظم الألهة الكنعانية من خلال الأساطير القديمة في النصوص الأوغارتية التي تشير إلى صراع بين الألهين، وبخاصة ما جاء في القصة الشهيرة التي تتناول الخلاف بينهما الذي انتهى بانتصار الإله الشاب «بعل» على الإله العجوز «أل»، ومن ثم طرده إلى الجحيم(١).

وقد اتخذت هذه القصة أهميتها بأن أصبحت «كنظرية» في الصراع بين الألهة في الديانات القديمة لمنطقة الشرق الأدنى القديم. ففي العراق القديم انتصر والإله «مردوك» (Marduk) على الإله «أنليل» (Enlil). وعند الحوريين انتصر

(١) Pope, M.R., El In The Ugaritic Texts (V.T. Suppl. 2) Leiden, 1955, p.72 ff.

الـه العاصفـة على «كـوماربي» (Kumarbi)، وكـذلك انتصـر «زيوس» (Zeus) عـلى «كرونوس»[٢] (Kronos) عند الأغريق.

العلاقة بين الإله «بعل والإله «موت» (Mot):

تعتبر العلاقة بين الإله «بعل» والإله «موت» ظاهرة الظواهر الطبيعية في كنعان وقد صيغت بقالب ديني كي يطمئن إلى تفسيرها. ويدور هذا الصراع بين الخصب والجفاف والموت على أساس أن «بعل» يمثل الخصب و«موت» يمثل الجفاف والموت.

وقد جاء في احدى قصائد «رأس شمرا»[١] وصف كامل لهذا الصراع بين الألهة أي بين «الخضرة» و«الجفاف»، وهذا أمراً طبيعي في مجتمع زراعي، حيث أن الخضرة تنتهي موسمياً ثم تعود مما يؤكد استمرارية دور الزراعة والحصاد. وحين انتصار «بعل» على موت ينتشر الخير والرفاه والخضـرة في البلاد، كما كان من مظاهر انتصار «موت» على «بعل» حدوث الجفاف وإصابة المخلوقات بالكوارث.

وانطلاقاً من نفس الفكر الديني ومحاولة لتفسير الظواهر الطبيعية كانت قصة:

العلاقة بين «بعل» والأمير «يام» (Yam):

وتمثل هذه العلاقة محاولة لتفسير قوة البحر والأمواج وغروب الشمس في قطر ساحلي مثل «كنعان». لقد عرف الأمير «يام» بأمير البحر[٢]، و«قاضي النهر»، و«المحاكم لمعبر» أرواح الانسان، ومن صفاته أيضاً أنه يمثل المحيط والأفق الكبير. وعندما ينتهي الصراع بين «بعل» و«يام» لصالح «بعل»، فإنه ذلك يوفر الهدوء في البحر والسكينة للأرواح.

---

(١) Dahood, M. CIT., 65 ff.

(٢) Driver, G.R., op. cit., p.111 ff.

(٣) Albright, W.F. «Zabul Yam and Thapit Nahar in the Combat between Baal and the Sea» In J.P.O.S. 16 (1936), 17 ff.

العلاقات الدينية بين كنعان والأقطار المجاورة:

يتبين من دراسة الوثائق المختلفة أن الديانة الكنعانية ديانة محلية تمثل حياة الكنعانيين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وبحكم موقع كنعان المتوسط بين الحضارات الرئيسية في المنطقة، فإن الديانة الكنعانية قد تأثرت وأثرت بالديانات المجاورة، في مصر الفرعونية، والعراق القديم، وشمال سوريا، والأناضول، وحضارات بحر إيجه المعاصرة، وبخاصة في مرحلة الألف الثاني قبل الميلاد التي تميزت باتساع العملات بين أقطار منطقة الشرق الأدنى القديم.

العلاقات الدينية بين كنعان ومصر:

وتشير الأدلة المختلفة إلى وجود علاقات دينية قوية بين كنعان ومصر، تتميز متبادل بين الجانبين. لقد تأثر الكنعانيون ببعض مظاهر الديانة المصرية وبخاصة ما يتعلق بالزي وبعض صفات الألهة المصرية والمظاهر العامة لها. فقد ظهر الإلّه «أل» (El)، الكنعاني، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في النقوش الكنعانية، وهو يلبس تاجاً مشتقاً من التاج المصري[1] المعروف بـ«اتيف» (Atef)، كما بدأ فوق رأسه «قرص الشمس المجنح» الذي يكثر وجوده في الديانة المصرية. ولم يقتصر هذا التأثير على الإلّه «أل» بصفته من أعظم الألهة الكنعانية، إذ تشير المصادر إلى ظهور العديد من الألهة الكنعانية بالمظاهر المصرية، ومنها الألهة «أناث»، المعروفة بألهة الحرب عند الكنعانيين، وقد كانت تظهر في معظم الأحيان وعلى رأسها تاج ذو طراز مصري.

ومن ناحية أخرى فقد شاعت بعض الألهة الكنعانية في مصر، كما ساوى المصريون في بعض الأحيان بين بعض آلهتهم والألهة الكنعانية، وأقاموا بعض الشعائر الدينية الكنعانية. فقد عرفت الألهة «أناث» والألهة «عشتار» كآلهتين للحرب في مصر، وكان لهما أهمية خاصة بالنسبة للخيل والعربات الحربية، ومنذ عهد الملك المصري «تحتمس الرابع»، في أواخر القرن الخامس

---

(١) Schaeffer, C.F.A., The Cuneiform Texts of Ras Shamra-Ugarit, (Schweich Lectures for 1936). Oxford, 1939 Pope, M.R., op. cit.

عشر قبل الميلاد، كان الفرعون يوصف بأنه قوي في العجلات مثل «عشتار»، إذ جاء في أحد النصوص المعاصرة له:

«... مونتو وست معه في كل معركة، وعنات وعشتار روت درع له...» وقد عرفت «عشتاروت» في عهد الأسرة المصرية الثامنة عشرة بأنها «ربة الشفاء»، وذلك تحت اسم «اشتار سوريا». وقد حملت كل من الألهة «عنات»، و«اشتارت» و«قدس» لقباً مصرياً هو «سيدة السماء»، وبالاضافة إلى ذلك فقد كان للإله «بعل»، وللالهة «عشتارت» كهانتهما وأماكن عبادتهما بمصر.

كما تبين المخلفات المصرية التي عثر عليها في أرض كنعان على أن المصريين قد تأثروا إلى حد كبير بالديانة الكنعانية وبخاصة في عهد الأمبراطورية المصرية عندما كانت كنعان جزءاً من الامبراطورية المصرية، فقد عثر على العديد من الأدلة التي تؤكد ذلك ومنها: العثور في بيسان على لوحة مصرية تبين المهندس المصري «آمون أم أوتب» وابنه يتعبدان للاله «ميكال» الإله المحلي لمدينة بيسان، وذلك بصلاة جنائزية على الطريقة المصرية. كما عثر في بيسان أيضاً على لوحة من عهد «رمسيس الثالث» تعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، يظهر فيها مصري يتعبد للألهة «أناث» (عنات) المعروفة بـ«ربة السماء». وقد وجدت لوحة مهشمة قرب موقع «الشيخ سعاد» شرق بحر الجليل في شمال فلسطين، رسم عليها الملك المصري رمسيس الثاني وهو يقدم قرباناً لمعبود فوق رأسه زي رأس فضفاض على الطريقة الكنعانية، ويرجح أنه اسمه «آدون زفون» أي «سيد الشمال».

وإن وجود «مقدس» في مدينة «عسقلان» الكنعانية للإله المصري «بتاح» مما يؤكد الصلات القوية والتأثير القوي المباشر في العلاقات الدينية بين «كنعان» و«مصر».

العلاقات الدينية بين كنعان والعراق القديم والأناضول:

يتبين من المصادر المختلفة أن الديانة الكنعانية قد تأثرت ببعض مفاهيم

ومظاهر الديانة العراقية القديمة، فقد عثر في «أوجاريت» على لوحة «بابلية»[1] تتعلق «بالسحر»، و«الطب»، وبعض التعاويذ البابلية الطابع، والتي تستخدم لتفادي الأمراض وطرد الأرواح الشريرة. كما تشير تلك المصادر إلى تأثر بعض الألهة الكنعانية بزي الألهة العراقية[2]، وبخاصة غطاء الرأس الذي يماثل تماماً تاج الألهة في العراق. كما ظهر بعض الألهة الكنعانية وعلى رؤوسهم تيجان يبدو فيها التأثير الأناضولي الذي يتميز بالخوزة المروسة ووجود خنجر على الوسط، وكذلك الأحذية المقلوبة على الطريقة الحثية.

وعلى الرغم من أن الألهة البابلية والحورية قد لعبت دوراً هاماً في الحياة اليومية في اوجاريت والألاخ، إلا أنه لم يرد ذكرها في أساطير «رأس شمرا».

ويمكن تحديد الاطار العام والمظاهر الرئيسية للديانة الكنعانية على أنها ديانة محلية تتمشى مع تطورهم الحضاري وظروفهم الاجتماعية، فقد غلب عليها عبادة الظواهر الطبيعية، «الخصوبة»، و«الجفاف»، و«الحياة»، و«الموت»، و«الخير»، و«الشر»، وقد سعى الكنعانيون إلى كسب رضاها والشعور بالاطمئنان نحوها بعد أن جسموها بصورة الألهة. وكان الإله «بعل» أشهر الألهة الكنعانية، وهو يعمل على توفير الأمن الوقائي، وما يتصل بحماية الأفراد ووقايتهم من الأمراض والشرور المختلفة، وكذلك حماية المجتمع من التهديدات التي يمكن أن يتعرض لها، وهذا بالاضافة إلى توفير الحماية من الكوارث الطبيعية التي يمكن أن يتعرض لها، كالطوفانات والزوابع والعواصف والبرق والمطر أما تعبيره عن العالم الآخر وما يتصل بحياة الانسان بعد الموت الدنيوي فقد كان في بناء العمارة والنحت والنقش في الجانب المادي، أما في الجانب المعنوي فكان بما يتضمنه من أساطير وملاحم وتراتيل.

ولم تبين المصادر أن الكنعانيين قد آمنوا بالبعث بصورة متكاملة بل ربما اعتقدوا «بالخلود» أو «البعث الجزئي» بالنسبة للألهة، ولكن دون تعمق في

(١) Nougayrol, J., Nouveaux Tests d'Ugarit en Cuneiformes, Babyloniens, In Ann. de Syria, 14 (1964), 39 ff.

(٢) Gray, J., The Canaanites (Ancient People and Places, 38) London, 1964.

تفاصيل الخلود والأبدية، وكانوا يعتقدون في أن العالم السفلي عالم غامض تعيش فيه قوى خفية. وهذا النوع من الاعتقاد يشبه إلى حد كبير الاعتقاد السومري بالنسبة لموضوع العالم الآخر، في حين اعتقد المصريون بالبعث الكامل وبخاصة بالنسبة للملوك والآلهة. وقد عثر على بعض القبور في أوجاريت تشير إلى نوع من الاعتقاد بالحياة بعد الموت حيث وجدت مقبرة جماعية للأسرة الواحدة في جميع البيوت تحت أرضية المنازل لدفن أفراد الأسرة(١).

وعلى الرغم من أن معظم القبور كانت مؤثثة وتحت عناية ورعاية الأسرة، وتزود بالمؤنة، والماء بواسطة أنابيب من الفخار، أو بواسطة نوافذ خاصة، إلا أن النصوص تشير إلى أن الألهة «أناث» كانت تعتبر الموت مصير كل الانسانية، وأنه لا مفر من القبر(١). وذلك كبقية العقائد السامية الأخرى، ويرجح أن ذلك يعود إلى عدم الاستقرار البيئي الذي يؤثر بالتالي على الاعتقاد في عدم تكامل دورة الحياة والموت لدى تلك المجتمعات.

الأداب الكنعانية:

إن المصادر المتوفرة عن ثقافة وآداب الكنعانيين قليلة، ومتباينة القيمة، إذا لم تمدنا الحفريات التي جرت في كنعان إلاّ بالقليل من هذه المصادر، ولذلك لا بد من الاعتماد في أغلب الأحيان على ما جاء في وثائق «رأس شمرا» من «نصوص» و «أشعار» للتعرف على ثقافة وآداب الكنعانيين.

إن الآداب الكنعانية تمتاز بطابعها المحلي، وبموضوعاتها الدينية، واتساع مجالها إلى جانب تأثرها بثقافة الأقطار المجاورة، في شمال سيناء وساحل البحر المتوسط حتى ضفاف الفرات وتعتبر القصص والأشعار والملاحم الكنعانية أهم مظاهر الثقافة والآداب الكنعانية، كما يمكن إعتبار الأشعار والقصائد الخاصة

---

(١) Schaeffer, C.F.A., Ugaritica (Mission de Ras shamra, III, V, VIII, IX), 4vols, Paris, 1939-61& p.77 ff.

(٣) Driver, G.R., op. cit., 20ff.

بآلهة الغناء التي تتمثل ب «تراتيل» خاصة بليلة الزفاف من أبرز مميزات الأدب الكنعاني المحلي[١].

وقد اتسمت الأساطير الكنعانية بطابع التخيلات التي تعكس الحب العميق للآلهة. وكانت ظاهرة التناسق في الأدب والفن الكنعاني من الظواهر الهامة، فقد ظهرت في القصائد في صورة الثنائي الألهي مثل: «شروق» و «غروب» الشمس، أو «نجم الصباح» و «نجم المساء»، وكذلك «الضباب» و «الندى»[٢]. وقد وجد هذا التناسق بين الأسماء كما وجد في صورة أسماء مركبة للآلهة. فقد ورد في الأشعار ليدل على «إله واحد»، بينما يدل أحياناً على إلهين اثنين. ومن تلك الأمثلة: «جوبان» و«أوجار، اللذان يرمزان إلى كروم «العنب» و «الحقول» وكذلك «أمور» و «قادس»، وربما كانا أسمين مركبين لآلهين منفصلين هما: «قادس،»، و «أمور»، أو ربما قصد بتركيب الأسمين التوفيق بين المعتقدات[٣].

امتازت لغة الأدب الكنعاني القديمة باحتوائها على عناصر بلاغية منها المجاز والتشبيه، كما اهتمت بالوصف الشعري[٤]، وتميزت كذلك باستخدام الجمل القصيرة[٥] في معظم القصائد الملحمية، وبالاضافة إلى ذلك فقد تميزت العبارات الأدبية الكنعانية بالتكرار وترادف الجمل بهدف توكيد المعنى وإبرازه بصورة واضحة، ومن تلك الأمثلة ما يلي:

«.. «بعل» فتح الشباك في القصر
شبكة الشباك في وسط القمر
فتح ضوءاً للسماء في السقف..»

---

(١) Gaster, T.H., 'The «Graces» in Semitic Folklore: A Wedding Song from Ras Shamra.' In J.R.A.S. 65 (1938), 37ff.

(٢) Driver, G.R. O P. cit, P. 154, ff.

(٣) Driver, G.R. Ibid., p. 136ff.

(٤) Gordon, C.H., Ugaritic Handbook (An. Or. 25) Rome, 1947, P. 102ff.

(٥) Kapelrud, A.S. Baal in the Ras Shamra Texts. Copenhagen, 1952, P: 80ff.

ومنها قصيدة تصف إنتصار «بعل»:

«.. استـولى عـلى ست وستـين مـدينـة
سـبـع وسـبـعـين بـلدة
أصبـح سيداً عـلى ثمـانيـة وثمـانـين
سـيـداً لـتـسـعـة وتـسـعـين....»(٤)

ومنها أيضاً وصف لجيش الملك «كيريت» (Keret) الذي شبـه لكثرة عدده بالمطر.

«..يـذهـبـون بـالآلاف مـثـل المـطر
بعشـرات الآلاف مثل نقـاط المـطر..»

وقد احتلت الأساطير الكنعانية مكانة ممتازة في الأدب الكنعاني، وتعتبر أسطورة «آخات» (Aqhat) من خير الأمثلة للأساطير الكنعانية، و «آخات» ابن الملك «دانيل» (Danel) وتدور قصتها حول موضوع الخضرة وجفافها(١). وقد جاء فيها:

«..اسمعي يا «بوخت» (Pughat) (ابنة دانيل) التي تحمل الماء على كتفها، التي ترش الندى على الشعير..

طريق النجوم، شدوا سرج الحمار
شدوا الحمار إلى النير، صنعوا الحلى والزخارف الفضية
سرجي المغطى بالذهب
حالاً، لقد سرجت هي الحمار
حالاً، شدت نير الحمار، حالاً
لقد رفعت والدها ووضعته على ظهر الحمار
على وسط ظهر الحمار

---

(١) Driver, G.R. op. Cit., p. 101ff.

(٢) Gray, I., The Legacy of Canaan. The Ras Shamra texts and their Relevance to the Old Testament. Ed.2 (V.I. Suppl.5). Leiden, 1965, p.89FF.

وصل «دانيل» (Danel) وذهب حول أرضه الجافة
ربما اكتشفت ذرة خضراء في الأرض الجافة، ربما اكتشف
ثم يقبل: أرجو أن ينبت الذرة الخضراء في الجفاف
لفحة من السخونة، أرجو من يد آخات» (Aghat) البطل
أجمع هؤلاء أجمعهم وضعهم في مخزن الغلال[1].

وجد جسم «آخات» وسط الحزن العميق، وأقيمت عليه الحداد لمدة سبع سنوات، وقد تقلدت «بوخات» (Pughat) السلاح وقررت أن تأخذ بثأر أخيها. وللأسف، فإن نهاية القصة قد فقدت من النص، وربما انتهت هذه الملحمة في «البعث» من الموت وعودة «البطل»، وتمتع الأرض بالخضرة والحياة من جديد.

كما يمكن تفسير هذه الأسطورة «آخات» على أنها صراع بين «الخضرة» و «الجفاف» وهذا الصراع من أهم مظاهر الديانة الكنعانية.

ومن الأساطير الكنعانية المشهورة في الأدب الكنعاني قصة الملك «كيريت» (Keret) التي تتسم بالشجاعة والبطولة، ويوصف كيريت وكأنه «نصف إله».

ويمكن تلخيص هذه القصة على النحو التالي:

«.. يبدو الملك في إفتتاحية القصة وهو ينتحب، ويندب خسارته لزوجته، وموت أبنائه، ودمار قصره. وقد ظهر له الآله «ال» في الرؤ يا ووعده بالانتصار. وتقبلاً لأوامر الله قام «كيريت» بتقديم الضحايا، ثم جهز جيشاً كبيراً ونشره في الضواحي. وفي اليوم الثالث من التجوال بين الجنود وفي الضواحي ذهب إلى مزار كبير، حيث قابل هناك إلهة صور، وإلهة صيدا اللتين وعدتاه بالانتصار. وفي اليوم التالي لذلك، وصل إلى «آدوم» (Udom)، حيث أصر الملك «بابيل»[2] على تزويجه من ابنته «حورية»

(١) Driver, G.R., OP. Cit., 101ff.

(٢) Driver, G.R., Ibid., P. 101ff.

(Huriya)، وذلك تلبية لوعد من الآله «ال» بأن حورية ستنجب له أبناء. وقد قبل «كيريت» هذا الزواج، ورزق برعاية الله وبركته بسبعة أبناء وثماني بنات. وفي نهاية القصة وقع «كيريت» مريضاً. وقد اجتمعت حاشيته، كما صلى نبلاء «خوبور» (Khuburs) من أجل شفائه، وعندما تساقط الخبز والخمر والزيت تلبية لدعاء الملك وبركاته.

. . ظن أحد أولاد الملك «ياسيب» (Yassib) أن المرض قد نال من «كيريت»، فحاول الاستيلاء على العرش، ولكن تدخل الإله «ال» في الموقف قد أحبط محاولة «ياسيب»، وقد هدد الإله «ال» المتآمرين بعدم التمرد وإلاّ تعرضوا لإنتقام الآلهة.

ويمكن تفسير هذه الأسطورة على انها قصة إجتماعية تتعلق بالأسرة الملكية والخلافة والصراع على العرش[1].



شكل رقم(٢٠)

كتابة دينية بحروف أبجدية هيروغليفية . . بمعنى «من أجل بعلة».

(١) Gray. J.. Ibid. . P.143ff.

إن هذا التراث الكنعاني الذي كشفت عنه وثائق «رأس شمرا»، من قصص وأشعار وأساطير دينية، وما تتميز به الأساطير من معالجات وحوار للظواهر الحضارية، ومما امتازت به اللغة الكنعانية من محسنات بديعية، يشير إلى أن الفكر والآداب الكنعانية قد حققت مستوى عالياً من الثقافة. ومن الأمور التي تلفت إنتباه الباحث في هذا المجال، إن معظم المصطلحات الدينية الخاصة بالطقوس والشعائر الدينية التي وردت في التوراة (العهد القديم) قد سبق ذكرها في وثائق «رأس شمرا»[١]. كما أن اليهود قد أخذوا العديد من الطقوس والشعائر الدينية الكنعانية، واقتبسوا الكثير من عاداتهم، ومنها إقامة بعض الاحتفالات الموسمية القديمة، وبعض الطقوس الدينية، وخدمة القداس والتعليمات والارشادات الخاصة بالمراحل التي تقام فيها، سواء بصورة تقليدية أو بمصاحبة الموسيقى[٢]، ومنها احتفال الخريف الذي يعرف ب «هاج هاسيب» (hag-hāāsip)، وعيد الأسابيع[٣].

ويبدو أن التوراة (العهد القديم) قد اقتبست العديد من مجالات ومظاهر الثقافة الكنعانية ثم ادعى اليهود بعد ذلك ملكيتها. إن الباحث في الأدب العبري (العهد القديم)، يجد مجموعة من العبارات تتكرر تماماً كما هو الحال في الأدب الكنعاني[٤]، وفي قصائد «الحوريين»، وأشعار الهومريين[٥]. وإلى جانب ذلك فإنه يوجد تشابه كامل بين العديد من العبارات التي وردت في النصوص الأغارتية وبين ما سجلته بعض القصائد في الأشعار الخمسة في العهد القديم، ومنها أغاني «دبورا»، وبعض «الترانيم»، مما دعا بعض المؤرخين إلى اعتبار هذه الأغاني تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد[٦].

---

(١) Gaster, T.H., 'A Canaanite Ritual Drama.' In J.A.O.S. 66 (1946), 49ff.

(٢) Gaster, T.H., Thespis: Myth, Ritual and Brama In the Ancient Near East, New York, 1950, P. 239ff.

(٣) Albright, W.F., Archaedayy and the Religion of Israel, Ed. 3, Baltimore, 1953, P. 15ff.

(٤) Gordon, C.H., Homer and Bible, The Origin and cha-(2 racter of East mediteranean Literature. H.U.C.A., 26(1955)., p.102ff.

(٥) Albright, W.F., The Song of Debarah in the Light of Archaedogy, In Bull. A.S.O.R., 62 (1936), 26ff.

وبالاضافة إلى كل ذلك فإن شواهدعديدة تشير إلى أن هيكل «سليمان» الذي بناه عمال فينيقيون من صور في الألف الأول قبل الميلاد، قد اتبع في بنائه نفس التنظيم الكنعاني التقليدي في بناء الهياكل الكنعانية، فقد أقام الكنعانيون هياكلهم ومعابدهم فوق التلال والأماكن المرتفعة بحيث تشرق أبراج الهيكل على المدينة، كما جعلوا له فناء واسع لتقديم القرابين والذبائح أمام جموع المتعبدين، ويمكن إعتبار هيكل الإله «بعل» بفينيقية مثالاً واضحاً ومتكاملاً للهياكل الكنعانية الفنيقية. وفي ضوء تنظيم وبناء الهياكل الكنعانية الفينيقية، وما ذكر من معلومات في المراجع والنصوص الأوغارتية[1] عن فناء المعبد المقدس، وما به من مائدة الذهب، وقدس الأقداس، يمكن للباحث أن يرجح بأن هيكل «سليمان» يعتبر تقليداً كاملاً للهياكل الكنعانية[2].

إن التأثير الثقافي الكنعاني قد امتد إلى عدة أقطار مجاورة، بحيث بدا واضحاً في شمال سيناء، وعلى طول ساحل البحر المتوسط حتى نهر الفرات. ويعتقد أن ملاحم «هوميروس» (Homer) قد تأثرت بالثقافة الكنعانية، وأخذت منها الوحي والالهام، وإن هناك على الأقل جزء من قصيدة البطولة المسينية يرجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد[3]، في مرحلة تميزت باتساع العلاقات بين بلدان منطقة الشرق الأدنى القديم بعامة نتيجة لاتساع التبادل التجاري والثقافي والأدبي بين أقطاره المختلفة. لقد أشارت بعض قصائد أوغاريت إلى أن التجار المسينيين كانوا يستمعون إلى القصائد والأغاني والموسيقى والأناشيد الدينية الخاصة بالآلهة «أناث»، والإله «بعل»، و «عشتروت»، وذلك عند إجتماعهم في القاعة الملكية في أوغاريت، مما يؤكد قوة الصلة بين الطرفين، ويؤكد بالتالي مدى التأثير الثقافي الكنعاني والفينيقي في هذه المرحلة.

---

(١) Jack, J.W., The Ras Shamra Tablets and Their Bearing Upon The Old Testament (O.T.Studies I). Edinburgh, 1935.

(٢) Barrois, A.G., Manual d'archaeologie biblique. 2 Vols. Paris, 1939, 1953, 436ff.

(٣) Bower, C.M., Homer and his forerunners, Edinburgh, 1955, p.19ff.



الفصل السادس
فلسطين في العصور البرونزية

يتبين من دراسة المصادر المختلفة لهذه المرحلة أن فلسطين قد شهدت العديد من الأحداث الهامة في تاريخها على الصعيدين الداخلي والخارجي. فعلى الصعيد الداخلي شهدت تطوراً سياسياً وحضارياً ملحوظاً. أما على الصعيد الخارجي فقد اتسعت علاقاتها الخارجية مع الأقطار المجاورة وتعرضت لضغوط سياسية مختلفة وبخاصة في نهاية هذه المرحلة حيث واجهت الغزو الخارجي والتحركات البشرية التي تركت أثاراً عديدة في تاريخها.

مرحلة عصر البرونز الأوسط

ويمكن تقسيم هذه المرحلة زمنياً ألى فترتين متميزتين على النحو التالي:

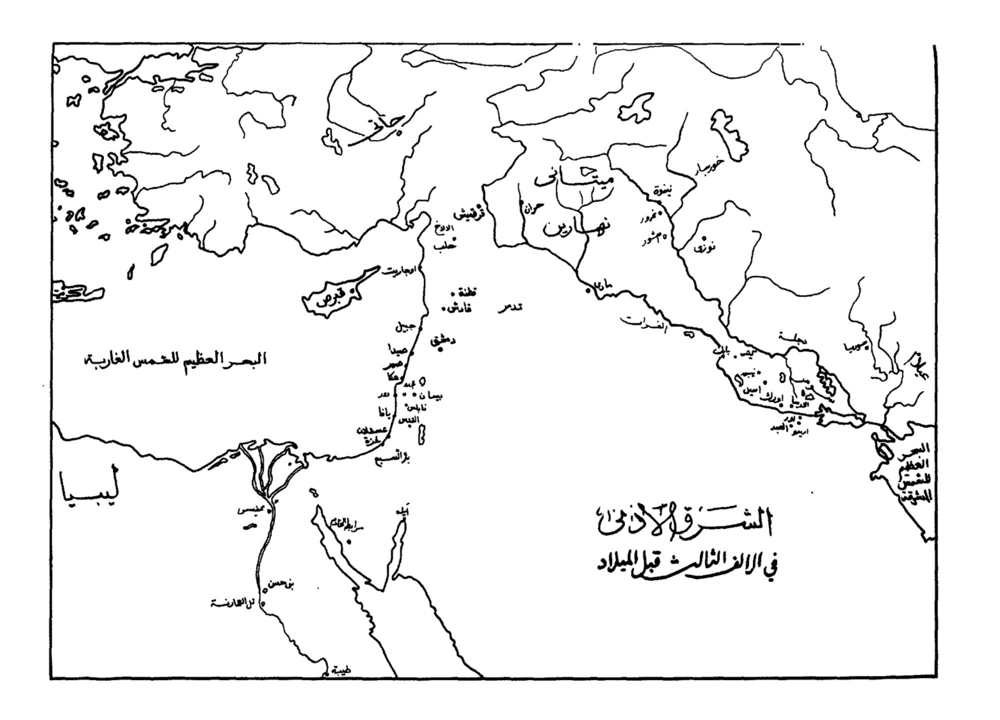
عصر البرونز الأوسط الأول في فلسطين (٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م.):

تقدم المصادر الخاصة بهذه المرحلة من آثار ونصوص مما عثر عليه

---

(١) لقد أطلق (J.H. Iliffe) مصطلح (Intermediate Early Bronze-Middle Bronze) على هذه الفترة الزمنية عند ترتيبه لموجودات المتحف الفلسطيني. أما أولبريت (Albright) فقد أطلق عليها عصر البرونز الأوسط. الأول (٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م)، وقد تحفظت كينيون (Kenyon) على المصطلحين، الأول لعدم توفر مخلفات تتبع عصر البرونز المبكر (Early Bronze) في هذه الفترة والثاني من خلال ما عثر عليه من مخلفات في ست عشرة طبقة معاصرة في أريحا لم يظهر منها إلا علاقة محدودة بعصر البرونز الأوسط (Middle Bronze)، واقترحت أن تحدد هذه الفترة زمنياً (٢٣٠٠-١٩٠٠ ق.م.)

ولما كان المصطلح (Intermediate Early Bronze-Middle Bronze) يغطي المرحلة التي اصطلح عليها بتري (Sir Flinders Petrie) بعصر النحاس (Copper Age)، ولما لم توجد فواصل حاسمة بين الطبقات المعاصرة لهذه المرحلة فإنه من الصعب تحديد بداية ونهاية هذه المرحلة تحديداً دقيقاً ويستحسن أن يحدد بحوالي (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م.).


الشرق الأدنى
في الألف الثالث قبل الميلاد
البحر العظيم للشمس الغاربة
البحر العظيم للشمس المشرقة
ليبيا
قبرص
ميتاني
نهارين
حران
قرقميش
حلب
أوجاريت
قطنة
قادش
تدمر
جبيل
دمشق
صيدا
صور
عكا
يافا
عسقلان
غزة
بئر السبع
ماري
الفرات
دجلة
نينوى
نمرود
آشور
نوزي
خورسباد
بابل
منفيس
بني حسن
تل العمارنة
طيبة

في أرض فلسطين وفي خارجها ومنها «قصة سنوحي[1]»، و«نصوص اللعنات المصرية[2]»، و«خطابات تل ماري[3]»، تقدم معلومات هامة عن طبيعة وظروف الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كنعان في هذه المرحلة. فمن الناحية الاقتصادية والاجتماعية يتبين من تلك المصادر أن سكان فلسطين في هذه المرحلة كانوا يعيشون حياة مستقرة، وإن الزراعة تحتل مكانة هامة في حياتهم الاقتصادية فقد جاء في قصة سنوحي:

أن المنطقة التي عاش بها «رتنو العليا» (فلسطين وسوريا) تنتج الشعير، وبها الكثير من الكروم، وأشجار الزيتون، وأنواع مختلفة من البساتين وأشجار التين. كما أشار إلى وجود كميات وافرة من العسل والنبيذ. ومن بين المأكولات التي ذكرها لحوم الصيد، والدواجن ومنتجات الألبان.

إن هذا الوصف للحياة في كنعان في تلك المرحلة يشير إلى أن السكان كانوا يعيشون حياة مستقرة كما أنهم كانوا يزرعون أنواعاً مختلفة من الفواكه، كما اعتنوا بتربية الماشية والدواجن، وبالاضافة إلى ذلك فقد صنعوا بعض المنتجات الزراعية والحيوانية. ويعتبر فخار هذه المرحلة الذي عثر على كميات منه في مواقع متعددة من كنعان من المخلفات الأثرية الهامة لأنه تميز بالصناعة المتطورة وأسهم في توضيح العديد من المظاهر

---

(١) قصة سنوحي: وقد سجلها أحد كبار موظفي الدولة المصريين الذي هرب من مصر لأسباب سياسية والتجأ إلى منطقة «رتنو» (Rtnu) في جنوب سوريا التي يرى المؤرخين أنها تضم فلسطين وسوريا، وتمتد هذه القصة من موت الفرعون امنمحات الأول وتستمر في عهد الملك سنوسرت الأول وتؤرخ بحوالي ١٩٦٠ ق.م.

(٢) نصوص اللعنات المصرية: عبارة عن أواني وتماثيل صغيرة كتبَ بالهيراطية بأسماء بعض العصاه والثوار في مصر والبلاد المجاورة، يفترض فيهم أنهم من أتباع فرعون. وقد جرت العادة حين يهدد فرعون عصيان من نوع ما أن يحطم الأدوات التي تحمل الأسماء فتنهار قوى المعادين. وقد نشر (K.Sethe) مجموعة من هذه النصوص في برلين ١٩٢٦، وهي ترجع إلى القرن العشرين ق.م. ونشر (G. posener) مجموعة منها في بروكسل سنة ١٩٤٠، وهي ترجع إلى القرن التاسع عشر ق.م.

الحضارية لهذه المرحلة. فقد كشفت الحفريات التي جرت في تل بيت مرسيم ما بين (١٩٢٨-١٩٣٢). وفي مجدو ما بين (١٩٣٥-١٩٣٧) عن العديد من الأواني الفخارية المتماثلة وبخاصة الطراز المعرف بـ«٢-١١» في هذين الموقعين اللذين يَقع أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب أن دراسة المميزات العامة لصناعة هذا الفخار، إلى جانب ما عثر عليه من أوان فخارية في مؤاب وغيرها من المواقع المجاورة المعاصرة لهذه المرحلة قد أسهم في تقديم صورة أكثر وضوحاً عن مظاهـر ومميزات هـذه المرحلة الحضارية في كنعان وبخاصة عند مقارنة هذه الصناعات بالمخلفات ذات الصلة في الأقطار المجاورة.

أما بالنسبة للوضع السياسي لكنعان، فتبين من قصة سنوحي، ومن نصوص اللعنات أن كنعان بقيت مقسمة سياسياً إلى وحدات سياسية عديدة بل وربما ازداد عدد هذه الوحدات السياسية «حكومات المدن» فقد عددت «نصوص اللعنات» التي وجدت على «الأواني الحمراء» في برلين والتي ترجع إلى عهد «سنوسرت الثالث»، عشرين إقليماً مختلفاً. بينما تعـدد «نصوص اللعنات» التي وجدت على التماثيل الصغيرة في سقارة، والتي تعتبر من عصر متأخر نسبياً أكثر من ستين أميراً وإقليماً. ومن غير الممكن أن تضم هذه الأرقام جميع الوحدات السياسيـة أو الاقليمية التي كـانت موجودة بل أنه غالباً ما يشار في تلك النصوص إلى أسماء «مدن» لها ظروف سياسية خاصة، وغالباً تكون معادية للسلطة المصرية في تلك الفترة مثل «عسقلان»، «أخشاف»، «حاظور»، «بيبلوس»، «أولاذا»، و«أورشليم»[1] أما الرقعة الجغرافية التي تغطيها هذه المدن فتمتد حتى وادي «اليوثيروس» في فينيقيا في الشمال، وتمتد في الداخل حتى جلعاد» وإقليم دمشق.

وقد كان لكل مدينة «أمير» يعتبر الرئيس الأعلى لها، كما كان لكل حكومة جيش وسلطة مستقلة. أما عن العلاقات بين هذه «الحكومات» فتشير قصة سنوحي إلى وجود أنواع من الصراعات المحدودة أحياناً بين بعضها

---

(١) لقد ورد ذكرها في هذه النصوص للمرة الأولى.

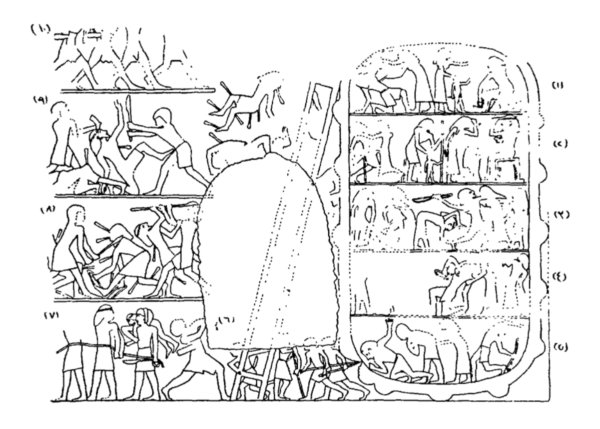
البعض بهدف التنافس على المراعي، والأماكن التي يتوفر فيها الماء، وأحياناً أخرى محاولة الاستيلاء على القطعان والعبيد وبعض المواد التموينية، إلا أنه لم يرد ذكر لتدمير واسع أو القضاء على المحاصيل.

وتبين من بعض القوائم التي وجدت على نصوص اللعنات ما يشير إلى وجود أكثر من حاكم لمدينة واحدة، أما النصوص التي تتأخر قليلاً من الناحية الزمنية وبخاصة التي وجدت على تماثيل من سقارة فإنها لا تذكر سوى اسم حاكم واحد للمدينة الواحدة أو للأقاليم الواحدة، مما يشير إلى تطور واضح في التنظيم السياسي لهذه المدن، ويرجح أن هذه المدن كانت تتجه نحو التحالف أو الاتحاد في بعض الأحيان وبخاصة عندما كانت تتعرض للخطر أو للغزو الخارجي كما حدث في عهد الفرعون سنوسرت الثالث، فقد أشار هذا الملك في نصوص حملته الأسيوية أنه اقتحم مدينة «شش» (نابلس) التي كانت عاصمة للمنطقة المجاورة وصاحبة القيادة في الإقليم. وقد تكررت نفس الصورة تقريباً عندما تحالفت مجموعة من المدن بقيادة «مجدو» ضد الغزو المصري في عهد تحتمس الثالث.

علاقات كنعان بالأقطار المجاورة في هذه المرحلة

(عصر البرونز الأوسط الأول)

شهدت كنعان العديد من العلاقات الخارجية مع الأقطار المجاورة في هذه المرحلة، إلا أن المصادر المتوفرة يتصل معظمها بالعلاقات الكنعانية المصرية، حيث عاصرت هذه المرحلة فترة حكم الدولة المصرية الوسطى التي كانت ترتبط بعلاقات ودية بشكل عام مع الأقطار الآسيوية ومنها كنعان. ويتبين من الأدلة المختلفة ما يشير إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية بين مصر ومنطقة جنوب آسيا، فقد عثر على أدوات تحمل أسماء فراعين الأسرة الثانية عشرة أو أعضاء أسرهم في بيبلوس، وبيروت وأوجاريت على الشاطيء الفينيقي وفي قطنة بشمال وسط سوريا. ويمكن تفسير هذه الأدوات على أنها هدايا من الفراعنة إلى الأمراء والأصدقاء في هذه المنطقة على أقل تقدير، لأن المصادر التي تشير إلى الحرب نادرة وغير قاطعة.



منظر من مقبرة انتي من دشاشة يعود لأواخر عهد الأسرة الخامسة

يظهر احتلال القوات المصرية لأحد الحصون الكنعانية (نيديا)

يسجل المنظر المراحل المتعددة لاقتحام هذا الحصن الكنعاني.

١ - (أ) مقاتل كنعاني يكسر سهمه معلناً استسلامه.

(ب) امرأة كنعانية تعالج أحد الجرحى الكنعانيين.

٢ - (أ) جندي مصري يسحب أحد القادة الكنعانيين (الذي يبدو جالساً) من ذقنه بإذلال، ويبدو في نفس المنظر امرأة وطفل ورجل مسن يبكون حزناً.

(ب) منظر لاشتباك بين مصري وكنعاني ويظهر تفوق المصري.

٣ و٤ - مناظر لاشتباكات بالأيدي بين مصريين وكنعانيين تظهر التفوق المصري أيضاً.

٥ - يظهر المنظر أحد الجنود الكنعانيين يسترق السمع قرب أحد الجدران بينما نجح الجنود المصريون في فتح فجوة في الجدار بواسطة القضبان.

٦ - بعض الجنود المصريون وقد نجحوا في تثبيت السلالم على الحصن، تمهيداً لاقتحامه.

٧ - أحد الجنود المصريون وأمامه مجموعة من الأسرى الكنعانيين موثقين بالحبال، وعلى كتفه فتاة أسيرة

٨ و٩ و١٠ - التحام بالأيدي بين المصريين المهاجمين والكنعانيين المدافعين يظهر تفوق المصريين.

ومن النصوص النادرة التي تشير إلى ظروف سياسية حربية بين كنعان ومصر، النص المعروف بنص «خورسيبك» «دجا» لأحد القادة المصريين في عهد الفرعون سنوسرت الثالث الذي يصف حملة حربية ضد مدينة «شش» (نابلس) الكنعانية وقد وجد على مسلة في أبيدوس ويعود إلى الفترة ما بين (١٨٨٠-١٨٤٠ق.م.) وموجود الآن في متحف مانشيستر تحت رقم ٣٣٠٦. لقد عثر على تماثيل لموظفين ذوي مكانة هامة في كنعان وسوريا تشير إلى علاقات متينة بين الجانبين، ومنها التمثال الذي عثر عليه في «مجدو». وهو قاعدة تمثال صغير لـ «توت حوتب» (Thut-Hotep) إبن «كاي وست خبيركاي» الكاهن الأكبر لتوت حوتب في «هيرموبولس» وحاكم إقليم الأرنب الذي كان يضم هيرموبوليس كجزء منه، فقد كان موظفاً له قيمته في مصر كما يستدل على ذلك من مقبرته فيما بين (١٩٠٠-١٨٥٠ق.م.). إن العثور على هذا التمثال ربما يشير إلى أن أولئك الأشخاص ذوي أهمية، وأنهم مندوبون ساميون في مناطق هامة إقتصادياً وثقافياً بالنسبة إلى مصر. ومما يرجح هذا الرأي هو العثور على كأس من الفضة من بين محتويات «كنز الطوب» في مصر يرجع إلى عهد الملك امنمحات الثاني، والكأس من أصل آسيوي يشير إلى «رسول»، وهذا يشير إلى نشاط «دبلوماسي» كشفت عنه سجلات «ماري» و«العمارنة». كما تشير قصة سنوحي إلى أنه كان من مصلحة الأمراء السوريين أن يحافظوا على روابط الود بفرعون عن طريق التراسل وتبادل الهدايا القيمة. ويمكن للباحث أن يلتقي بهذه المراسلات كثيراً في سجلات ماري والعمارنة.

ويتبين من «نصوص اللعنات» أن ديوان فرعون كان لديه معلومات واسعة عن المناطق الآسيوية وبخاصة كنعان، فقد كان فرعون يتابع كل تغيير بين الأمراء الآسيويين مسجلاً إياه في سجلات خاصة. ويكشف هذا التسجيل عن تحرك منتظم وصلات مباشرة بين مصر وكنعان وسوريا ترك آثاراً كبيرة في المجالات المختلفة للعلاقات بين الجانبين المصري والكنعاني، ويبدو ذلك واضحاً فيما أشار إليه «سنوحي» في قصته عن وجود «حاشية مصرية» في بلاد أمير سوري. وتؤكد بعض المصادر على وجود جاليات مصرية مقيمة في كنعان منذ عهد الدولة الوسطى، فقد عثر في مدينة جيزر الكنعانية على قبور، وبيت لمواطنين مصريين تعود إلى عهد الدولة الوسطى.

كما تشير بعض المصادر إلى وجود علاقات اقتصادية بين مصر وكنعان، فقد استوردت مصر العديد من المنتجات الكنعانية في عهد الدولة الوسطى، ومنها الأغنام. إذ تبين من نص وصورة مقبرة مير (Meir) المصرية التي ترجع إلى عهد امنمحات الثاني، إن المصريين حصلوا على ماشية حية من آسيا، فقد ظهر في النقش قطيع من الماشية وسجل بجواره النص التالي:

«ثيران للآسيويين جيء بها من (أوك)...»

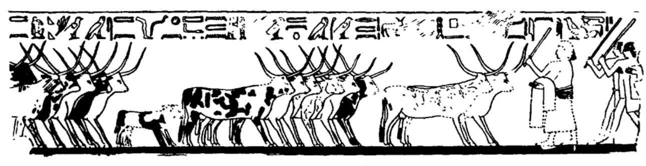
كما وجد آخر في مقبرة «توت حوتب» في «دير البرشة» (Der el-Bershah) في عهد الملك «سنوسرت الثالث» فوق صورة لقطيع من الغنم يقرأ على النحو التالي:

«ماشية من رتنو...»

«...لقد تجولت عبر الرمال والآن تسير على العشب».

ومما هو جدير بالذكر أن «توت حوتب» كان قد استقر في «مجدو» بكنعان، وعثر له على ختم كتب عليه:

«...محاسب الماشية...».



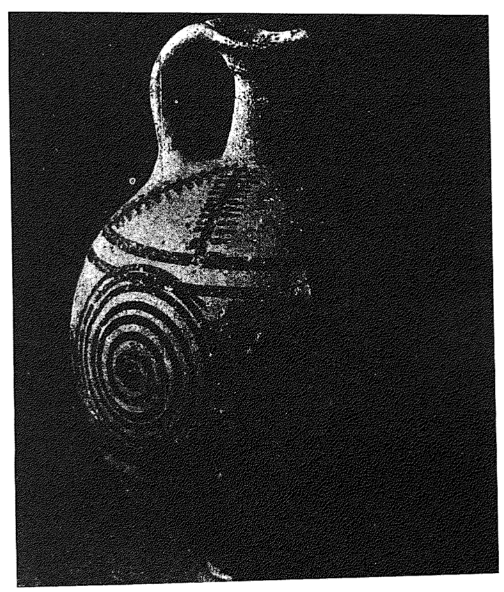
شكل رقم (٢٢)

منظر من دير البرشة في مصر من عهد الملك سنوسرت الثالث يبين ثيران جلبت من المناطق الآسيوية.

وذلك يؤكد أن المصريين كانوا يستوردون الماشية من كنعان. ومن النصوص المماثلة في هذا المجال، والتي تشير إلى علاقات تجارية بين الجانبين

المصري والكنعاني، منظر من مقبرة أحد نبلاء الدولة الوسطى يصف وصول ما وصف بأحد الآسيويين الذي يلبس زياً فضفاضاً، وقد قدم لتجارة الكحل وأدوات التزجيج، التي تستخدم لتزجيج العيون التي يحبها المصريون. أما المصريان اللذان يقدمان الزوار في الصور وهما:

«. . .كاتب الوثائق الملكي نفرحت، ورئيس الصيادينخيتي. . .». وقد كتب فوق إسم شيخ الجماعة الآسيوية «حاكم البلاد الأجنبية» «أبشا». وجاء في النص المكتوب للمنظر:



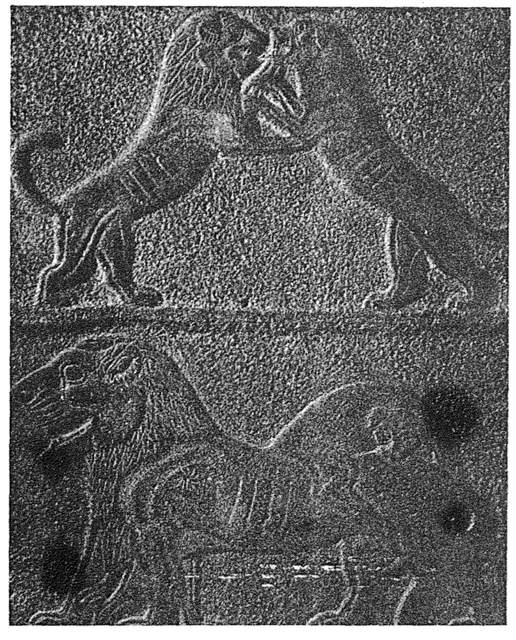
شكل رقم (٢٣)

آنية فخارية كنعانية تعود إلى ١٨٠٠ق.م.

«... الوصول حاملين الكحل الذي أحضره سبعة وثلاثون من الآسيويين...».

ويبدو أن المناسبة كانت من الأهمية بحيث كتبت صيغة نصها:

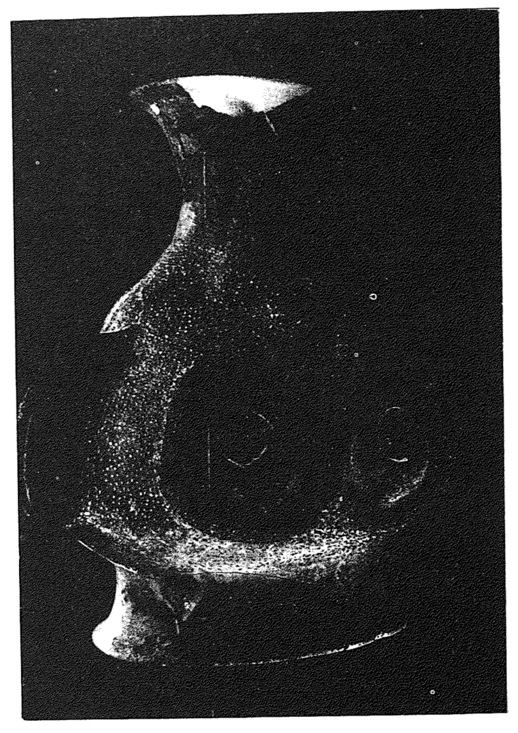
«... العام السادس تحت جلالة الحوريس «قائد ارضين» وملك مصر العليا والسفلى»، «خع خيبر رع» ...»ومهما كانت المناسبة فإن هذا التسجيل يؤكد الصلات الحسنة الودية بين الجانبين المصري والكنعاني.



شكل رقم (٢٤)

نقش من البازلت من «بيسان» يعود إلى حوالي ١٥٠٠ق.م. يبين شجاراً بين أسد وكلب.

ويتبين من المخلفات الأثـرية المصـرية التي عـثر عليها في فلسـطين وفينيقية، وبعض أجزاء من سوريا المجاورة، ومما جاء في نصوص اللعنات



شكل رقم (٢٥)

مزهرية من الفخار على شكل رأس رجل من صنع كنعاني وتعود إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م.

المصرية وماوجد من أنماط مشتركة في الصناعة بين الجانبين تأكد وجود روابط وثيقة بين فلسطين ومصر، ودل على وجود تأثير متبادل بين الجانبين، فقد ذكرت «نصوص اللعنات» العديد من أسماء أمراء حكومات المدن الكنعانية مما يشير إلى دراية كاملة من ملوك مصر بشئون كنعان.

أما ما عثر عليه من تماثيل مصرية في عهد الدولة الوسطى في العديد من المدن الكنعانية ومنها «مجدو»، و«تل العجول»، «وجازر»، و«ببيلوس»، و«قطنة»، و«أوجاريت»، بعضها يحمل نقوشاً، بالاضافة إلى ما عثر عليه في كنعان من العديد من القطع الصغيرة والأدوات التي تعتبر أكثر من الناحية العدية من أن توصف فرادى، ما عثر عليه في «تل العجول» وهي عبارة عن جعران لحامل قوس، وجعران للخازن الأول «سيتي» وهو شخصي له أهمية في مصر إذ وجدت له جعارين أخرى وعدة نقوش، كما عثر على جعران لكاتب الكبير «الخازن الأول». وعثر في «أريحا» على بصمة للختم الخاص للكاتب الوزير. ومن عهد الدولة الوسطى أيضاً عثر على العديد من الأدوات المصرية في «تل جمة» و«تل الدوير»، و«بلاطة»، و«بيت شان»، و«أسانا» (الألاخ)، بالاضافة إلى ما عثر عليه في «مجدو» من عصا سحرية من العاج ترجع إلى عهد الدولة الوسطى عليها صيغة بالهيروغليفية باسم امرأة فلسطينية. إن جميع هذه المخلفات تشير إلى علاقات واسعة ومتينة بين مصر وكنعان في مرحلة عصر البرونز الأوسط الأول في كنعان وعهد الدولة الوسطى في مصر.

فلسطين في عصر البرونز الأوسط الثاني
(١٨٠٠-١٥٠٠ق‌ز‌م)

تتميز هذه المرحلة في فلسطين بالتحركات البشرية وبتحصينات المدن والتقدم الحضاري في عدة مجالات. فقد شهدت هذه المرحلة تحركات الهكسوس وتطور تحصين المدن، وتقدم واضح في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

في هذه المرحلة سيطر الهكسوس، الذين كانوا يضمون العديد من العناصر الآسيوية البشرية: منهم الساميون والهند وأوربيون والحوريون

وغيرهم، على سوريا القديمة ومنها كنعان، وعلى مصر، ويرى بعض المؤرخين أن أعداداً من تلك العناصر قد تسربت إلى مصر بالطرق السلمية قبل غزو أمراء الهكسوس لها في أوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد في عهد الأسرة الخامسة عشرة المصرية.

وفي القرن الأول من هذه المرحلة ظهرت في كنعان العربات التي تجرها الخيل كأداة حرب، كما يتبين من الأدلة الأثرية ما يشير إلى تطور في الصناعة وبخاصة الصناعة الفخارية المميزة حيث عثر على العديد من الأواني المتطورة في مدن «تل بيسان» و «شمشم» و «لاكيش»، «تل بيت مرسيم»، و «تل العجول» وغيرها.

ويتبين من تحصينات المدن التي كشفت عنها الحفريات في كنعان أن أسوار وبوابات هذه المرحلة يمكن أن تعطي صورة متكاملة لفن التحصين المتطور من أجل الدفاع ومجابهة التحركات البشرية، وبخاصة عند مقارنتها بالمخلفات المشابهة من مرحلة الألف الثالث قبل الميلاد، والقرون الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد حيث كان التقليد المعماري قائماً على بناء جدران رأسية دون تكسية خارجية أو إنحدار يحميها من المحاصرين. أما الأسوار التي عثر عليها في مدينة «أريحا» ومدينة «عاي» فقد كانت عبارة عن سورين أو ثلاثة أسوار متتالية مشابهة للطريقة الميزوبوتامية. أما في مدينة «تل بيت مرسيم»، فقد عثر على سور سمكه ٣¼ متراً يعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد تدعمه أبراج طولها نحو عشرة أمتار وعرضها نحو ستة أمتار، وقد بنيت هذه الأسوار من أحجار صغيرة يجمع بينها اللبن.

وفي القرن السابع عشر قبل الميلاد، حيث كانت فلسطين مركزاً متوسطاً، في الامبراطورية الشمالية الغربية السامية الذي امتد نفوذها من الفرات إلى النوبة، يتبين للباحث إستمرار تحصين المدن بل وتطور هذه التحصينات في كنعان. وتعتبر مدينة «شمشم»، «أريحا»، «مجدو» «بيت مرسيم» من خير الأمثلة للتحصينات الحجرية التي تعود إلى هذه المرحلة فقد كانت الأسوار من الخارج منحدرة بينما كانت من الداخل على شكل رأسي. وكان فوق الجدار الخارجي المنحدر حاجز على شكل جدار رأسي من اللبن.

وقد بلغ سمك بعض الأسوار أكثر من مترين. أما سور «شمشم» فكان يرتفع إلى نحو عشرة أمتار، ومن خلفه وجد جدار مائل من العمارة المضلعة. وقد أرجع المؤرخون تاريخ هذا السور إلى القرن السابع عشر أو أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد، ومما يدل على متانتها وقوة بنائها مقاومتها وبقائها مدة طويلة من الزمن. وتعتبر بوابة القلعة من النماذج المميزة للتحصينات في عصر البرونز الأوسط، فهي ذات مدخلين أو ثلاثة. يعترض كلاً منها زوج من الركائز، وأحياناً أربعة أو ستة. أما نماذج البوابات ذات الطراز الثلاثي فقد عثر عليها في «شمشم» و «مجدو» ولا بد أنها استحدثت بعد إدخال العربات الحربية. وقد عثر على نماذج ضيقة من تلك البوابات في «بيت مرسيم»، وربما لم تكن تتسع لأكثر من عربة واحدة، وأما المتسعة فيمكن أن تمر من خلالها عربتان معاً في وقت واحد، ويبدو أن هذا الطراز من البوابات قد تأثر بميزوبوتاميا حيث توجد أمثلة مشابهة له في قصر «زمري ليم» في «ماري» في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ويبدو أن لهذه التحصينات المطورة صلة وثيقة بدواعي الأمن والتحركات البشرية التي سادت في ذلك العصر، فقد كشفت عمليات الحفر في الوقت نفسه عن تدمير متصل في بعض المواقع، ومنها «تل بيت مرسيم» وفي «مجدو» حيث عثر على خمس مراحل من التدمير الجزئي، وأغلب الظن أن التدمير كان يعقب غارة حربية، ومع ذلك لم تكن تعقبه هجرة، ومن المحتمل إن تحصين المدن بالأسوار كان يهدف إلى الدفاع ضد صراع حكام المدن المحلية وضد التحركات البشرية والغلرات الخارجية.

ويتبين من الأدلة الأثرية المختلفة التي تعود للفترة ما بين (١٧٠٠-١٥٠٠ق.م) ما يشير إلى أن هذه المرحلة في كنعان كانت تتميز بالتقدم، إذ تشير الأدلة إلى العثور على العديد من المحلات السكنية والتجارية، والمقابر، كما يلاحظ تزايد كميات وأنواع الأثاث الجنائزي في صورة أكثر منها في أي عصر آخر ويرجح أن ذلك يعود إلى توسع الحركة التجارية عبر الأراضي الكنعانية وازدياد دور الكنعانيين في الوساطة التجارية في وقت أصبحت فيه أرضهم ممراً تجارياً فعلياً بين آسيا وإفريقيا. وقد تميزت

فنون عصر البرونز الأوسط (الثاني) بصناعة العديد من الأواني ذات الأنماط المحلية المتطورة، ويوجد العديد منها الآن في المتحف الفلسطيني وبعض المتاحف الأوروبية، وقد عثر عليها في بعض المقابر، التي كانت عبارة عن مقابر عائلية في أغلب الأمر وكانت في كهوف تحت الأرض حيث كان يدفن مع الميت أسلحته الثمينة وحليه. ولم تكن هذه القبور «الكهوف» قاصرة على طبقة معينة من الناس بل كانت عامة.

كما عثر على كميات ضخمة من الفخار بالعديد من المقابر تتميز صناعتها بطرز مختلفة. ويتبين مما عثر عليه من أدوات في كنعان وفينيقيا، مما يدل على تأثر الكنعانيين ببعض الأنماط الفنية المصرية وبخاصة في نهاية الدولة الوسطى. ومع ذلك فإن الأصالة الفنية الكنعانية تبدو واضحة في الصناعة المحلية وبخاصة فيما عثر عليه من أدوات من عصر الهكسوس. ففي الوقت الذي نجد الجعول المصرية والصدريات والأواني تحاكى وتقلد محلياً، نلتقي بنماذج فنية مستقلة على مستوى عال تتمثل في الصناعة المعدنية للدبابيس وفي التطعيم بالعاج والعظام. وقد كانت صناعة وصباغة ونسيج الصوف بالألوان الحمراء والزرقاء من أبرز الصناعات الكنعانية.

ويتبين من الفخار الذي عثر عليه في كنعان، والذي يعود إلى نهاية هذه المرحلة حوالي منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد، أنه ذو أنماط مختلفة، فقد وجدت أنواع مهجنة منه هي مزيج من وحي كنعاني وفينيقي وقبرصي، إلَّا أن الحضارة الكنعانية ظلت تمثل الثقافة الكنعانية في فينيقيا وجنوب سوريا.

وقد تميز المجتمع الكنعاني في هذه المرحلة بوجود الحكام الأقوياء على رأس «حكومة المدينة»، ثم طبقة النبلاء، وطبقة جموع الشعب، ثم طبقة أنصاف الأحرار الذين كانوا يعيشون في ضنك وفاقة، ويدل على ذلك الفروق الواضحة بين مساكن كل طبقة. وقد ازدادت هذه الفروق بصورة واضحة في أخريات عصر البرونز حيث تتوافر نماذج كثيرة تعزز هذه الفوارق الضخمة بين النبلاء والعبيد.

وفي أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد أي بعد نهاية الأسرة الخامسة عشرة المصرية بدأت «دولة الهكسوس» في الانهيار السريع حيث طردوا من مصر حوالي ١٥٨٠ق.م. وتعقبهم الملك أحمس الأول المصري داخل الأراضي الكنعانية. ويتبين من حصار المصريين لمدينة «شاروحين» التي التجأ إليها الهكسوس في جنوب فلسطين، أن الهكسوس قد أبدوا مقاومة عنيفة ضد المصريين. وفي نفس الوقت كشفت الحفريات التي أجريت في مواقع «بيت مرسيم»، «مجدو» «بيت رور»، و «أريحا» عن واقع المقاومة في أواسط القرن السادس عشر قبل الميلاد.

وقد تمخض عن إنتهاء حكم الهكسوس لمصر نتائج عديد على كنعان منها نزوح الهكسوس من مصر إلى كنعان ثم إستمرار مطاردة المصريين لهم داخل الأراضي الكنعانية دفعاً لخطرهم واستقرار بعض عناصرهم فيها وكان لديهم قدر معين من الثقافة المصرية. وقد استمرت مطاردة المصريين لهم داخل الأراضي الفلسطينية وذلك تأكيداً للسلطان المصري في كنعان، كما نتج عن ذلك أيضاً إستقرار عناصر الهكسوس في كنعان ونقلهم لبعض عناصر الثقافة المصرية التي حملوها معهم إلى كنعان. وقد أحدث ذلك تغييراً ملحوظاً في الأوضاع المتصلة بالحياة في فلسطين في تلك الفترة التي تلت إحتلال الهكسوس. ويبدو أن الأمور ظلت على حالها حتى استطاعت مصر أن تفرض سيطرتها القوية على كنعان وتقيم امبراطوريتها في عهد تحتمس الثالث.

فلسطين في عصر البرونز الأخير
(١٥٠٠-١٢٠٠ق.م.)

شهدت فلسطين في هذا العصر العديد من الأحداث الهامة وبخاصة التحركات البشرية والصراعات السياسية والحربية، وتعدد المظاهر والأنماط الحضارية. وتعتبر الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بداية هذا العصر إمتداداً لما كانت عليه في العصور السابقة، حيث استمر نظام «حكومات المدن» بكل مميزاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بينما يتميز معظم هذا العصر بالصراعات السياسية والتحركات البشرية الخارجية التي تعرضت لها كنعان وتركت آثاراً بعيدة المدى في جميع الحالات.

ويتبين من دراسة الآثار المختلفة سواء التي عثر عليها في كنعان أو في مصر ما يشير إلى سيطرة مصر على كنعان، بل أن كنعان أصبحت جزءاً متممًا للامبراطورية المصرية ١٥٨٠-١٣٥٠ق.م.، وتشكل خط الدفاع الأمامي لحماية الأراضي المصرية ضد أطماع وتوسعات الامبراطوريات الأخرى المعاصرة لها.

وقد أصبح هذا الوضع إستراتيجياً بالنسبة لمصر بعد طرد الهكسوس في عهد الأسرة الثامنة عشرة، حيث تابع ملوك مصر مطاردتهم خارج الأراضي المصرية عبر كنعان مما أدى إلى حصار وتدمير بعض المدن التي التجأ إليها الهكسوس. وقد استطاع ملوك مصر ضم كنعان وأجزاء اخرى كبيرة من منطقة جنوب سوريا ضمن امبراطوريتهم في منطقة جنوب غرب آسيا.

كما حاول ملوك مصر (الفراعنة) على مدى عصر الامبراطورية أن يؤكدوا دائمًا سيطرتهم وتثبيت نفوذهم في أرض كنعان وإقامة علاقات وثيقة معها بهدف تأمين السلام والطمأنينة للأراضي المصرية. ومن هذا المنطلق وضع تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ق.م.) أساس الامبراطورية المصرية ثابتاً لمدى قرن من الزمان، وقاد الحملات الحربية مدى عشرين عاماً إلى آسيا بمعدل حملة سنوياً، وقد تميزت بعض هذه الحملات بالحروب العنيفة بينما كان بعضها الآخر إستعراضاً للقوى. وقد رفض الكنعانيون نفوذ مصر وشكلوا إتحاداً من حكومات المدن بقيادة مدينة مجدو، إلاّ أن تحتمس الثالث استطاع عام ١٤٦٨ق.م. أن يهزم هذا التحالف الكنعاني ومؤيديه من المدن السورية المجاورة. وقد ترك وصفاً وتسجيلاً لانتصاره الكبير في عدة أماكن في مصر منها: «لوحة آرمانت»، و «حوليات الكرنك».

وجاء في تلك التسجيلات إحصائيات عن الغنائم التي استولى عليها في مجدو، ومن تلك التسجيلات قائمة بالمدن التي اقتحمها ومن بينها العديد من المدن الكنعانية مما يشير إلى إستمرار نظام «حكومات المدن» في كنعان وإلى وجود أحلاف بينها وبخاصة عند تعرضها للأخطار الخارجية.

ومما هو جدير بالذكر أن العديد من المدن الكنعانية التي ذكرها تحتمس الثالث لا تزال موجودة حتى الآن بمسمياتها القديمة أو بها بعض التحريف

كمدينة «بيت شان» (سيان)، «ليد» (اللد)، يافا،[1] «جيزر» (تل الجزر)، مجدو (تل المتسلم)، مجدول (مجدل). و «شارون» (سارون)، «نجب» (نقب)، ثم «حازور»، «كيشون» و «بيت اناث»، «جبعه»، جيعة شوين»، «مبردم»، «شس داوم»، «شونم»، «تعنخ»، «يمم» ومعظم مواقعها معروف، وقد اقيمت مدن اخرى بجوارها. ويتبين من الأسلاب التي حصل عليها «تحتمس الثالث» ما يشير إلى مدى ثراء الأراضي الكنعانية وحكومات المدن في بداية هذه المرحلة. فقد بينت مناظر من مقابر طيبة وبخاصة مقبرة رقم (١٠٠) للوزير «رحم مي رع سيت» كبير الكهنة، أن المصريين قد غنموا العديد من البضائع النفيسة كما كلبوا الآلاف من قطعان الماشية.

وقد تابع الملك «امنحتب الثاني» سياسة والده «تحتمس الثالث» في غزواته وفرض سيطرته في أرجاء الامبراطورية المصرية وبخاصة الأراضي الكنعانية، وهناك نصوص عديدة تشير إلى تلك الحملات في كل من «لوحة ممفيس»، و «لوحة الكرنك»، و« لوحة عمارة»، و «لوحة الفنيتن» تؤكد انتصاراته وسيطرته على كنعان وبعض الأقاليم المجاورة.

ويتبين من العديد من المخلفات التي عثر عليها في عدة مواقع فلسطينية ومنها «بيسان»[2] واخرى عثر عليها في «الكرنك[3] بمصر ما يشير إلى إستمرار الحملات الحربية المصرية في كنعان في عهد الأسرة المصرية التاسعة عشرة وبخاصة في عهد سيتي الأول (١٣١٣-١٢٩٢ق.م) الذي قام بحملات على فلسطين بعد عصر العمارنة المليء بالاضطرابات، ومن مخلفاته الهامة الخريطة التي تركها ووصف فيها طريقة الحربي إلى فلسطين مبيناً المحطات على طول الشاطىء بين الحدود المصرية عند «زيله» (قرب القنطرة حالياً)، ورفح في

---

(١) وجد مخطوط من البردي باسم القائد جهوتي (Thoth) أو (Thuti) المشهوريين فيه كيف استطاع احتلال مدينة يافا الكنعانية في عهد تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ق.م).

(٢) عثرت جامعة بنسلفانيا على لوحة من البازلت موجودة الآن في متحف فلسطين بالقدس تبين نشاطات سيتي الأول في فلسطين (١٣٢٨-١٣٠١ق.م)، ومحاولاته للتهاون مع الأمراء الآسيويين.

(٣) موجود على الجدار الشمالي لبهو الأعمدة الأكبر في الكرنك بمصر.

فلسطين. وكان هذا هو الطريق الرئيسي للاتصال بين مصر وفلسطين. ومن مخلفاته أيضاً مهاجمته لقصر محصن عرف باسم «مدينة كنعان» دون تحديد لمكانه شكل رقم ( ). كما ترك لوحة من البازلت تعرف بلوحة «بيسان» شكل رقم ( )، وهي لوحة رقم ٣٨٥. وقد عثر في بيسان أيضاً على لوحة من البازلت «لرمسيس الثاني» شكل رقم ( ) موجودة الآن في متحف جامعة فيلادلفيا. كما ترك ثلاث لوحات عن إنتصاره في حملاته الآسيوية تشيد بانتصاره عند مصب نهر الكلب في فينيقية. وقد خاض عدة حروب ضد الملك الحثي «مواتيلي»، كما عقد مع الحثيين المعاهدة المصرية الحثيـة، وهي من أشهر المعاهدات السياسية في العالم القديم.

ويتبين من نصوص وتسجيلات معبد «رمسيس الثالث» في مدينة «هابو» في «طيبه» أن رمسيس الثالث قد تصدى لتحركات شعوب البحر الذين حاولوا الاندفاع نحو الأراضي المصرية في عام ١١٨٨ق.م وبعد أن استقرت بعض عناصرهم ومنهم الفلسطينيون في أرض كنعان.

- تشير الوثائق ومنها «بردية هرس» إلى أن رمسيس الثالث حول نشر الديانة المصرية في كنعان فبنى للآله آمون بيتاً في أرض «زاهي» وصف بأنه أفق السماء سماه «بيت رمسيس حاكم هيلوبوليس في كنعان» كما أقام له تمثالاً هناك سماه «آمون» . . . «لرمسيس» حاكم «هيلبوبوليس» وقد ذكر أن أجانب رتنو كانوا يأتون إليه يقدمون الجزية القداسته بالنسبة لهم.

وفي مجال المعتقدات الدينية الكنعانية يتبين من العديد من المخلفات ما يشير إلى استمرار هذه المعتقدات مع بعض التطور والتأثر بمعتقدات الأقطار المجاورة. فقد كشفت الحفريات عن العديد من المعابد والهياكل والقطع الدينية التي تعود إلى هذه المرحلة. ففي «لاكيش» عثر على هيكل يرجع إلى (١٥٠٠-١٢٣٠ ق.م.)، وقد أعيد بناؤه مرتين خلال هـذه الفترة. وفي «مجدو» عثر على معبد من ثلاث مراحل متتابعة (١٤٠٠-١١٥٠ ق.م.) وفي «بيت شان» عثر على معبدين على الأقل يعودان إلى القرن الرابع والثالث عشر قبل الميلاد.

شكل رقم (٢٦)

مسلة من البازلت وجدت في مدينة بيان تؤرخ بعهد الملك سيتي الأول حوالي ١٣١٨ ق.م. عليها تسجيل بالكتابة الهيروغليفية يبين انتصار على أعدائه.

ومن القطع الدينية الهامة التي عثر عليها، القطع المسماة بـ«لوحات

استارت»، وهي لوحات من الفخار بيضية الشكل بصورة عامة طبعت عليها صورة وجهية عارية للآلهة «أشيراه»، وتبدو واذرعها مرفوعة وتمسك بعيدان السوسن أو الأفاعي أو بهما معاً في يديها. وتزين رأس الربة حلقتان حلزونيتان طوليتان. ويتضح في هذه اللوحات المؤشرات الميزوبوتامية حيث كانت شائعة في كنعان منذ بداية عصر البرونز، كما وجدت نماذج أخرى مختلفة لهذه الربة التي تظهر عارية في صورة أخرى.

ومن المميزات الثقافية في هذه المرحلة التوسع باستخدام الكتابة، فقد استخدم الكنعانيون خمس طرائق للكتابة هي

١ - الأكدية المسمارية.
٢ - الهيروغليفية الهجائية ذات الخطوط التي اشتقت منها الهجائية الأوروبية.
٤ - الهجائية المسمارية لأوجاريت.
٥ - النقوش المقطعية لجبيل.

ومع ذلك فليس هناك دليل على استخدام أية منها بانتظام سوى الثالثة والرابعة. أما الأولى والثانية فلم تكن لاستعمالها صفة الاستمرار. وقد شاعت دراية الكنعانيين بالآكدية لغة وكتابة منذ أواسط عصر البرونز. وقد عثر في العديد من المواقع الفلسطينية ومنها «تاناخ»، «تب الحسي»، و«جازر»، و«ششم»، أريحا، «ومجدو» على لوحات طينية منقوشة بالمسمارية الأكدية من القرنين الخامس والرابع عشر قبل الميلاد. وهذه اللوحات عبارة عن خطابات أو وثائق أعمال أو قوائم إدارية. كما وجد العديد من الكتابات الهيروغليفية المصرية على لوحات وتماثيل عثر عليها في الكثير من الحصون والمدن الفلسطينية ففي «بيت شان»، التي كانت تعتبر حصناً مصرياً، عثر على ثلاث لوحات ملكية، وأجزاء من لوحة رابعة وتمثال ملكي، ثم لوحة خامسة عليها بعض النقوش «بالهيروغيليفية». وفي «تل العريمة» عثر على أجزاء من لوحات «لتحتمس الثالث» و«امنحتب الثاني» كما عثر على غيرها في أماكن اخرى وليس من شك أن هناك كثيراً غيرها لم يتم الكشف عنه.

وتميزت المراحل الأخيرة من هذا العصر الذي خضعت فيه كنعان للنفوذ المصري، بتناقص في الموارد الاقتصادية بسبب سوء الحكم الأجنبي الـذي وصل إلى أدنى ما يكون في القرن الثالث والثاني عشر قبل الميلاد. مما ساعد شعوب البحر والفلسطينيين والإسرائيليين على مهاجمتها واحتلال أجزاء متعددة منها. فقد عاش الكنعانيون في أخريات عصر البرونز في حالة اقتصادية تتميز بالضنك بسبب المنازعات الداخلية وتعرضهم للغزو الخارجي في وقت كانت فيه حكومات المدن تحت إمرة حكام فقراء، وقد تميزت الصناعات والفنون الكنعانية في هذه الفترة بالتدهور والتأثر العميق بالسمات والفنون المجاورة من مصرية وإيجية وغيرها، مما أفقدها الكثير من جودتها وأصالتها. فقد عثر في «بيت شان»، و«لاكيش» على العديد من الصناعات والفنون الكنعانية ذات المستوى المتدني، كما عثر على مستوردات مصرية ومنتجات محلية مقلدة لها لا ترقى إلى مستوى الفن الأصيل.

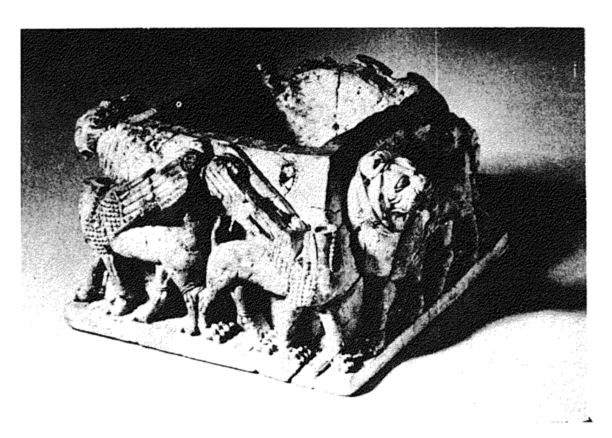
ويعتبر عاج «مجدو» (١٣٥٠-١١٥٠ ق.م) الذي عثر على كمية ضخمة منه في قصر بمجدو، نموذجاً واضحاً لتداخل وتنوع الأنماط الحضارية في كنعان في هذه المرحلة، إذ أن الرسوم الموجودة فيها قد أخذت من مناطق ثقافية مختلفة بمنطقة الشرق الأدنى القديم ومن بين القطع خمس تحمل كتابة «هيروغليفية» مصرية ثم مقلمة على الطراز المصري لرسول مصري إلى البلاد الأجنبية تحمل اسم الملك «رمسيس الثالث». ومن بين القطع ثلاث لوحات صغيرة ربما كانت تستخدم لتطعيم الأثاث تحمل اسم «مغني بتاح» سيد حياة الأرضين، وأمير عسقلان الكبير، «كركر» أو «كركور» أو «كولكول»، التي كانت عازفة للآله المصري بتاح في كنعان مثل المغنية في بلاط بيبلوس في قصة و«ينامون». ومن ألقاب «بتاح» هنا لقب «أمير عسقلان» مما يشير إلى قيام مركز عبادة مصرية في هذه المدن الكنعانية.

وفي الفترة ما بين (١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م) طرأت أحداث جديدة في منطقة الشرق الأدنى القديم نتيجة الصراع المرير بين مصر وبابل والحثيين مما أدى إلى إنهاك تلك القوى، وبذلك أصبحت الظروف مناسبة لقيام تحركات بشرية جديدة في المنطقة، فتحرك نحو كنعان ثلاثة عناصر بشرية جديدة هي



شكل رقم (٢٧)

منظر من العاج وجد في السامرة يؤرخ بحوالي ١٣٠٠ ق.م. ويبين أبو الهول محاط بأوراق اللوتس.



شكل رقم (٢٨)

صندوق من العاج عثر عليه في مجدو يعود إلى حوالي ١٣٠٠ ق.م. منقوش عليه أبو الهول وأسود. يظهر فيه التأثير الحضاري العراقي والمصري بكل وضوح.

الآرامية في الشمال، حيث اعتبر «هول» (Hall) دخولها إلى الأراضي السورية تسرباً تدريجياً أكثر من كونه غزواً محققاً ثم في فترة محددة من الزمان - وقد استطاعت الاستقرار في أرض «حوبا» (Hobah)[١] خلال أو بعد الاضطرابات التي أثارها العصيان الكنعاني ضد الملك أخناتون بقليل، وفي نفس الفترة التي دمر بها الحثيون ميتاني تقريباً[٢]، وسرعان ما اكتسح الآراميون العناصر الأمورية والحثية على وادي العاصي أو طردها تحت الضغط المستمر، ثم أخذوا يفرضون نفوذهم في المنطقة وينتشرون من شمال سورية إلى جنوبها صوب أرض كنعان.

(١) Hall. H.R., The Ancient History of the Near East. London. loth ed., 1947. ch. 9., p. 398.

(٢) Ibid., p. 398.

وقد حدث ذلك في نفس الفترة التي شهدت الغزو الفلسطيني لأرض كنعان، ولعدم مقدرة الكنعانيين على المقاومة في ذلك الوقت انكمشت المدن الكنعانية داخل حدودها، وبخاصة الساحلية منها متطورة حضارياً فيما عرف بالحضارة الفينيقية فيما بعد.

وهكذا أصبحت كنعان تمثل جزءاً كبيراً من مسرح الأحداث الذي استمر حوالي قرنين من الزمان متمثلاً في القوى المصرية والبابلية والحثية والآرامية بالإضافة إلى القوى الفلسطينية التي أثبتت وجودها في جنوب كنعان مما أضعف هذه القوى جميعاً تقريباً ومهد لتدخل عناصر جديدة في فلسطين في نهاية القرن الحادي عشر ق.م، تلك العناصر التي عرفت باليهودية أو الإسرائيلية (بني يعقوب).

أما بالنسبة للعناصر الهندو أوروبية، فقد تركت تحركاتها في هذه المرحلة آثاراً بالغة الأهمية في منطقة الشرق الأدنى القديم فهزت الأمبراطوريات القائمة آنذاك هزاً عنيفاً وتركت آثاراً في تاريخ كنعان ومصر بخاصة وفي علاقاتها بعامة. لقد تدخلت هذه الشعوب في المنطقة على دفعات متتالية، فاجتاحت بعض عناصرها الدولة الحثية وتقدمت في جنوب سورية، كما تقدمت عناصر أخرى عبر البحر المتوسط نحو كنعان. وترى الدراسات اللغوية أن بعضاً من تلك الشعوب على الأقل من منطقة جنوب غربي آسيا، وقد اطلعت عليهم النصوص المصرية القديمة تعبيراً عاماً هو «الشماليون في جزرهم» وصنفتهم قوائم مصرية أخرى ثمانية[1]، وقد ربطتهم المصادر المصرية بـ (كفيتو) (Kiftuw)، (كريت) وتؤكد المصادر الكنعانية والمصرية أن عناصرهم المعروفة باسم «برست» (prst) أو (pelesti) استقرت في أرض كنعان.

ويرى بعض المؤرخين أن هذه العناصر التي استقرت في كنعان لم تكن إلا عناصر سامية. وقد عادت إلى كنعان موطنها الأصلي بهجرة مرتدة، فقد تركت موطنها الأصلي في أول الأمر تحت ضغط العناصر الهندو أوروبية الزاحفة من الشمال فعبرت البحر إلى جزر بحر إيجة ثم استطاعت العودة ثانية عندما

---

(1) Gardiner, A.H., A.E.O., vol. I, p. 181.

سنحت لها الظروف. وعلى أي حال فإن الباحث يرى أن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسة والاستقصاء.

وتشير الأدلة المختلفة إلى أن العناصر الهندو أوروبية القادمة من بحر إيجة قد وفدت إلى كنعان على دفعات متتالية ابتداء من القرن الرابع عشر ق.م إذ يتبين من عدة مواقع فلسطينية منها «تل الفارعة» و«بيسان» وجود توابيت فخارية بأغطية على شكل آدمي[١] الشكل رقم ( ) يرجع تاريخ الدفن بها إلى نهاية عصر البرونز الأخير وأوائل عصر الحديد المبكر[٢] ما بين (١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م) كما عثر على توابيت اخرى مشابهة في مصر تمتد زمنياً من عصر تحتمس الثالث[٣] إلى حوالي القرن السادس ق.م. وفي جميع الحالات تقريباً سواء ما عثر عليه في الجانب الفلسطيني في «تل الفارغة» و«بيسان» أو في مصر فقد وجدت معها أدوات إيجية وقبرصية مما يرجح أنها قبور خاصة بالعناصر الأولى من تلك الجماعات الوافدة، وبخاصة حينما نأخذ بعين الاعتبار ما ذكره بعض المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ فلسطين مثل «أولبريت»[٤] و«كينيون[٥]»، و«ولسون[٦]»، عن وجود حامية لمصر من الجنود «المرتزقة» من عناصر «الشردان» في «بيسان في الفترة المرعوفة بعصر العمارنة. أما بالنسبة للتسمية التي أطلقها أولئك المؤرخون على تلك العناصر بأنها «مرتزقة»، فيرى الباحث أن أولئك المؤرخين يحملون هذه التسمية أكثر مما تحتمل خاصة في ذلك العصر، إذ يمكن تفسير وجود تلك العناصر كطلائع أولى للعناصر الهندو أوروبية التي تتابعت موجاتها فيما بعد إلى كنعان والمناطق المجاورة. أما فيما يختص بتعاونها مع السلطة المصرية في تلك المناطق (كمرتزقة) فهذا الأمر يبدو طبيعياً لكونهم أقلية هندو أوروبية في بادىء الأمر.

---

(١) Pritchard, J.B.A.N.E.T., In Pictures, pL. 641, 211.

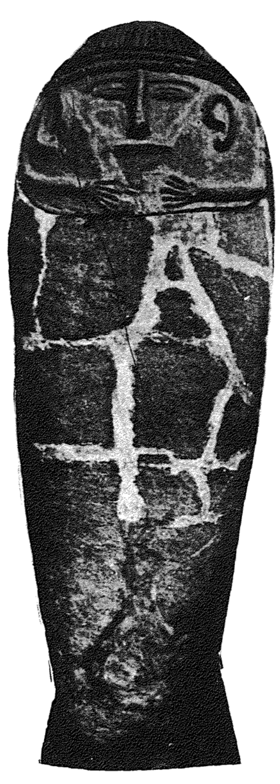
(٢) Kenyon, K., The philisitines and the beginning of the early iron age. In C.A.H., p.221.

(٣) Ibid, p.221.

(٤) Albright, W.F., Palestine in the middle and late Bronce ages, in. A.P. pi, 103.

(٥) Kenyon, K., Opicit., p. 272.

(٦) Wklson, J., Beth-Shan, stelae of Seti I, and Ramses II, A.N.E.T., p. 225.



شكل رقم (٢٥)
تابوت من الفخار بغطاء على شكل الانسان عثر عليه في بيسان يؤرخ بحوالي (١٣٠٠ق.م).

بين شعب كنعاني سامي. وقد أشارت المصادر المصرية إلى استمرار تعاونهم مع السلطة المصرية فيما بعد، إذ تبين من تلك المصادر وبخاصة النصوص

والنقوش المتعلقة بمعركة «قادش» اشتراك تلك العناصر من «الشردان» مع الملك رمسيس الثاني ضد «الميتانيين[٤]» كما تتكرر نفس الصورة تقريباً في تعاونهم مع الملك «رمسيس الثالث[٢]» ضد العناصر الجديدة الوافدة وبأعداد كبيرة مصطحبة نساءها وأطفالها في عربات تجرها الثيران، مما يرجح أنها كانت عازمة على الاستقرار ولو بالقوة، ويبدو أنها كانت تضم عناصر ممن سبقتها في فلسطين إذ تبين النقوش الخاصة بتلك المعركة أن بعض العناصر من «الشردان» اشتركت في المعركة مع الجانبين وربما فعلت تلك العناصر مصاحبة العناصر الجديدة بالحملة على مصر لتفضيلها الاستقرار في البيئة المصرية طمعاً في خيرات الدلتا بإيعاز من بعض عناصرهم الموالية للمصريين. ويشير الدليل الأثري إلى أن معداتهم المادية كانت خفيفة، ولا يد أنهم تلقوا الكثير منها من الكنعانيين الذين استقروا بينهم قبل مشاركة الجماعات الجديدة في الانتقال إلى مصر.

ومن ذلك كله يتبين أن دخول تلك العناصر الهندو أوروبية إلى كنعان كان على دفعات[٣] قامت في أول الأمر بمساعدة السلطة المصرية ودعمها لكونها عناصر هندو - أوروبية بين محيط سامي كنعاني، ولما ازدادت أعدادها استطاعت أن تستقر نهائياً في فلسطين وتفرض وجودها السياسي، وعرفت عناصرها التي استقرت في جنوبها بالعناصر الفلسطينية وكان أهمها وأكبرها عدداً تلك التي ورد ذكرها في النصوص المصرية في عهد رمسيس «الثالث» بعد أن الحق الهزيمة بهم حوالي عام ١١٩٦ ق.م حينما حاولوا دخول الأراضي المصرية وهذه الهزيمة اضطرت مجموعات كبيرة منهم إلى الاستقرار بكنعان في مطلع القرن الثاني عشر ق.م.

---

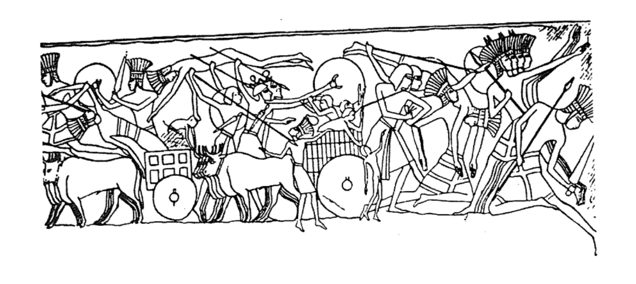
(١) Breasted, A.H., A.R., vol. III, par. 298-951.

-Wilson, J. Asiatic campaigning of Ramses II, In, A.N.E.T., p. 255.

(٢) Breasted., A.H., op. cit., par. 59-62.

-Wilson, J., op. Cit., p. 252.

(٣) Essifeeldt, O.E., The Traditions of the Pariatchs and Modern Criticism, In, C.A.H., 1965, p.6.



شكل رقم (٣٠)

منظر من مدينة «حابو» بمصر. يبين جيش «رمسيس الثالث» يقاتل الفلسطينيين.



شكل رقم (٣١)

منظر من مدينة «حابو» بمصر من عهد الملك «رمسيس الثالث يبين مجموعة أسرى «سوري، فلسطيني، حثي، سوري، ليبي».

أما بالنسبة للأدلة الأثرية الأخرى فقد عثر في تـل الفارعـة[١] على مجموعة مقابر منها خمس متشابهة، ولوحظ أنها تختلف في محتوياتها وتصميمها (تخطيطها) عن غيرها من المقابر في نفس الموقع، وإن ما وجد فيها من فخار كان رقيقاً ومميزاً بزخارف «فلسطينية» بسيطة من طراز عصر البرونز المتأخر، كما عثر على العديد من الأواني البرونزية بعضها من الأواني البرونزية وبعضها أسلحة عبارة عن خناجر وحراب، ومن بينها خنجر من الحديد بمقبض من البرونز وسكين من الحديد. ولما كانت هذه المقابر لا تشبه غالبية المقابر التي عثر عليها في فلسطين أوحى ذلك بـوجود تـأثير أجنبي جـاء من مواطن «فلسطينية الأصل» إذ وجد قبران[٢] في موقع آخر من «تل الفارعة» يعود تاريخهما إلى عصر البرونز المتأخر وهما يشبهان المقابر السابقة التي يبدو فيها التأثير الإيجي بوضوح، وهذا يؤكد تتابع التحركات البشرية الهندو أوروبية (الفلسطينية) إلى كنعان. ويشير الدليل الأثري المتمثل بالصناعات الفخارية إلى أن العناصر التي عرفت بالفلسطينية والتي استقرت أول الأمر في جنوب كنعان، قد صنعت فخاراً فلسطينياً مميزاً برسوم وزخارف خاصة بها روابط بالفخار الإيجي، وهي عبارة عن أشكال حلزونية ومجاميع من أشكال شبه دائرية متداخلة. شكل رقم (   ).

ويتبين من أشكال الأواني وعناصر الزخرفة وجود تشابه بـين الفخار الفلسطيني والفخار الإيجي، وتتمثل أقرب تلك النماذج في فخار «رودس» و«قبرص» لكنه ليس صـورة طبق الأصل منـه. وتعتبر كينيـون (Denyon) الكميات التي عثر عليها من الفخار الفلسطيني في الطبقة العاشرة من مجدو - التي تعود إلى بداية القرن الثالث عشر ق.م. والتي تتميز بالألوان الحمراء والسوداء والغنية بالزخارف التي تضم إطارات بداخلها طـائر أو «سمكـة» بالاضافة إلى زخارف هندسية - الفخار المميز للطبقة التاسعة لذلك الموقع[٣].

وتحاول كينيون في مكان آخر موضوعها عن مجدو - إرجاع أصول ذلك

(١) Kenyon, I., A.H.L., p.6.

(٢) Ibid., p.227.

(٣) Kenyon, K., op. cit., p.200.

الفخار المميز للطبعة التاسعة إلى أصول إيجة تعود إلى نهاية القرن الثالث عشر ق.م وترى أن ظهور ذلك الفخار الفلسطيني كان في فترة نهاية المستوردات الإيجية لفلسطين، كما تذكر أن الفخار الإيجي المستخدم حوالي ١٢٠٠ ق.م في منطقة بحر إيجة غير متمثل في الفخار الفلسطيني[١]، هذا وتشير الأدلة الأثرية إلى وجود كميات ضخمة من من هذا الفخار في موقع «تل العجول» بجنوب فلسطين[٢] وقد وصفت. «كينيون» هذه الكمية وكأنها من إنتاج مدرسة لصنع الفخار في تلك المنطقة كانت تعمل متأثرة بنماذج فخار بحر إيجة حيث وجدت نماذج مشابهة له على شاطيء قبرص الشرقي.

ويرى الباحث أنه ما دام الفلسطينيون لم يأتوا بهذا الفخار معهم، فلا بد إذن أن يكونوا قد صنعوه في موطنهم الجديد بكنعان بعد استقرارهم بها مدة من الزمن متأثرين بما اعتادوا صناعته في بلدهم الأصلي، وحسب مقتضيات البيئة الجديدة خاصة وأن كينيون نفسها تشير إلى أن المادة التي صنع منها الفخار هي مادة فلسطينية[٣] وهذا يؤكد للباحث أن ذلك الفخار المميز للفلسطينين إنما هو فخار فلسطيني صنع في فلسطين في مطلع القرن الثالث عشر ق.م. متأثراً بأنماط وعناصر حضارية إيجية مستمدة من البيئة الأصلية.

لقد عثر على الفخار الفلسطيني في معظم أرض كنعان، ويتضح للبحاث أنه تركز في المناطق الخصبة من البلاد على السهل الساحلي الفلسطيني، ثم المناطق الوسطى والجبلية بصورة أقل كثافة على السهل الساحلي الفلسطيني، ثم المناطق الوسطى والجبلية بصورة أقل كثافة على التوالي، وقد توافق ذلك الانتشار للفخار الفلسطيني مع فترة نهاية المستوردات القبرصية المسينية في عصر البرونز الأخير في نهاية القرن الثالث عشر ق.م ففي عسقلان - الموقع الفلسطيني الساحلي الهام بين يافا وغزة، نجد أن الطبقة التي نلتقي فيها بالمستوردات الايجية تنفصل عن الطبقة التي يظهر بها الفخار

---

(١) Ibid., p.244.

(٢) Ibid., p.200.

(٣) Ibid., p.224

الفلسطيني[1] بطبقة من الرماد، ثم نجد نفس الصورة تتكرر في جنوب فلسطين في موقع «تل جمة» (جيرار) على وادي غزة، كما يظهر ذلك التتابع بين الطبقات بصورة واضحة أيضاً في «تل بيت مرسيم»[2] حيث وجدت تلك المستوردات في مستوى ج قرب نهاية القرن الثالث عشر ق.م.

بينما وجد الفخار الفلسطيني في مستوى ب وبشكل كبير مما يشير إلى الاستقرار الفلسطيني الكامل في ذلك الموقع في تلك الفترة. أما «بيت شمش»[3] فتوحى مخلفاتها الأثرية بأنها كانت فلسطينية تماماً. ف إن البقايا التي كشفت عنها توحي بوجود مدينة كبيرة نسبياً، وكان فيها مصنوعات برونزية حيث وجدت افران عديدة، وقطع من الفخار بمثابة منافيخ، وكان استعمال الحديد شائعاً كذلك، واستخدم الأسلحة والحلى، وفي الطبقة الرابعة لذلك الموقع التي تبدأ في القرن الخامس عشر ق.م نراها تستمر حتى تتجاوز «تل بيت مرسيم» الطبقة ب. وتتميز هذه الطبقة عند انتهائها بتدمير عام للمدينة مع طبقة من الرماد، أما الفخار الفلسطيني فيظهر بكثرة في الطبقة التالية إي الثالثة، كما يتبين أن المدينة دمرت تدميراً شديداً في نهاية القرن الحادي عشر ق.م، ويبدو أن ذلك التدمير كان بسبب اليهود.

وإذا اعتمدنا على توزيع الفخار لتحديد المنطقة التي شغلها الفلسطينيون بأرض كنعان لعدم وجود الأدلة الأثرية الكافية، فأننا نستطيع أن نحدد تلك المناطق على أساس كميات الفخار المكتشفة في المواقع الفلسطينية المختلفة، فنجده ينتشر بكثرة في السهل الساحلي ويمتد جنوباً إلى أقصى الحدود الفلسطينية منتشراً في «تل العجول» و«تل جمه» على وادي غزة، أما شمالاً فينتشر الفخار الفلسطيني إلى شمال يافا، ثم ينتشر في المنطقة الوسطى بنفس الصورة تقريباً ويغطى الرقعة التي عرفت بالغزوات الفلسطينية الاولى، ثم تقل كثافته كلما اتجهنا شمالاً إلى اقصى الحدود الفلسطينية.

---

(١) Ibid., p.224 H.

(٢) Ibid., p.230.

(٣) Kenyon. K., p.231.

أما في المنطقة الجبلية الفعلية فنجده بصورة أقل كثافة وبشكل مبعثر، فقد وجدت كميات منه في مجدو[1] في الطبقة السابعة، وفي مجاورات «تل الحسي» علمًا بأن النفوذ السياسي الفلسطيني كان يمتد فعلاً وراء تلك الحدود.

ويمكن تلخيص الوضع العام في كنعان والأقطار المجاورة في نهاية مرحلة عصر البرونز الأخير بأن هذه المنطقة قد شهدت تغييرات وتعديلات كبيرة، ولم يقتصر الصراع في المنطقة على الكنعانيين والمصريين والسوريين والميتانيين والحثيين بل تدخلت شعوب جديدة كانت تنحدر تدريجياً من وطن هندو أوروبي في الشمال الشرقي، وكانوا يجمعون قواهم بالتدريج ويهيئون أنفسهم ليصبحوا أصحاب السلطان في المناطق الساحلية في شرقي البحر المتوسط، وقد عرفوا بـ«شعوب البحر»، فقد انحدروا من مواطنهم ليجدوا لأنفسهم مواطن جديدة وفي سبيل ذلك حطموا تحطيمًا كاملاً ذلك التوازن الذي كان سائداً في بلاد الشرق الأدنى القديم، وأدخلوا قوى جديدة ذات أهمية إلى أوروبا، مما أكسب العلاقات السياسية في هذه الفترة الصفة الدولية.

وفي نهاية هذا العصر تدهورت الأحوال في جميع مجالاتها في كنعان، وتحطم كل من الامبراطورية المصرية، والحثية بينما أخذت آشور تتقدم لتنقذ ما بقي من حطام فاحتل الفلسطينيون معظم أرض كنعان ثم غزا الاسرائيليون أرض كنعان أيضاً. وأخذت دويلات المدن الفينيقية تتقدم وتنشيء لنفسها نفوذاً بحرياً جديداً وعلى الرغم من تعرض كنعان لضغوط سياسية وبشرية وحضارية خارجية في أثناء هذه المرحلة، إلا أن الحضارة الكنعانية احتفظت بمعظم مقوماتها الحضارية، مع وجود بعض المؤثرات المصرية والحثية والحورية، الذي يبدو في وسائل التعبير الفني وبخاصة في النحت، ومن ناحية اخرى كان للثقافة الكنعانية آثار واضحة في الحضارة المصرية القديمة وفي فكرها الديني بطريق مباشر أو غير مباشر، وقد كان الشاطىء من جبل كاسيوس قرب انطاكية في شمال سوريا حتى أقصى جنوب كنعان يسكنه الفينقيون والكنعانيون، وكانت لغتهم قريبة من السامية الشمالية الغربية،

(١) Kenyon, K., p.231.

ويشاركون في الثقافة الدينية والمادية التي تركت بدورها آثاراً بعيدة المدى في الحضارة المصرية القديمة. ورغم الاختلافات المحلية كان الكنعانيون متجانسين، وكانت حضارتهم تبلغ الذروة أحياناً وتتدنى أحياناً اخرى نتيجة للمؤثرات الخارجية، وكان من أهم نتائج التحركات البشرية العديدة في عصر البرونز الأخير، وكذلك الضغوط السياسية المختلفة إن انعكف سكان عدد من المدن الساحلية بصفة خاصة داخل نطاق مدنهم مما أدّى إلى تطور فكر حضاري سامي جديد مشتق أساساً من الفكر الكنعاني ومن المؤثرات الحضارية الأخرى، ذلك هو الفكر الديني الفينيقي، والقرطاجي بعد ذلك. ويمكن للمؤرخ تلمس جوانب دينية كنعانية ومصرية مكينة في ذلك الفكر الديني الفينيقي، ولكن رغم تلك المؤثرات الفكرية الخارجية فقد ظل الجانب الكنعاني اصيلاً فيه(١).

ولا تقتصر تلك المؤثرات على الجانب الفكري بل تتضح أيضاً في العمارة الفينيقية سواء في المعابد أو المقابر. وفي نهاية هذه المرحلة ظهر اليونانيون في مواطنهم الجديدة، كما حل الحديد مكان البرونز كمعدن أهم.

سكان كنعان في نهاية عصر البرونز الأخير:

يتبين من الأدلة التي جاءت في التوراة، أن كنعان كانت في نهاية عصر البرونز الأخير عامرة بالسكان، ، أن سكانها الكنعانيين كانوا على مستوى حضاري عال ويعيشون إلى جوار الاموريين الذي يجمعهم بهم الأصل والثقافة السامية الواحدة.

لقد تحدثت التوراة مطولاً عن سكان كنعان قبل دخول الاسرائيلين إليها، وبخاصة في كتاب «جوشا» (Jushas)، وكان حديث التوراة، ينم عن عداء شديد للكنعانيين وللأموريين. وقد ذكرت التوراة في عدة مواقع(٢) أن الكنعانيين كانوا يسكنون الساحل الفلسطيني.

ووادي الاردن في المناطق الموازية لنهر الاردن وفي المناطق السهلية في

---

(١) Harden, D., The Phoenicians, New York, 1963, p.85.

(٢) (Numbers XXXIII. 51) (Joshua XIV. I)

سهل أزدر اليون والسهل الساحلي. كما أنها ذكرت أن الأموريين قد سكنوا التلال الشرقية لنهر الاردن. وفي أحيان اخرى ذكرت أن الأموريين قد سكنوا بعض التلال غربي الاردن، وأن بعض الأموريين كانوا يسكنون في داخل ارض كنعان. كما أوردت ذكر بعض الجماعات الأخرى أو القبائل الصغيرة التي كانت تعيش بين الكنعانيين ولكن لم تعطها أهمية تذكر ومنها: الحثيين، والجبوستيين، والأمالكيين، والجرجاشيين وغيرهم. ويفهم أحياناً من بعض النصوص أن بعض هذه الجماعات تنتمي إلى إحدى الجماعات الكبيرة سواء الكنعانية أو الأمورية وقد حاولت «كينيـون» (Kenyon) في ضؤ ما ورد في التوراة وفيما توصلت إليه من مخلفات أثرية في هذا المجال، أن تحدد صورة عامة لسكان كنعان من هذه الفترة.

وترى كينيون[٢] أن دخول الاسرائيلين إلى كنعان تسرباً كان بطيئاً، وأن الاسرائيليين لم يأتوا معهم بثقافة أو أي مظاهر حضارية جديدة بل هم اقتبسوا الثقافة والحضارة الكنعانية. ومن أجل ذلك فإنها ترى وبالأدلة الأثرية أنه لا يوجد أي فصل بين حضارة عصر البرونز المتوسط والأخير من النـاحية الحضارية أو الثقافية.

---

(١) Oxford Bible Atlas.

(٢) Kenyon, K., Amorites and Canaanites. Oxford University Press, London, 1963.

الفصل السابع
شخصية فلسطين التاريخية



لقد كانت المنطقة العربية تمثل في أثناء العصور القديمة مراكز حضارية وسياسية هامة في منطقة الشرق الأدنى القديم، وتنحصر هذه المراكز في «وادي الرافدين»، و«وادي النيل»، وفي «سوريا القديمة» بواقعها الجغرافي الشامل «سوريا-فلسطين-لبنان-الأردن»، وقد قام الانسان في بقية أجزاء المنطقة بجهود متفاوتة إلا أنها تقل مستوى وأهمية عن تلك الجهود التي بذلها الانسان في الأقاليم التي أشرنا إليها.

إن هذه الحضارات لم تقتصر على النطاق المحلي، بل كانت لها اتصالاتها الخارجية التي امتد أثرها في أنحاء المنطقة. ومن يمعن النظر في السياسة الخارجية لهذه الأقاليم، يمكنه إزالة اللثام عن وجه العلاقات السياسية والحضارية فيما بينها في مختلف مراحل تاريخ المنطقة.

لقد بذل الانسان في هذه المنطقة جهوداً ضخمة في سبيل الارتقاء إلى مرحلة الاستقرار واختراع الصناعات اللازمة للحياة المستقرة الجديدة في نطاق القرى الأولى في ظل الاقتصاد الزراعي، ثم بدأ البحث عن إمكانات أوسع نطاقاً من إمكاناته المحلية، واستلزم ذلك إيجاد وسائل الاتصال بينه وبين المجتمعات المجاورة والبعيدة عنه، فدفعه تفكيره إلى ابتكار ما يلزمه من وسائل المواصلات التي يسرت التعرف على جهود الانسان في أجزاء المنطقة وتنوع إنتاجه الحضاري حسب الظروف البيئية المحلية، وعواملها المختلفة، والمؤثرة في حياته، ويسرت أيضاً الوقوف على مدى استغلاله لها، وقد كان الاختلاف في الانتاج واحداً من الأسس الهامة للصلات التجارية فيما بعد من حيث استيفاء إحتياجاتها من إنتاج الأقاليم المجاورة.

ورغم أن فلسطين بحكم موقعها الجغرافي كانت محور اتصال تلاقت

فيها القوى السياسية والحضارية والبشرية المارة بها، والوافدة إليها سواء كان ذلك في عصور ما قبل التاريخ، أو في العصر التاريخي، فانه يتبين للباحث أن الحضارة الفلسطينية كان لها كيانها الخاص في تاريخ المنطقة، ومع انفراد كل من مصر والعراق وسوريا بطابع مميز في تكوينه الحضاري، إلا أن هذه الأقطار ترتبط فيما بينها في سائر المجالات الاقتصادية والبشرية والاجتماعية والحضارية منذ أقدم العصور.

إن البحث في تاريخ الاقليم الفلسطيني وحده يعتبر في رأيي قاصراً، ولا يفي بالغرض، لسبب هام هو أن جميع أقاليم المنطقة حينذاك كانت مترابطة ترابطاً وثيقاً إن لم يكن عضوياً. ومن هنا رأيت أن يكون بحثي لتاريخ فلسطين بحثاً شاملاً يتناول المنطقة كلها لأن الكيان الفلسطيني حينذاك كان على علاقة وطيدة بسائر الكيانات السياسية في المنطقة، ويتأثر بما يجري فيها من تطورات سياسية واقتصادية وبشرية وحضارية تأثراً بعيد المدى.

وهذا النهج في الدراسة لا يمنع من التركيز على الكيان الفلسطيني، واستنباط الحقائق التاريخية له، من خلال الوقوف على الأدلة والشواهد الأثرية، بل إن هذا النهج - فيما نرى - من شأنه أن يثري البحث أثراء ملحوظاً من جهة، ويدلل على العلاقة الوطيدة التي كانت تربط فلسطين بجيرانها من جهة أخرى.

ولعل تضاريس فلسطين وموقعها الجغرافي يشكلان ظاهرة هامة في تاريخ فلسطين وعلاقاتها بالأقطار المجاورة حيث أثر تأثيراً واضحاً في كيانها الحضاري والسياسي والثقافي عبر العصور المختلفة. فقد كان السهل الساحلي الطريق الرئيسي الذي يصل شمال فلسطين بجنوبها وعبر جزئه الشمالي تفاعلت التأثيرات الحضارية المتبادلة بين فلسطين وسوريا ولبنان والكيانات السامية والهند وأوروبا التي شهدتها هذه المناطق.

ومن خلال الجزء الجنوبي كان التفاعل الثقافي والسياسي بين فلسطين ومصر كما شهد الساحل البحري لهذا السهل التأثيرات الحضارية المتبادلة عبر

البحر المتوسط مع جزر بحر إيجة، وشهد التحركات الهند وأوروبة

الايجية نحو الساحل الفلسطيني كما كان نهر الأردن الطريق الرئيسي بين أطراف الهلال الخصيب الذي شهد توالي وتدفق التحركات البشرية السامية إلى الأراضي الفلسطينية، عبر الصحراء العربية ومنطقة الهلال الخصيب، فأضاف هذا التدفق دماءاً جديدة إلى الشعوب المستقرة، وساهم مساهمة حاسمة في بناء حضارتها.

ومن الظواهر الهامة التي تلفت النظر في تاريخ المنطقة، التشابه الذي يبدو بين مخلفات حضارات المنطقة العربية في منطقة الشرق الأدنى القديم في وادي الرافدين ووادي النيل وسوريا القديمة منذ أقدم العصور حيث خرج إنسان ذلك العصر من نطاق قريته باحثاً عن إمكانيات مادية جديدة في البيئات المجاورة، لتطوير حياته وتنميتها في كافة المجالات متأثراً بمقوماتها الاقليمية وببعض العناصر الخارجية، ويمكن اعتبار التشابه بين مخلفات حضارات مصر القديمة في الفيوم[1] وحلوان العمري، ومرمدة بني سلامة، والحضارة النطوفية في فلسطين من أقدم بوادر الصلات في المنطقة. ويمكن للباحث ملاحظة وتتبع الصلات الحضارية بين هذه الأقطار في المراحل التالية.

ففي العصر الحجري الحديث، تشير الأدلة الأثرية في مدينة أريحا الفلسطينية إلى وجود تحصينات حجرية دفاعية واضحة المعالم في الطبقتين العاشرة والتاسعة التي تعتبر محاولة للدفاع ضد التسللات البشرية الخارجية. ومما يؤكد الصلات في هذه المرحلة العثور على بعض أدوات الزينة مثل الدهنج (Malachite) المستخدم لكحل العين بين مخلفات حضارة البداري حيث يرى كل من هاكس وولي (Haweks, J.and wooley,L.) أن أدوات الزينة الشخصية وكذلك المواد التي صنعت منها كانت من العناصر الأساسية لتجارة المسافات الطويلة منذ العصر الحجري الحديث حين حاول إنسان تلك المرحلة بطريقة أو بأخرى الحصول على المعادن الثمينة اللازمة لصناعة الحلى، ومن ثم جمع الذهب والنحاس والعاج والعقيق وغيرها من المواد الجذابة ذات الألوان البراقة[1]. وهذا يفسر وجود أصداف بحرية من البحر الأحمر بين مخلفات

---

(١) Haweks. J. And wooley. L. Prehistory and the beginning of civilisation. UNESCO. 1963. p.52.

البداري حيث كانت مصر العليا سهلة الاتصال في بعض الأحيان بواسطة البحر الأحمر عن طريق وادي الحمامات مما قد يسمح بتحقيق تلك الاتصالات في هذا الجانب.

وفي مرحلة عصر الحجر والنحاس، حوالي الألف الخامس ق.م، دخلت العلاقات بين هذه الأقطار مرحلة جديدة من التطور حيث شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم عامة تطوراً حضارياً ملحوظاً حقق فيه إنسان تلك المرحلة مزيداً من الاستقرار، وما تبع ذلك من تطور في حياته بعد التوصل إلى استخدام معدن النحاس.

أما بالنسبة للعلاقات البشرية فهي ترتبط بالمرحلة الحضارية السابقة واللاحقة، وذلك لتعرض المنطقة لموجات متتابعة من التحركات البشرية، وقد تعرضت فلسطين للتحركات البشرية وبشكل خاص السامية منها والتي كانت تتجه إلى منطقة الهلال الخصيب من حين لآخر، يدل على ذلك التحصينات الحجرية للمدن الفلسطينية التي بدأت تظهر منذ العصر الحجري الحديث واتضحت معالمها مع بداية العصر التاريخي.

أما المرحلة الحضارية التالية والتي تشمل عصور ما قبل الأسرات وتمتد خلال الألف الرابع ق.م فانهاتعتبرخلاصة تجارب الانسان الطويلة في عصور ما قبل التاريخ: فيها تكونت المبادىء والتقاليد الدينية والسياسية والاقتصادية، وقبيل نهايتها حدثت الدفعة الانتقالية للعصر التاريخي في المنطقة. لقد كان لاستخدام الأدوات المعدنية في الزراعة واستخدام الفخار في تخزين الفائض، الأثر الكبير في توفير المحاصيل في كل مكان بالاضافة إلى زيادة الاستقرار في القرى الثابتة وانتشار النشاط الحضاري والبشري والتجاري في جميع بلاد الشرق الأدنى القديم.

كما امتازت القرون الأخيرة من هذه المرحلة بالتقدم السريع وكثرة اتصال الشعوب بعضها ببعض، وإقبالها على تبادل المصنوعات فيما بينها كما يبدو في العديد من المظاهر الحضارية الخارجية في الأقاليم المختلفة. على أن هنالك ظاهرة أخرى مهمة، تركت بصماتها على صفحات تاريخ المنطقة، هي

التحركات البشرية في نهاية هذه المرحلة، فإن هذه التحركات قد تركت أثراً بدا أكثر وضوحاً في فلسطين منه في سائر الأقطار المجاورة، إذ تميزت هذه المرحلة في فلسطين بتعدد العناصر البشرية التي وفدت إليها حيث يلاحظ استمرار ظاهرة التحصين الدفاعي من الحجر باستخدام الجدران السميكة في بعض المواقع الفلسطينية مثل «خربة كرك» كنوع من الحماية توسلت به المجتمعات السامية المستقرة تجاه العناصر السامية الجديدة الوافدة. وأن ما عثر عليه من أوان فخارية في مجدو وأريحا وما تضمنه من عناصر جديدة تميزت بالخطوط المموجة والمتقاطعة يثبت بالأدلة الأثرية وجود عناصر جديدة، ويؤيد ذلك تنوع الأواني الفخارية المنتمية إلى أنماط حضارية مختلفة. ومن ناحية أخرى يستدل من الأواني الفخارية الغسولية أن تلك الجماعات سامية وقد امتزجت مع السكان الأصليين. وان تلك التحركات السامية قد استمرت في أثناء هذه المرحلة وخاصة في نهايتها المعروفة بمرحلة الانتقال إلى العصر التاريخي.

والذي لا شك فيه هو استمرار التحركات البشرية السامية من الجزيرة العربية على شكل موجات متتابعة نحو الأراضي الخصبة في سوريا والعراق، وأحياناً إلى مصر باتجاههم شمالاً عن طريق سيناء، وجنوباً بعبورهم بوغاز باب المندب، وقد دخل بعضهم مصر عن طريق الصحراء الشرقية، ووصلوا إلى وادي النيل من الدرب الموصل بين القصير والنيل عند قفط حيث اشتهر هذا الدرب في جميع عصور التاريخ المصري وكانوا يسمونه «طريق الآلهة»[1] وفي مرحلة الانتقال للعصر التاريخي، توسعت العلاقات الحضارية بين أقطار المنطقة وشملت جزر شرق البحر المتوسط بالاضافة آإلى مصر وبلاد الرافدين وبلاد الشام، مما دفع تلك الصلات لتصبح أقرب إلى الصفة الدولية. ويظهر تأثير بلاد الرافدين واضحاً في صناعة الفخار المصري بحيث عثر على مجموعة من الأواني الفخارية ذات الصنابير المائلة وأخرى ذات آذان مثلثة في مستجدة والبداري تعود إلى عصور حضارة الوركاء وجمدة نصر في كل من جرزة ونجع

(١) نسبة إلى عبور أسلافهم هذا الطريق، مصحوبين بالآلهة التي كانوا يعبدونها.

الدير[1]. وتتضح التأثيرات الحضارية لجزر شرق البحر المتوسط في بعض الأدوات كاستخدام رأس الصولجان ذي الشكل الكمثري بالاضافة إلى الآثار المتصلة بالجوانب الكمالية من حياة إنسان تلك المرحلة كأدوات الزينة واللوحات الأردوازية والأساور النحاسية والعاجية.

وهكذا يلاحظ الباحث ارتباط أقاليم المنطقة العربية بالتاريخ العام لهذه الأقاليم قبل العصر التاريخي من خلال ارتباطاتهم الأثرية بالاضافة إلى الصلات الخارجية فيما بينهم وكذلك من خلال وجود تشابه واضح في التطور الحضاري بينهم. وهذا التشابه يتضح بصورة خاصة في أسلوب التوصل إلى حياة الاستقرار، وفي صناعة الفخار بالاضافة إلى استعمال أساليب فنية واحدة وطرق تزيين مماثلة ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال مقارنة تلك الكميات من الأواني الفخارية والصناعات البدائية المختلفة التي وجدت في المواقع المختلفة لتلك الأقاليم، والمنتمية إلى تلك المرحلة، بمثيلاتها في المواقع المختلفة وبخاصة تلك الأواني التي تمثل نهاية تلك المرحلة، والتي تعرف بمرحلة الانتقال إلى العصر التاريخي. فهذه المقارنة الفاحصة أصدق دليل على علاقة تلك الأقاليم فيما بينها بشكل مؤثر وحضاري. ولقد خطت هذه العلاقات بوجه عام خطوات هامة في توثيق الصلات بين تلك الأقاليم حيث لعب الجانب البشري دوراً هاماً بسبب اتساع دائرة تلك الصلات وتعرض الجانبين للتحركات البشرية السامية التي تظهر بوضوح أكثر في أقاليم العراق وبلاد الشام وفلسطين.

وفي العصر التاريخي، كان للتحركات البشرية في هذه المرحلة أثر هام على مجرى الأحداث التاريخية في منطقة الشرق الأدنى القديم عامة والأقاليم العربية فيه وبخاصة العراق وبلاد الشام ومصر بصورة خاصة، ففي مطلع هذه المرحلة تعرضت فلسطين لموجات سامية متتابعة استقرت طلائعها الأولى في مناطقها الوسطى[2] وتبين من دراسة المخلفات الأثرية الممثلة في الصناعة

---

(١) Kantor, R.H., Journal of near Eastern studies, vol. X1, 1952, p.23g.

(٢) Vaux, R.de, C.A.H., Ch.8., p.27.

الفخارية الخاصة بالمناطق التي استقرت فيها تلك العناصر في بيبلوس وجنوب سورية وفلسطين وجود ما يشير إلى اتصال حضاري بين هذه المناطق ويرجح بالتالي أن وفودها إلى فلسطين كان من الشمال وربما كان تقدمهم عن طريق وادي الأردن ثم عبروا النهر بالقرب من أريحا متجهين إلى المناطق الجبلية الداخلية. ومما يرجح ذلك عدم وجود أدلة تشير إلى أن قدومهم كان من الجنوب في ذلك الوقت، ولكن من المحتمل أنهم قد وصلوا إلى جنوب فلسطين تدريجياً في المراحل الأولى من هذا العصر.

على أن الاستقصاء في البحث قد كشف لنا عن ظاهرة أخرى جديدة، تلوح من خلال تاريخ فلسطين وتاريخ المنطقة برمتها أيضاً.

فقد أبرزت لنا نتائج الحفريات التي جرت في مواقع مختلفة من فلسطين أنها كانت آهلة في السكان منذ عصور البرونز المتتالية، وعصر الحديد، ودلت على أن أولئك السكان كانت تجمعهم صفات وعادات عدة قبائل متعاصرة تشترك بتتابع ثقافي واضح المعالم وتكون مقومات شعب واحد هو الشعب الكنعاني خلال هذه المرحلة (من ٣٠٠٠- ١٠٠٠ ق م) كما أن هذه الأدلة تتفق إلى حد كبير مع الأدلة التي عثر عليها في المواقع المعاصرة في الأردن، فقد وجد في عدة مواقع أردنية منها «تل الحصن» و«مؤاب»، و«جلعاد» بقايا هياكل بشرية وأواني فخارية وبعض الأدوات الأخرى تؤكد أن جزءاً على الأقل من الشعب الذي سكن فلسطين (الكنعانيين) في هذه المرحلة وبخاصة في سهل «إزدراليون» مرج بني عامر، كان يسكن شرقي الأردن.

وتشير الأدلة الأثرية أيضاً إلى وجود علاقات قوية بين العديد من المواقع الحضارية الفلسطينية وبين المواقع الحضارية السورية وبخاصة قطنة وتل. أس (As) و«براه» (Brah)، و«رأس شمرا»، وبيبلوس في لبنان ومنها تتشابه أنماط الديكور والزخرفة على الأواني الفخارية المنقوشة بشكل خطوط مموجة، كما تتشابه مع تل «براك» (Brak)، «خابور» (Khabur) في العراق، وترى كينيون أن الجماعات التي عاشت في أرض فلسطين في هذه الفترة «الكنعانيين» كان لها الأصل المباشر في سوريا أو على الأقل نفس الأجداد. وهذا يتفق مع تحرك

الكنعانيين من الجزيرة العربية في الموجة السامية الكنعانية المعروفة في مطلع الألف الثالث. ق.م.

وتعتبر مدينة أريحا الفلسطينية خير مثال للتعرف على سكان فلسطين في هذه المرحلة حيث تم التنقيب في ٣٤٦ قبراً فيها كشفت عن عادات وتقاليد الدفن بالاضافة إلى الأواني الفخارية وما عثر عليه بداخلها من خناجر وبعض الأدوات. وتتميز تلك المقابر بامكانية تقسيمها إلى سبع مجموعات تتشابه في معظم المجالات وتتباين في مجالات أخرى لكنها جميعاً متعاصرة ولقبائل تتفق في كثير من أمور حياتها.

ومخلفات هذه المقابر من أواني فخارية وأدوات وأسلحة معدنية وعادات دفن تتفق مع الشواهد التي كشفت عنها الحفريات التي أجريت في مناطق أخرى من فلسطين رغم وجود بعض الفروقات المحدودة التي ربما أثرت فيها عوامل البيئة، فهي تتفق مع نتائج حفريات، تل العجول، وبيسان، وتل بيت مرسيم والقدس، ومجدو مما يشير إلى وضوح التتابع الثقافي أو الحضاري في جميع أرجاء فلسطين خلال عصر البرونز المبكر الذي يتفق مع مواقع أخرى في مناطق سوريا ولبنان ومنها ما يتضح في صناعة الأواني الفلسطينية ذات العلاقة الوثيقة بالأواني التي وجدت في سوريا وبخاصة في «قطنة» وكذلك في «أس» (As) ومراكز أخرى، وبخاصة الخناجر والدبابيس ذوات الرأس المفتوح حيث وجد منها في «رأس شمرا» وبيبلوس ومن خلال أنماط الزخرفة التي تظهر بوضوح على الأواني الفخارية في تلك المواقع.

وتلوح لنا ظاهرة أخرى في تاريخ المنطقة، تمثلت في الاضطراب الذي شهدته تلك المنطقة في نهاية مرحلة الألف الثالث. ق.م. حيث اضطربت العلاقات عامة بين أرجاء منطقة الشرق الأدنى القديم آنذاك ومن الممكن الجمع بين الحقائق التي ترتبت على تحرك هذه المجموعة البشرية على أساس ترابطها مع بعضها البعض ممثلة في اندفاع هذه العناصر نحو منطقة الهلال الخصيب واصطدامها مع بلاد ما بين النهرين وإنهاء أسرة أور الثالثة الحاكمة في العراق، ثم تدمير بعض المدن الفلسطينية، وكذلك إنهاء الدولة المصرية القديمة بالاضافة إلى اضطراب الأحوال بصورة عامة في منطقة الشرق الأدنى القديم

قبيل نهاية مرحلة الألف الثالث ق.م. وهذا يدل على وجود ظاهرة عامة تتمثل في تهديد معالم الاستقرار السياسي في المنطقة في تلك الفترة مما يؤكد ارتباط تاريخ هذه الأقاليم ارتباطاً وثيقاً بالأحداث التي تعرضت لها المنطقة.

لقد تتابعت الأحداث التاريخية في منطقة الشرق الأدنى القديم خلال مرحلة الألف الثاني ق.م. في المجالات الاقتصادية والسياسية والبشرية والحضارية وبصفة خاصة في النصف الثاني من هذه المرحلة. فقد اختلف تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثاني ق.م اختلافاً كلياً عن المراحل التاريخية السابقة، ففي عصور ما قبل الأسرات بدأت المدن وحكوماتها في التكوين حتى وصلت إلى مستوى الدويلات والدول خلال الألف الثالث.ق.م. أما في مرحلة الألف الثاني ق.م فقد حدث تحول كبير في تاريخ شعوب ودول المنطقة اكتسبت العلاقات فيه الصفة الدولية في صورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية لدرجة كبيرة خاصة في النصف الثاني من هذه المرحلة التي تميزت بتحركات بشرية هامة ترتب عليها صراع القمة بين الامبراطوريات القائمة آنذاك في أثناء التوسع المصري على عهد الامبراطورية المصرية وظهور القوى الحثية والميتانية في منطقة جنوب غربي آسيا.

وكان لظاهرة التوسع والانتشار مبرراتها البشرية والسياسية في المنطقة والتي تجلت بصفة خاصة في منطقة «فلسطين سوريا لبنان» خلال هذه المرحلة، وتتضح هذه المبررات في ظاهرة التحركات البشرية الهائلة التي مرت بمنطقة الشرق الأدنى القديم واتخذت من منطقة «فلسطين - سوريا - لبنان» مسرحاً لها سواء العناصر السامية منها أو الهندوأوروبية، والتي ترتب عليها تغيير في الواقع البشري وبالتالي في مجريات الأمور في الجوانب السياسية والحضارية والاقتصادية.

ويصعب تحديد زمن دقيق للتحركات الأولى، والسائد أن تحركات تلك الشعوب وخصوصاً السامية قد بدأت في مراحل عصور ما قبل الأسرات، واتسعت في العصر التاريخي، ثم انتشرت على نطاق أوسع فاتخذت شكل موجات متتابعة خلال مرحلة الألف الثاني ق.م.

لقد عرفت الشعبة التي اتجهت إلى العراق القديم بالعناصر الأكدية والبابلية والأشورية التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العراق القديم، كما ويعتبر نشاطها استمراراً للنشاط السلمي الذي ساد بلاد الرافدين في الألف الثاني ق.م، وبصفة خاصة في عصر الدولة البابلية الأولى بزعامة حمورابي، ورغم ذلك فإن الصراع البشري لم ينته في هذه المرحلة، فما إن سيطر الكاشيون على بابل حتى بدأ صراع طويل مع أسرة القطر البحري في الجنوب ومع العيلاميين في الشرق والجنوب الشرقي ومع الأشوريين في الشمال الشرقي.

واتجهت شعبة سامية ثانية نحو الشمال الغربي واستقرت في فلسطين ولبنان وجنوب سوريا وعرفت بالكنعانية، وأما بعض عناصرها التي اتجهت نحو الساحل السوري اللبناني الفلسطيني فعرفت بالفينيقية، وقد عرفت الشعبة السامية التي اتجهت إلى سوريا بمحاذاة الفرات واستقرت في أواسط سوريا ولبنان بالأمورية، وقد أسست دولة ماري «تل الحريري» في جنوب شرق سورية، ثم اتسعت دولتهم فشملت معظم سوريا وامتدت من آشور شمالاً إلى «لارسا» جنوباً، ومن البحر المتوسط غرباً إلى مرتفعات عيلام شرقاً وكونت جزءاً كبيراً من سكان سوريا فأصبحت تلك المنطقة في النصف الأول من هذه المرحلة آمورية في سكانها وحضارتها، ولذا أطلق على هذا الاقليم في النصوص المصرية القديمة اسم بلاد آمور نسبة إليهم.

أما الشعوب الهندوأوروبية فقد دخلت المنطقة للمرة الأولى في تاريخها في النصف الأول من الألف الثاني ق.م.، وعرفت عناصرها التي مرت بسوريا ولبنان وفلسطين بالهكسوس وهي عناصر آسيوية اختلطت بالعناصر السامية في هذه المنطقة ثم اتجهت إلى مصر واستطاعت السيطرة على معظمها وأقامت دولة الهكسوس التي ضمنت بالاضافة لمصر كلا من فلسطين ولبنان وأجزاء من سوريا، وعرفت فترة حكمهم لمصر بعصر الهكسوس. كما استطاعت العناصر الميتانية من حورية (Hurrians) وسوبرية (Suberrians) إنشاء دولة ميتاني في الشمال الشرقي من المنطقة.

وقد استطاعت عناصر هندوأوروبية أخرى عرفت بالحثية ، وقد عرفها

المصريون (Kḍdy) أو خت (Ḥt) أو خاتن (Babyl.: Ḫatti) أن تقيم مملكة لها في الأناضول التي اتسعت فيها بعد فشملت معظم سوريا وتمكنت من بسط نفوذها السياسي في أرجاء واسعة من المنطقة.

وفي النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. حدث تعديل كبير في الكيان البشري لمنطقة شرق البحر المتوسط في لفترة ما بين (١٤٠٠-١٢٠٠ق.م) بسبب استقرار عناصر الهندوأوروبية جديدة على السواحل الشرقية للبحر المتوسط في فلسطين وسوريا ولبنان نتيجة تعرضها لضغط بشري من الشرق والشمال الغربي في موطنها في جزر بحر إيجه، والبحر التيراني بالبحر الأبيض المتوسط، وقد أطلقت عليها النصوص المصرية القديمة إسم شعوب البحر. وقد حذا حذوهم معظم المؤرخين فيما بعد. وتظهر هذه الشعوب في النصوص المصرية القديمة تحت أسماء مختلفة مثل «برست» (prest) أو «بيلتس» (pelesti) و«الشردان» (Šrdn)، و«الوشش» (Wšš)، و«الأيكر» (Ijekker)، و«الكشكش» (Kšks)، والغالب أنهم من سردينيا وصقلية. ولقد أثرت هذه الشعوب البحرية تأثيراً كبيراً في تاريخ الشرق الأدنى القديم في هذه المرحلة حيث استطاع بعضها القضاء على الدويلات الحثية، كما احتلت إحدى شعبهم المعروفة باسم «برست» أو الفلسطينيين معظم أرض كنعان التي سميت فميا بعد بفلسطين وعلى الرغم من أهمية الشعوب الهندوأوربية ونجاحها في الاستقرار في أجزاء من سورية ولبنان وفلسطين إلا أن استمرار التحركات السامية الأمورية والكنعانية وخاصة الفينيقية على الساحل اللبناني الفلسطيني، وأخيراً العناصر الآرامية والأشورية خلال النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. قد حافظ على الصبغة السامية للمنطقة.

لقد ترتب على تلك التحركات البشرية الهائلة في لمنطقة ارتفاع في حدَّة الصراع السياسي بين الشعوب القاطنة والوافدة إذ دفعت تلك التحركات البشرية والكيانات السامية القائمة إلى ضرورة التوسع في محاولة تثبيت كيانها وإيقاف التحركات الوافدة إليها، وقد أدى هذا بدوره إلى ظاهرة التوسع فحاولت كل منها حماية حدودها ونشر نفوذها وسرعان ما زاد الاتصال بين أرجاء المنطقة المختلفة فاتصل المصريون والميتانيون ثم الأشوريين وتبع ذلك

استمرار العلاقات الاقتصادية والسياسية والبشرية والفكرية مما أضفى الصفة الدولية بأوضح صورها في تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم خلال الألفين الثاني والأول ق.م. بمعنى أن تاريخ كل إقليم في تلك المنطقة أصبح يمثل تاريخ المنطقة ككل لأنه ارتبط بكافة المجالات السياسية والحضارية والاقتصادية.

ويمثل تاريخ فلسطين نموذجاً لتلك الظاهرة الشاملة في تاريخ المنطقة في تلك الفترة إذ يلمس المؤرخ لتاريخها مدى التداخلات الحضارية والاقتصادية والبشرية، إذ حتم موقعها الجغرافي أن تكون المسرح الرئيسي لجميع تلك التحركات البشرية السامية منها والهندوأوربية مما جعلها مكاناً لالتقاء كافة الحضارات المحيطة وبوتقة لانصهار تفاعلاتها السياسية فارتبط تاريخها عملياً بمجريات الأمور في المنطقة خصوصاً في النصف الثاني من مرحلة الألف الثاني ق.م. ومن أهم المظاهر التي يلمسها الباحث بوضوح في الطبقات الأثرية لتلال المدن الفلسطينية المعاصرة لتلك المرحلة ظاهرة النشاط التجاري والحضاري الكبير مع كافة المراكز السياسية المحيطة بفلسطين سواء مع مصر أو بلاد الرافدين أو الأناضول.

أما مصر بالذات فقد كان لها روابط تاريخية خاصة بفلسطين بسبب الجوار الجغرافي والاتصال الطويل الأمد بينهما فقد بدأت بوادر تلك الصلات باتصال حضاري وتجاري منذ عصور ما قبل الأسرات. ثم اتسعت لتشمل نوعاً محدوداً من العلاقات السياسية بالاضافة لنشاط العلاقات الحضارية والتجارية أثناء الألف الثالث ق.م. أما في مرحلة الألف الثاني ق.م. فقد وصلت العلاقات الاقتصادية والسياسية والبشرية والحضارية وبلغت ذروتها في النصف الثاني من الفترة حيث أصبحت فلسطين جزءاً من الامبراطورية المصرية وخط الدفاع الأول عنها.

وثمة ظاهرة أخرى، برزت من خلال وقوفنا على المرحلة التاريخية للألف الثاني قبل الميلاد، تشير إلى أن فلسطين كانت ذات دور مؤثر في الأحداث، بل إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه الأحداث التي حدثت في الأقطار المجاورة، فالآثار المختلفة، سواء تلك التي عثر عليها في فلسطين، أو في

خارج أرضها، والعلاقات التي كانت تربط سكان فلسطين بغيرهم من سكان الأقطار المجاورة، كل ذلك يشير إلى أنها كانت تحتل مكانة حضارية مرموقة في عصورها المتعاقبة. كما أن هذه الأدلة ونخص منها بعض الأدوات والصناعات الفخارية تشير بوضوح إلى تتابع حضاري وثقافي يعتبر استمراراً لعصر البرونز-المبكر حتى عصر الحديد حوالي ١٠٠٠ق.م، حيث تطورت تلك الأدوات والصناعات بصورة متصلة عبر تلك العصور. أما الأدوات التي عثر عليها في فلسطين وتختلف في صناعتها عن الأدوات والصناعات الفلسطينية فهي تعود إلى الفترة من (١٥٨٠-١٥٦٠ق.م)، ولا تعبر عن وجود شعوب جديدة ولا تمثل انفصالاً أو انقطاعاً حضارياً لأن معظم تلك الأدوات تعود إلى الفترة التي شهدت طرد الهكسوس من مصر ولجوء بعضهم إلى فلسطين، واستئناف مصر لتجارتها مع الأقطار الآسيوية وبخاصة في شرقي البحر المتوسط. كما أن الشواهد تشير إلى استمرارية الثقافة الفلسطينية خلال عصر الحديد رغم احتلال الفلسطينيين «من بحر إيجه» لأجزاء من فلسطين وإدخال بعض الأدوات والصناعات الإيجية الطابع إلى بعض مناطقها.

إن لهذا الاستمرار في التتابع الثقافي بفلسطين أهمية متميزة في عصر الحديد الذي شهد تسرب العناصر الاسرائيلية مع مطلع الألف الأول ق.م. إلى أرض فلسطين، وهو يؤكد رأي كينيون بأن العناصر الاسرائيلية قد أتت إلى فلسطين كقبائل رحل أساساً مع قليل جداً من الموجودات التي كان يملكها من قبلهم، وإن ما يشير إليه الدليل الأثري من أنماط حضارية جديدة في الصناعة الفخارية حوالي ١١٠٠ق.م، لا يمكن اعتباره اسرائيلياً، حيث يتضح في هذه الصناعات الأنماط الفلسطينية «الإيجية» بكل وضوح.

وقد أشارت التوراة في أكثر من موضع وبخاصة في «جوشا» أن الاسرائيليين دخلوا فلسطين وهي آهلة بالسكان، وذكرت بأن الكنعانيين كانوا يسكنون المناطق الساحلية والداخلية والسهول الخصبة لنهر الأردن، وأن قبائل أخرى من أمورية وحثية وغيرها كانت تسكن المناطق الجبلية والتلال ومنطقة النقب، كما أن الكتب ذات الصلة بالكتاب المقدس التي تشير إلى استقرار الاسرائيليين في فلسطين تذكر عدداً من القبائل إلى جوارهم، وقد أشارت

التوراة إلى أن منطقة عبر الأردن ابتداء من «حازور» في الشمال إلى «لاخش» في الجنوب التي كانت تسودها ثقافة واحدة.

ويتبين من المصادر الأثرية ومن التوراة أن الأموريين كانوا يسكنون في شرقي الأردن بصورة رئيسية وأن الكنعانيين كانوا يسكنون غربي الأردن وتنص التوراة على أن الأموريين والكنعانيين كانوا أعداء الاسرائيليين الرئيسيين في شرقي وغربي الأردن رغم أنها تورد أسماء بعض القبائل المعادية لهم، إلا أن هذه القبائل أو الفئات تبدو ذات أهمية قليلة لأنها قبائل متجولة ومنها الجرجاشيين والبيرزانيين والحثيين. فقد جاء في «جوشا» أن الاموريين والكنعانيين قد حاربوا اليهود متحدين وقاوموا دخولهم إلى فلسطين وإن المدن الكنعانية ومنها «بيسان» و«تاناخ» و«أريحا» و«أم دور» و«دور وابليم» و«مجدو» قاومت بكل عنف تسرب الاسرائيليين إلى أرض فلسطين. وترى كينيون أنه لمن الصعب أثرياً في أي منطقة من فلسطين يمكن أن تشير إلى قدوم شعب جديد وتؤكد أن قدومهم إلى فلسطين كان تسرباً. والأرجح أن الاسرائيليين قد دخلوا إلى فلسطين مع مطلع الألف الأول ق.م.

خاتِمَة

موضوع هذا البحث: فلسطين تاريخها وحضارتها، منذ أقدم العصور حتى عصر الحديد، وهو موضوع يتناول تاريخ فلسطين ويستقصي أحداثها، ويرصد منجزاتها الحضارية منذ أقدم العصور وحتى عصر الحديد حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م.

وقد كشفت لنا البحث أن فلسطين كانت تشغل حينئذ جزءاً هاماً من بلاد الشام، كما كانت سوريا القديمة[1]، وبلاد الرافدين ووادي النيل جميعاً تحتفظ بأعرق الحضارات في منطقة الشرق الأدنى القديم، ذلك الشرق الذي يعتبر -بحق- مهد الحضارات الانسانية وأساسها.

وقد تبين لنا من خلال النصوص التاريخية التي وقفنا عليها، والآثار التي تنتشر في أرجاء هذا الشرق، إنه يعتبر جسداً واحداً من الناحية الحضارية، فالظواهر التاريخية فيه مشتركة بإيجابياتها وسلبياتها، كما أن الغزو الخارجي والتحركات البشرية قد استهدفت أقطاره جميعاً، أضف إلى ذلك، أن الأحداث السياسية التي كانت تحدث في قطر منه كانت تترك آثارها على سائر أقطاره، فمن مجموعة هذه الاعتبارات خرجنا برأي ينص على أن فلسطين القديمة، وما يجاورها من أقطار، كانت تعيش ظروفاً سياسية واجتماعية واقتصادية متشابهة.

وجادت الطبيعة على فلسطين بموقع جغرافي ممتاز، وبتضاريس طبيعية متميزة، فجعلتها تقع موقع القلب في المنطقة العربية، ولعل هذا الموقع، هو الذي جعل فلسطين تتأثر تأثراً مباشراً بالأحداث التاريخية التي كانت تجري

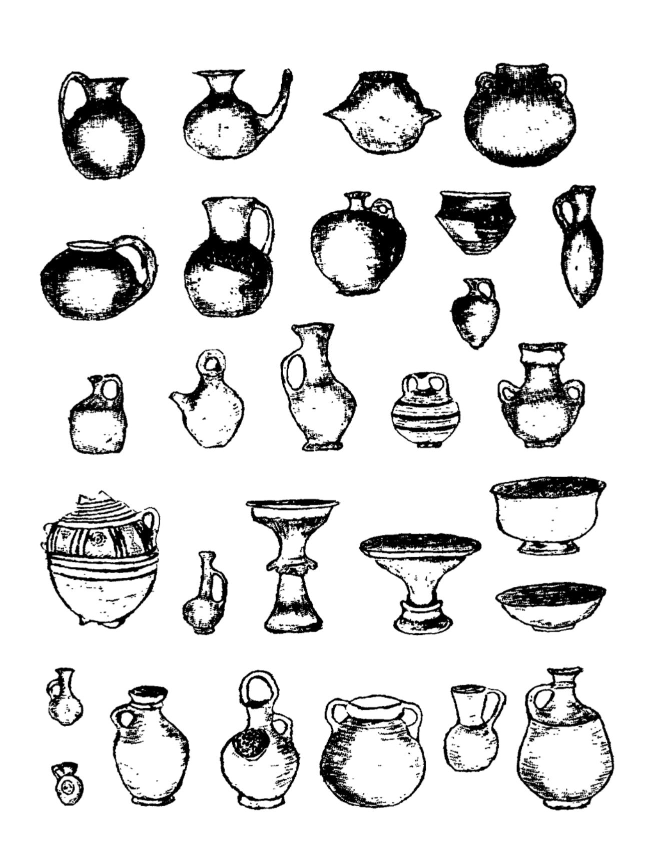
(١) نعني بها فلسطين -سوريا- لبنان- الأردن.

على الساحة آنذاك، ومن هنا فقد تراءى لنا أن فلسطين قد تفاعلت مع جميع الأقطار تفاعلاً تاريخياً وحضارياً وسياسياً، بل أن رفضها وموقعها الجغرافية كانت المسرح الرئيسي لتلك الأحداث.

وعلى الرغم من هذا الالتقاء التارخي مع المنطقة، فقد ظلت فلسطين تحتفظ بشخصية سياسية خاصة، وتظهر بمظهر سياسي متميز، فكانت لها مقوماتها الذاتية، وحضارتها الخاصة، وثقافتها التي تنفرد بها عن الأقاليم التي تجاورها، وظلت تحظى بعناية الباحثين واهتماماتهم، وتسترعي انتباه الدارسين والمهتمين بالأحداث التاريخية وانعكاساتها، كما كان لبلاد الرافدين ولوادي النيل حضارتها التي تميزهما عن غيرهما أيضاً.

ومن يقف على تاريخ فلسطين القديم يجد أنها تعرضت في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد -حيث تنتهي هذه الدراسة- لأحداث سياسية كبيرة، لعل أهمها تلك الغزوات التي قامت بها الشعوب الهندوأوربية عبر البحر المتوسط، ثم الغزو الاسرائيلي، وغيره من الغزوات المتعاقبة ونرى أن هذه الفترة الزمنية من تاريخ فلسطين تحتاج إلى دراسة رائدة تكشف عن أحداثها، وعن النتائج التي ترتبت على تلك الأحداث.

وبعد، فإن البحث والاستقصاء قد بينا لنا بما لا يدع مجالاً إلى الشك بأن فلسطين بقيت أرضاً عربية على الرغم من فترات الاضطرابات لتي تعرضت لها.



نماذج من الفخار الفلسطيني في الالف الثاني ق.م.



قائمة المراجع العربية والمترجمة

(أ) المراجع العربية:

١ - أحمد فخري، درراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٦٣.

٢ - رشيد الناضوري، المدخل التحليلي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي اسيا وشمال افريقية، الكتاب الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٧.

- التطور التاريخي للفكر الديني، دار الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٩.

٣ - سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الأول، مطبعة كوثر، مصر.

٤ - محمد عبد القادر محمد، الساميون في العصور القديمة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٨.

٥ - مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول، منشورات دار الطليعة، بيروت ١٩٦٤.

٦ - نجيب ميخائيل ابراهيم، مضر والشرق الأدنى القديم، الكتاب الثالث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤.

(ب) الكتب المترجمة للعربية:

١ - الحظرة المصرية، تأليف ج. ولسون، ترجمة أحمد فخري، القاهرة ١٩٥٥.

٢ - الحضارات السامية القديمة، تأليف سبتيينو موسكاتي، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٧.

٣ - الحضارة الفينيقية، تأليف ج. كونتنو، ترجمة د. محمد عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط القاهرة ١٩٤٨.

٤ - أضواء على العصر الحجري الحديث، ٣ فصول مترجمة من كتاب ما قبل التاريخ

وبداية المدنية، ج. هاوكس ول وولي، ترجمة عبد الرازق الجوهري، بيروت، مكتبة الجامعة العربية ١٩٦٧.

(ج) نشرات أو كتيبات علمية:
«أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان»، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨.

(د) الكتب المقدسة:
١ - القرآن الكريم.
٢ - العهد القديم.

المراجع الأجنبية

— Albright, W.F., Archaeology Of Palestine, Pelican, London, 1961.
— Some Remarks On the Archaeological Chronology of Palestine Before About 1500B.C.
In, Chronologies In Old World Archaeology, Edited By Robert W. Ebrich, the University Press, Chicago and London, 1967.

— Breasted, J.H. Ancient Records Of Egypt, Vol.I, 3rd. ed., University of Chicago, 1962.

— Black man, A.M., The Rock Tombs Of Meir, Part 3, London, 1914-53.

— Black Man, A.M., The Literature Of The Ancient Egyptian In, Erman, Ed., London, 1960.

— Braid Wood, R., and Braid, L., Excavation In The Plain Of Antioch, Chicago, 1960.

— Bisson de la Roque, F., Treser d, Tod, (C.C.G.M.S.7050I- 711), Cairo 1950.

— Cerny, J., Senites In Egyptian Mines Expenditions To Sinai In, arch, Orient, 7, London, 1935.

— Dunad, M. Fouilles de Byblos, Vol.I, Paris 1926-1932.

— Emery, W.B., Archaic Egypt, London, 1963.

— Engberg. R.M. and Shiption. Notes On the Chalcolithic and Early Bronze Pottery Of Megiddo. Chicago. 1934.

— Fakjry. A.. The Bent Pyramid at Dahshur. Cairo. 1954.

— Gardiner. A.H. Ancient Egyptian Onomastica. Vol.I. Oxford University Press. 1947.
— Egypt Of The Pharahos. Oxford University Press. London. 1966.

— Gardiner. A.H.. Peet. and Cerny. J. The Inscriptions Of Sinai. Part I. Lodon. (E.E.S.) 1952.

— Guy. P.L.O.. Megiddo Tombs. Chicago. 1938.

— Hays. W.C.. The Scepter Of Egypt. Part I. New York. 1953.
— Egypt. From The Death Of Amenemes II. In. CAH. Cambridge. 1962.

— Hawkes. J.. and Wooley. L.. Prehistory and The Beginning Of Civilization. UNISCO. 1963.

— Kenyon. K.. Archaeology In The Holy Land. Third Edition. London. 1969.
— Amorites and Canaanites. Oxford. 1966.

— Kantor. J.H.. The Chronological Frame Work In Egypt. In. C.O.W.. Edited In. The United States Of America. 1967.

— Loud. G.. Megiddo II Seasons Of 1935-39 (O.I.P.62). 2 Parts. Chicago. 1948.

— Macalister. R.S.. The Excavation Of Gezer. Vol.3. London. 1912.

— Margaret. S.. Drower and J. Botters. Syria and Palestine In. CAH. Vol.I. Cambridge. 1968.

— Mellart. J.. Earliest Civilization Of The Near East. London. 1956.
— The Chalcolitic and Early Bronze Age. In the Near East and Anatolia. Beirut. 1960.

— Mercer. S.. The Tell El Amarna Tablets. Vol.I,Turunto,1959.

— Olmostead. A.T.. A. History Of Palestine and Syria. 1934.

— Petrie, W.M.F.. Hyksos and Israelites Cities. London. 1906.
— Ancient Gaza. Tell Ajjul. Publications of the Egyptian Research Account And British School Of Archaeology In Egypt. I-IV. London. 1931-1934.

— Abydos. I-II. London. 1902-1903.

— Rowely, Harold, H., Trade Routes Through Palestine In, New Atlas of The Bible, University Of Manchester, 1969, Translated by Hubert and Richard Reckly.

— Schaeffer, C.F.L., Ugaritical, Paris, 1949.

— Smith, W.S., The Art and Architecture Of Ancient Egypt, (The Pelican history of art) Britian 1966.

— Vaux, R. de, Foreign Relation: Chronology, In, C.A.H., Vol. I, Cambridge, 1966.

— Ward, W.A., Egypt and The East Mediterranean In The Early Second Millennium B.C., In Or, 30, 1961.

— Wilson, J.H., Egyptian Historical Texts, In, Pritchard, J.B., ed., ANET., Collins, 1969.

الحوليات والمجلات والتقارير والكتيبات:

— Albright, W.M.F., Bulletin Of The American Schools Of Oriental Research , 1934, 1935.
  — Journal Of The Palestine Oriental Society, 1922, 1928, 1935.

— Avi, M.Y. Map Of Roman Palestine, In, Q.D.A., In Palestine Vol.5, No.4, 1935.

— Baron Edmond de Roths Child, Expendition Of Al (Et-tell) Q.D.A., In Palestine, Vol. V, 1936.

— Derry., D.F., The Dynastic Race In Egypt, J.E.A., 1956.

— Fisher, H.G., A scribe Of The Army In A Saqqara Mastaba Of The Early fifth Dynasty, In, J.N.E.S., 1959.

— Fitzgerald, G.M., The Earliest Pottery Of Beth-Shan, The Museum Journal, University Museum, University Of Pennsylvania 1935.

— Frank Fort, H., Egypt and Syria In The First Intermediate Period, In J.E.A., 1926.

— Gardiener, A.H., J.E.A., London 1948.

— Garstang., J. Jericho: City And Necropolis, second Report, 1932.
  — Jericho: City and Necropolis, Fivth Report, 1935.
  — Jericho: City and Necropolis, Sixth Report, 1936.

— Hayes. W.C., A Papyrus Of The Late Middle Kingdom In The Brooklyn Museum, Brooklyn 1955.
— Carrer Of The Great Steward Hevenu Under Nebhopture, Mentuhotpe In, J.E.A., 35, 1949.

— Heurteley, W.A., A Palestine Vase Painter Of The Sixteenth Century, B.C., Q.D.A., Vol. VIII, 1938.

— Kontor, J.H., Further Evidence for Early Mesopotanian Relations With Egypt, J.N.E.S., Vol.XI, 1952.

— MAarquet, Y.K., Expediton Of Baron Edmond de Roth Child, Q.D.A., Vol.V, 1936.

— Petrie, U.M.F., Pre historic Egypt, 1920.
— Gerar, London, 1928.
— The Royal Tombs Of The Earliest Dynasties, Vol.II, London, 1901.
— Corpus Of Prehistoric Pottery and Palettes, London, 1921.

— Petrie, W.M.F., and Moss, R.L.B., Topogryphical bibliography Of Ancient Egyptian Hieroglyphical Texts, Reliefs, and Paintings, 7vols., Oxford, 1927-

— Porter, B. and Moss, R.L.B., To pographical Bibliography of ancient Egyptain Mierologyphic Texts, Reliefs, and paintings, 7 vols. Exford, 1927-60.

— Posener, G., Syria and Palestine In The Heropplitan Period and The Eleventh Dynasty In, C.A.H., Vol.I, Cambridge, 1965.

— Pritchard, J.B., The Ancient Near East In Pictures, Princeton and Oxford University Press, 1958.

— Reisner, G.A., A History Of The Giza Necropolis, Vol.I, Cambridge, Mass, 1942.

— Rowe, A., A Catalogue Of Egyptian Scarabs Acaraboids, Selas and Amulets, In The Palestine Archaeological Museum, Cairo, 1936.
— Three New Stelae from the South Eastern Desert In, Ann Serv.39, 1939.

— Peet., T.E., The Stela Of Sebek-Khu, The Earliest Record Of An Egyptian Campaign In Asia (The Manchester Musum. Musuem Hand books), Publications, Manchester 1914

— Petrie, W.H.F., (British School Of Achaeology In Egypt), In The Q.D.A:, Vol.III, 1934.

— Winlock, H.E., The Treasure Of Elahun, The Metropolitan Meuseum Of Nèw York, Publications, 1934.

— Nadorey., R., The Date Of Egyptian Shrine At Byblos, Reprinted From Bulletin Of The Faculty Of Arts, Alexandria University, Vol.X-XI, 1968.

الفهـرس

تصويبات

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
٩	٥	٩	اقام	قام
١٤	٢٣	٨	بمفائيل	بمخائيل
١٤	٢٤	١٠	بيامين	بنيامين
١٤	٢٧	٨	ساقط	فى
١٥	١٧	٩	العملية	العلمية
١٨	١٧	١	مكتشفاتها	مكتشفاتها
١٩	٩	١٢	ساقط	فى
١٩	١٠	١	مجله	مجدو
١٩	١٧	٨	لتبهان	لتباين
٢١	١٤	٩	ساقط	Breasted
٢١	٢٠	٤	ساقط	of
٢٣	٧	٢	ساقط	ما
٢٣	١٨	٣	ساقط	جزء
٢٣	٢٠	١٠	ساقط	تكون
٢٥	٢٤	١	سنفرو	سنفرو

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
٢٦	٩	٦	حقبر	مقبرة
٢٦	٢٠	١٠	بنصبة	نصبة
٢٧	٣	٨	الفنيتن	الفنتين
٢٧	٤	٤	تتعلق	تتصل
٣٣	٥	١٠	النهندرتال	الهندرتال
٣٤	الهامش س٣	٦	settlech	Settle
	» »	٩	Archaedogy	Archaeology
٣٥	١٦	١	السمية	التسمية
٣٨	الهامش س٧	٥	فيرجع	فيرجح
٣٩	١٢	٥	مجد	مجد و
٤٢	٦	٣	ساقط	التى
٤٣	١	٨	بود بحون	بود بمون
٤٤	٣	٤	ثم	مكررة
٤٤	٥	٩	منه	ومنه
٤٤	٥	١٠	لى	الى
٤٥	٢١	٢	الدول	الدولة
٤٥	٢١	٥	علاقتها	علاقاتها
٤٧	١٢	٢	ساقط	أدت
٤٧	١٥	٨	الاموية	الاموريــة

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	التصويب
٤٧	١٩	٧	فسلهم	فشلهم
٤٧	٢٢	١	الخدعة	بالخدعة
٤٨	٩	١	الانباط	والانباط
٤٨	١٠	١١	بيان	بيسان
٤٨	١٤	٢	ساقط	يزيد
٥١	٣	١٠	$\frac{١}{٤}$ $\frac{١}{٢}$ ؛ $\frac{١}{٤}$ $\frac{١}{٣}$	٣٠ ٢٩° ، ٦٥ ٣٣°
٥١	٤	٦	$\frac{١}{٣}$ $\frac{١}{٤}$ ، $\frac{١}{٤}$ $\frac{١}{٣}$	٦٥ ٣٤° ، ٤٠ ٣٥°
٥١	١١	٤	١/١٠/١٩٥٦	١/١٠/١٩٠٦
٥٣	٦	٧	شكل	تشكيل
٥٧	١٦	٧	ساقط	ثم
٥٨	٤	١١	الميزوبوتاسيه	الميزوبوتاميه
٥٩	٣	٢	الطابوق	الطابون
٥٩	١٢	٤	•	•
٥٩	١٣	٥	الكركون	الكركدن
٥٩	٢٣	٣	مغارات	مغارة
٦٥	٢	١	Periol	Period
٦٦	٦	٥	فاكتسبت	فاكتسب
٦٦	١٧	١	(٥)	(٦)
٦٦	٢٢	٢	يرجح	يرجع

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
٦٨	شكل رقم ٦		مقلوب	
٦٨	١	٢	ساقط	مقبضة
٧٠	١١	٩	pre-pothery	pre-pottery
٧٠	٢٣	٦	(٢)	(٧)
٧١	٢	٣	(٧)	(٨)
٧١	٤	١١	حصى	جصى
٧٢	٥	٢	الخامسق	الخامس
٧٣	٥	٣	ساقط	ف ٠ م ٠
٧٣	٢٣	٤	حصية	جصية
٧٤	١٤	١	المسننة	والمسننة
٧٤	١٤	٥	الرحى	والرحى
٧٦	٤	١٠	مع	جمع
٧٦	١٠	٢	تعليقة	قليخية
٧٨	١	٥	الغولية	الغسولية
٧٨	١٠	٥	توجد	يوجد
٧٩	٢٣	٢	هنه	هذه
٨٠	٥	١١	تقديم	تقدم
٨٠	١٦	٧	متر	مصر
٨١	١٥	٨	السكة	السميكة

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
٨١	٢٠	٦	خلعتها	خلفتها
٨١	الهامش س٢	٣	المهد	العهد
٨٣	٧	١	والمرجع	والمرجح
٧٤	٤	٧	بنت	نبت
٨٥	٣	١٣	فى	من
٨٥	الهامش س٦			الهامش للصفحة (٨٦) سطر ١٧
٨٥	الهامش س٨١	٨	هيروغليفة	هيروغليفية
٨٦	الجدول س٢	٤	ملفقات	ملفعات
٨٦	س٦	٣	العنولية	الغسولية
٨٦	٩	٤	ساقط	الحوائط
٩١	١	١	ر	زائدة
٩٥	١٥	١	امكانية	زائدة
٩٧	١٠	٦	الندا خل	التداخل
٩٨	٦	٢	السابقة	السابعة
١٠١	١٩	٩	توقيف	توقف
١٠٢	٥	٨	(v)	(٧)
١٠٢	١٣	٨	من	فى
١٠٤	٥	٨	بنسبة	نسبة
١٠٤	١٤	٣	السامية	بالسامية
١٠٥	١	٩	أو	أن

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	التصويب
١٠٥	١٢	٧	ساقط	الوسطى
١٠٦	٥	١	الامتحب	لا منحتب
١٠٦	٥	٩	المناصر	المناظر
١١٠	٨	٢	الفينقيين	الفينيقيين
١١١	٣	٥	تحتمس	لتحتمس
١١١	٢٣	٨	المغاور	مغاور
١١٢	٢٤	٢	ساقط	أن
١١٣	٦	٧	مجد	مجدو
١١٤	٢	١٢	وانهم	وأسهم
١١٤	٦	٢	الحاكم	الحكام
١١٦	١٢	٩	ساقط	في جنوب فلسطين ومدينة عكا ومدينة غزة التي تعني الحصن المنيع
١١٦	١٦	٥	تيبوس	يبوس
١١٧	٤	٥	النجيلة	النخيلة
١٢٣	١٤	٩	الاوجارية	الاوجارتية
١٢٤	دليل الشكل	٨	المبرلات	المسلات
١٢٥	دليل الشكل	٢	ساقط	سن
١٢٥	٨	٣	من الهياكل	تكرار
١٢٦	نهاية الصفحة		ساقط	خط اسود قبل الهامش

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
١٢٨	٨	٩	ساقط	عن
١٢٩	٨	٨	مظهر	المظهر
١٢٩	١٠	٩	تهف	آتهف
١٢٩	١٤	٧	نس	نـس
١٣٢	١	٦	شاباشى	شاباش
١٣٢	٣	٨	حمون	حـون
١٣٣	١٢	٣	شمر	شمرا
١٣٣	١٥	٨	اورابوس	اورانيوس
١٣٤	١١	٢	والالـه	الالـه
١٣٥	٤	٩	ساقط	من
١٣٥	٩	٨	آمراً	امـرٌ
١٣٥	١٨	٣	لمعبر	لمصير
١٣٦	٧	٨	العملات	العلاقات
١٣٦	١١	٢	ساقط	بتأثير
١٣٦	١٥	٤	بدأ	بـدا
١٣٦	٢٢	١١	العزيات	العربات
١٣٧	٣	٨	عشتار روت	عشتاروت
١٣٧	٢٠	٢	انـه	أن
١٣٩	٩	٤	والمراد	والزاد

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
١٤٠	١٩	٥	القمر	القصر
١٤٥	٧	٤	الفنيقية	الفينيقية
١٤٩	١١	٧	٢٠٠	٢٠٠٠
١٤٩	الهامش س٧	٦	٢٠٠	٢٠٠٠
١٤٩	الهامش س١١	٩	٢٠٠	٢٠٠٠
١٥٢	١٠	٦	فتهين	فيتهين
١٥٣	٤	١	تهين	يتهين
١٥٣	١٢	١	شش	ششن
١٥٤	رقم الشكل		ساقط	شكل رقم (٢١)
١٥٦	٣	٤	تهين	يتهين
١٥٦	١١	٦	تصير	تصيرين
١٥٧	٥	٦	الصيادنيختى	الصيادين خيتى
١٥٨	٤	٧	أرغين	الارغين
١٦٠	٩	١	العدية	المدرية
١٦٠	١١	١٣	لكاتب	للكاتب
١٦١	٨	٥	شمشم	شمش
١٦١	٢٤	٦	شمشم	شمش
١٦٢	١	١١	•	•
١٦٢	٨	٥	•	•
١٦٤	٣	٨	أخمس	أحمس

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	التصويب
١٦٤	٧	٤	بيت زور	بيت زور
١٦٤	٩	٩	عديد	عديدة
١٦٦	١	٤	سيان	بيسان
١٦٦	٣	٧	جيهة	جبعة
١٦٦	٤	١	شس	شمس
١٦٦	٩	٣	كلبو	جلبو
١٦٦	الهامش س١	١١	المشهوريين	المشهور بين
١٦٧	٣	٣	( )	(٢١)
١٦٧	٣	١٤	( )	(٢٦)
١٦٧	٥	٥	( )	(٢٦)
١٦٧	١٤	١٠	حول	حاول
١٦٧	١٧	٦	هيلبو بوليس	هليو بولس
١٦٧	١٨	٧	القداسته	لقداسته
١٦٨	دليل الشكل	٧	بيان	بيسان
١٦٨	س ٢	٦	انتصار	انتصاره
١٦٩	٤	١	طوليتان	طوبلتان
١٦٩	٤	٤	المؤشرات	المؤشرات
١٦٩	١٧	٧	تب	تل
١٧٢	١	٧	ل	زائدة
١٧٢	١٧	١١	اطلعت	اطلقت

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطـأ	التصـويب
١٧٤	٦	٩	( )	(٢٩)
١٧٤	١٥	٩	المرعوفة	المعروفـة
١٧٥	رقم الشكل		(٢٥)	(٢٩)
١٧٦	٢	٥	الميناتيين	الميتانيين
١٧٦	٧	٨	فعلت	فضلت
١٧٧	دليل الشكل			
	(٣١)	س٢	حـتى	حيـثى
١٧٨	١٦	٥	( )	(٣٢)
١٧٨			ساقط	صـورة
١٧٨	٢٤	٥	ساقط	مـن
١٧٩	١	٣	للطبعة	للطبقة
١٧٩	١	٧	ابجـة	ابجيـة
١٧٩	٥	٥	من	تكـرار
١٨٠	٧	٩	ساقط	وأن
١٨٠	١٠	٥	ساقط	فـى
١٨١	١	١	ة	زائدة
١٨٢	١٧	٥	آن	وأن
١٨٣	١	٢	ازدراليون	ازدراليون
١٨٣	١١	٨	سـاقط	كـان
١٨٨	٢٣	١	الهندواوربا	الهندوأوربية

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
١٩٠	١	١	ساقط	حضارة
١٩١	٧	٩	تضمنه	تضمنته
١٩٣	١٤	٩	و ٠ م	ق ٠ م
١٩٣	١٦	١١	ساقط	على
١٩٦	١٢	٧	" تل الحريرى)	" تل الحريرى "
١٩٦	٢٢	٣	ضمنت	ضمت
١٩٧	١	٦	خاتن	خاتى
١٩٧	١١	١٠	بملنس	بملستى
١٩٧	٢٢	٩	لمنطقة	المنطقة
١٩٩	٢٦	٥	ذت	ذات
٢٠٠	٢	٣	التى	رائدة
٢٠١	٥	٢	كشفت	كشف
٢٠٢	٢	٨	رفضها	ارضها
٢٠٥	١٥	١	الخطرة	الحضارة
٢١١	٦			الفصل الثانى وبنوده مقدمة ابرز معالم تاريخ فلسطين القديم

